

كنّاش زيارة العارف بالله تعالى
سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي
رضي الله عنه وأرضاه إلى تونس



من 22 رجب إلى 6 شعبان 1430 هـ
من 15 إلى 28 جويلية (يوليو) 2009

الطبعة الأولى - تونس
ربيع الأول 1434 / فيفري 2013

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

رضي الله عنه إلى تونس



اليوم الأوّل

الخميس 23 رجب 1430

القرص - 1 -

إثر استقبال سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي والوفد المرافق له بالمطار من سيدي الحاج الحبيب بن حامد ومجموعة من الفقراء من تونس في جو من الفرح والبهجة، توجه الجميع إلى منزل سيدي الحاج الحبيب بن حامد حيث وجدوا مجموعة من الفقراء في انتظارهم بالمنزل، ثم بعد دخولهم وصلاة ركعتين توجه سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي بكلمة للفقراء

سيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه

... ما بين الطريقة والمقدمين في المغرب، الطريقة التجانية، لأنه كما تعلمون جميعا، منذ تقريبا ما ينيف عن خمسة أو ستة عقود، الزاوية التجانية بمدينة فاس التي هي مدفون فيها الشيخ، يعني تكون من حيث الجمع، كانت ليس فيها إمام راتب، الذي هو ملازم للصلوات الخمس، وكذلك ليس فيها مرجع، أي مقدّم مرجعي، يرجع له الناس في شؤون الطريقة، الأمور بقيت فقط ما بين ذرية الشيخ الذين هم موجودون هناك بمدينة فاس بكثرة، وصارت يعني صعوبة ما بين المخاطب، الذي يخاطب أو تخاطبه السلطة في الشؤون المتعلقة بالزاوية وبالفقراء، عندما يحتاجون إلى هذا الأمر، وبقي الحال هذا فيه اضطراب، حتى جاء هذا التعيين ووضع حدًا لتلك الأمور التي كانت ليست طبيعية بالنسبة للزاوية، الآن الأمر صار معروفا للسلطة، مثلا إذا أردت أن تقيم شيئا أو تهدي شيئا، المخاطب هو رسمي الذي ترجع إليه الأمور في شؤون التدبير في الزاوية، الآن أصبح الأمر معتدل، وصار في طريق الاعتدال، والظهير الذي عُين به سيدي محمد الكبير أنه شيئا للطريقة التجانية ومكلفا بالتدبير، وتسيير الزوايا، ومراقبة المقدمين، إلى آخره من هذا القبيل، والآن نحن فرحنا لذلك الأمر، لأنه كان لازما من هذا التدخل الذي حدث، ولا يمكن أن يستقيم إلا على يد السلطة، إذا تدخلت السلطة سيما على مرجعية أعلى، فتحدّ

من بعض الفلتات التي بدأت تحدث، وذلك شيء طبيعي، لأنّ كلّ أمر يخرج من يد فرد، ويبقى في يد جماعة بدون فرد يسيّرهما، تبدأ الأمور تتدخل فيها الناس الذين لا رغبة لهم في الإصلاح، ولكن رغبتهم فقط في مصالحهم الخاصّة، وهذا مع الزّمان تصبح لهم هم الكلمة والنّفوذ في الأمر، ويصير الخواصّ عواما بالنسبة لهم، ويصير العوامّ هم الخواصّ، ويصيرون تحت حكمهم، لأنّهم، أي الخواصّ، ينظرون إلى الأمر من زاوية العبادة، والعوامّ ينظرون من زاوية مصالحهم الخاصّة، الآن الحمد لله، نحن نشكر الله أن وقع هذا الأمر، ولو أنّنا لم نكن راغبين، إلّا جاءت ظروف حتمته، حتمت هذا الأمر، وإلّا قد يخرج الأمر وليس له من يوعظ، وتصير الزّمام في كلّ يد، ولكنّ الآن الحمد لله ربّ العالمين، بعد التّعيين، وبظهير ملكي، وُضع حدًّا لهذا الأمر، الشيء الذي كان يُتخبّط فيه، وصار يخرج عن المراد من الطريقة والزّاوية ومن الفقراء، والذي كان القصد منه هو عبادة الله تبارك وتعالى، وصار الأمر تدخل فيه المصالح الشخصية والمنافع، والتّطاول على الأكابر، الآن الحمد لله الذي حدث هذه السّنة، وهو أثلج الصدر، أثلج صدرنا، وسرّنا ذلك الأمر، على الاعتبار الذي ذكرته، لأنّ من المعروف أنّ الزوايا قائمة بالله، والأصل في تأسيسها أو في العمل بها هو العمل لله، لا لشيء آخر، والناس قائلون ويدعون الناس إلى الله، لأنّهم يشعرون بأنّ مسؤوليّة التبليغ هي واجبة، هذا هو الأمر الذي كان، لكنّ عندما بدأ الذين كان الأمر في يدهم يذهبون، وبدأ يتخلّى الأكابر لأنّهم لا يحبّون الدّخول في النّزاعات، استولى أناس آخرون على الأمر بكيفيّة تكون في الأوّل رقيقة، ويُظهر صاحبها منها الصّلاح، ثمّ تتطوّر حتّى تظهر الأمور على حقيقتها، فتتقلّب، ويصير الناس يتكلّمون في الزّوايا وفي الطرق، وهذا باعتبار أنّها أصبحت انتهازية، ولذلك الحمد لله هذا الأمر سرّنا ثمّ أحببناه، لهذا الاعتبار الذي تكلمنا لكم فيه، ولذلك

كلّ شيء إذا كان لله، وكان المطلوب من الناس أن يجتمعوا على الله، فلا بدّ من مرجع ومن مصدر الذي يرجع إليه الناس في هذه الأمور حتّى يبقى الأمر جمعاً والغاية عند الناس تبقى هي غاية توحيد الله وعبادته بالعبادة التي طلبها منّا الله تبارك وتعالى، وهو الإخلاص في عبوديته، وأنّ جميع الأعمال لا تكون إلاّ لله، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾¹ كما قال النّبّيّ شعيب عليه السّلام، هكذا الأمر، إذا الأمر لا يجتمع إلاّ إذا كان هناك فرد مهّاب يُحترم ويُعظّم من طرف الناس تعظيماً قلبياً واحتراماً قلبياً، إذ ذلك، يبدأ الأمر يجتمع عليه الناس، وليس الأمر إلاّ كما قال صلّى الله عليه وسلّم « إذا مررتم بجمع من الناس، عشرين أو أقلّ أو أكثر، ولم تجدوا فيهم رجلاً مهّاباً فتودّعوهم » فاتركوهم، إن لم يجدوا بينهم رجلاً مهّاباً فتودّعوهم، لا بدّ من هذا القطب الذي تدور عليه الدوائر، الدائرة لا بدّ أن تكون في كلّ شيء، الأرض لها قطبها، والكعبة لها قطبها، والسماء لها قطبها، وكلّ دائرة من دوائر الله لا بدّ لها من قطب، لا تُسمّى دائرة حتّى يكون لها قطبها الذي تدور عليه، وهذا هو الأمر الذي، والحمد لله، يجمعنا الآن، ويمسح كثير من الأشياء الذي كان يحزّ في النّفس، والآن أصبحت لنا مرجعية نعرفها، فإذا مثلاً السلطة أرادت أن تفعل شيئاً أو تتحدّث مع شيء، هناك من تتحدّث معه، فكلّ واحد يدّعي لنفسه شيئاً، لأنّه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾² ، هذا شيء عام، سواء في الدّين أو في الدنيا، لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا، يفسد الأمر لأنّ كلّ واحد يدّعي لنفسه أنّه هو الإله، وهو الأعلى وهو الأشرف وهو الأعظم، والدّعوى كما تعرفون هي دعوى دائماً مطلوب من صاحبها

¹ سورة هود الآية 88

² سورة الأنبياء الآية 22

أن يُعطي الدليل على ما يدّعي، من يدّعي شيئاً عليه أن يثبته، يثبته ويثبت صحته ويثبت سلامته، ويثبت تقواه ويثبت عمله الصالح، لا بدّ من هذا الأمر، لذلك هذا الأمر هو الذي كان في هذه السّنوات، بالأمس، يوم الإثنين، إجتمع نفر كثير في الزاوية في فاس، جمع تمهيدي لوضع أحد البرامج المستقبلية للكيفية التي ستسير عليها الزاوية الكبرى في فاس، وكذلك تحديد الأنشطة التي ستكون طيلة السّنة بمناسبة مرور قرنين على وفاة الشّيخ رضي الله عنه، وقد تكون تلك الأنشطة كلّها محاضرات أو اجتماعات أو توجيهات هذا هو الأمر الذي كان، وهذا هو المطلوب، وكان كلّ شيء لله، النّاس أُطعموا، حوالي ألف كلّهم أُطعموا من مال الفقراء، لا من مال الغير، أبدأ، أُطعموا من مال الفقراء، وليس من مال غيرهم، لا من مال الخراج ولا من مال وزارة الأوقاف، أبدأ، وقبل ذلك بحوالي عشرين يوماً قمنا بالتهيئة

_____،

_____ وزاروا فاس وزاروا مراكش وزاروا الدار البيضاء، والحمد لله لقوا العناية التامة والاعتناء من الفقراء، أينما حلّوا، في الدار البيضاء مثلاً، في ثلاثة زاويا، والضيافة كبيرة اجتمعوا فيها كلّهم، وكانت عندنا في الزاوية في درب غلف، اجتمعوا كلّهم، أربعة مائة وستين، إضافة إلى الفقراء، فكانوا نحو تسع مائة فقير، والفقيرات، كلّهم والحمد لله، أُطعموا وأكلوا وشربوا وفرحوا ونشطوا وسمعوا العلم، وكذلك نظروا إلى الكيفية لتعامل النّاس مع بعضهم البعض، ومع مقدّمهم، يعني بكيفية بسيطة، النّاس محترمين، يحترموا بعضهم البعض، فقط في حدود الاحترام لا في حدود شيء خارج عن هذا، كالمبالغات، وأخذوا الكتب، طبعنا لهم الكتب، وفي السّنة الماضية

_____،

_____ جَلَّهَا كَانَتْ فِي الدَّارِ البِيضَاءِ، إِحْدَى عَشْرَ يَوْمًا تَقْرِيبًا مَعْنَى فِي الزَّوَايَا فِي الدَّارِ البِيضَاءِ، بَعْضُهُمْ فِي فَاسٍ لَكِنْ أَغْلِبَهُمْ بَقُوا عِنْدَنَا تَقْرِيبًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَامُوا بِهِمْ النَّاسُ، فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ وَفِي الْفَطْوَرِ وَفِي الْغَدَاءِ وَفِي الْعِشَاءِ، وَبِخَيْرِ الْحَمْدِ لِلَّهِ، كَلَّ شَيْءٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ، لَيْسَ فِيهَا أَيْضًا نَفْسٌ زَائِدٌ، إِلَّا الْفُقَرَاءُ، وَسَيِّدِي حَيْدَرَ ابْنِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْحَبِيبِ، وَسَيِّدِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ، هُمْ إِخْوَةُ سَيِّدِي حَيْدَرَ وَسَيِّدِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ، هُمْ أَوْلَادُ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْحَبِيبِ، ابْنِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ، فِي هَذِهِ السَّنَتَيْنِ عَمَلُ ذَكَرِي سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْحَبِيبِ، ذَكَرِي وَفَاتِهِ، عِنْدَنَا فِي الزَّوَايَا، زَاوِيَةُ رَبِّ غُلْفٍ، عَمَلُ تِلْكَ الذِّكْرِي، وَجَاءَ مَعَهُمُ الْإِفْرَاقَةُ، وَلَمَّا جَاءُوا الْمَرَّةَ الْأُولَى، أَصْبَحُوا يَشْتَاقُونَ لِلْمَجِيءِ، يُمْكِنُ أَنْ يَأْتُوا كُلَّهُمْ هَذِهِ السَّنَةُ أَيْضًا، وَوَقَعَ أَصْلًا تَجْدِيدٌ حَتَّى فِي أَفْكَارِهِمْ وَفِي نَظَرَتِهِمْ، وَالْمَعَامَلَةُ لِلْفُقَرَاءِ بَيْنَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ وَالْمَقْدَمِينَ، لَا سُلْطَانَ وَلَا سُلْطَةَ، عَلَى النَّاسِ فَقَطْ أَنْ يَفْهَمُوا هَذَا الشَّيْءَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، كَمَا نَذَكُرُ دَائِمًا الْأَخُوَّةَ فِي اللَّهِ، لَا فَرْقَ لِهَذَا وَلَا لِهَذَا إِلَّا الْمَزِيَّةَ الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ، تِلْكَ الْمَزِيَّةُ لِأَبَدٍ أَنْ يَخْصَّ بِهَا كَمَا خَصَّ الْأَنْبِيَاءَ، وَخَصَّ الرُّسُلَ وَالْعُلَمَاءَ الْأَفْضَلَ، لِأَبَدٍ مِنْهَا، لِأَبَدٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، هَذَا وَالَّذِي يَفْرَحُنَا هُوَ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ مَرَّ بِسَلَامَةٍ، لِتَعْرِفُوا الدَّارَ البِيضَاءَ مَا هِيَ، الدَّارُ البِيضَاءُ بِلَادٌ وَاسِعَةٌ وَعَرِيضَةٌ، وَفِيهَا كَثْرَةُ السِّيَّارَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ السَّنَةُ الْمَاضِيَةُ مِثْلًا كَانَ التَّنْقُلُ بِالتَّكَسِيَّاتِ وَالسِّيَّارَاتِ الْخَاصَّةِ، أَرْبَعَةٌ مِائَةٌ وَتَنْقَلُهُمْ فِي السِّيَّارَةِ أَوْ تَاكْسِي، صَعْبٌ وَصَعْبٌ جَدًّا، الدَّارُ البِيضَاءُ، وَالْكَلَّ مَرَّ بِالسَّلَامَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَمْ يَسْجَلْ أَيُّ حَادِثٍ، وَلَا إِنْسَانٌ إِدَّعَى أَيُّ شَيْءٍ، وَلَا شَيْءٌ ضَاعَ أَبَدًا، لَمْ يَحْصَلْ شَيْءٌ، وَهَذِهِ السَّنَةُ جَعَلُوا لَهُمُ الْحَافِلَاتِ، الْحَافِلَاتُ هِيَ الَّتِي تَنْقَلُهُمْ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ لِلزَّوَايَا الَّتِي يَبْقُونَا بِهَا، وَهَذَا الْأَمْرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، يَنْبَغِي أَنْ يُعَمَّ جَمِيعُ الْمَوْسَسَاتِ وَالزَّوَايَا وَالْفُقَرَاءَ كُلَّهَا، وَيَعَمُّ هَذَا الْأَمْرُ، لِأَنَّ فِيهِ إِلَّا الْخَيْرَ، فِيهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ، وَيَتْرَكَ

أثر حسن في نفوس النَّاس، وكذلك ما يتركه في الخارج أيضا عند الناس، ولذلك الحمد لله هذه السنة كلّها ستمرّ علينا نحن بهذه الكيفية، دائما، ولكنّه كما نقول، « ما كان لله دام واتّصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل »، الأمور لله تُقضى، مثلا يكون عندكم النّساء، حوالي أربعين امرأة، وليس هنالك أصعب من النّساء في اللقاءات، فيهم كبيرة السنّ، فيهم صغيرة السنّ، كيف تتعامل معهم في الزاوية، في الدار، في النوم، كيف تتعامل معهم في النّقل وفي الركوب، هذا من أصعب ما يكون، الرّجال أخفّ، مع ذلك الأمور مرّة بسلام، لماذا، لأنّ الإنسان عندما يضع همّته في الله، ويرجو التّوفيق من الله، ويتوكّل على الله، وهؤلاء ضيوف الله، فيجعل الله تبارك وتعالى دائما إعانتة، ستضع مثلا إنسان في زاوية يطبخ لثمان مائة شخص، أو تسع مائة، يطبخ لهم كلّهم وتعطيهم ليأكلوا في وقت واحد، ويشربوا الشاي في وقت واحد، وكلّهم يغسلوا أيديهم في وقت واحد، _____

_____ كلّ من أحب شيئا أن يضحّي من أجله، حتّى لا يبقى له أيّ محبوب غير ذلك الذي يحبّه، ويكون قلبه وكلّه وهمّته معه، نعم، وإلّا يكون مُدّعيا، نعم، مدّعيا، وهذا هو الأمر الذي، والحمد لله، نرّبّي عليه النّاس والفقراء، كي يكونوا دائما مستعدّين، مجتّدين دائما ومستعدّين، إذا جاء وقت الواجب فيكون الواجب، كلّ واحد على حسب استطاعته، ومقدرته، ﴿ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾¹، فعلى حسب استطاعته ومقدرته، في أيّ شيء، واحد يشرب كأس شاي، يكتفي، وواحد يشرب عشرة، فلا يكتفي، وواحد يشرب كأس ماء، يكتفي، وواحد يشرب إبريق ماء ولا

يكتفي، كلّ على حسب استطاعته، ﴿ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾¹، هذا الشيء ما نقول لكم _____، فيما بينكم، إذا كان حضورنا بينكم ولكن سي الحبيب هو المقدم ولكن تسمح لنا في هذا الكلام لأننا نحن قصدنا أن نبليكم ما عندنا فقط، نعم، وربما تكونون قد شاهدتم شيئاً في التلفاز، ولكن ليس من رأى كمن سمع، وليس الخبر كالعيان، مثل تسمع بالمعيد خير من أن تراه، هذا مثال يقوله الإنسان الذي تسمع به ثم لا تجده كما سمعت به، تسمع به ولكن حين تأتي بجانبه يهرب عليك، ولذا قالوا تسمع بالمعيد خير من أن تراه.

¹ سورة الطلاق الآية 7

سيدي الحاج الحبيب بن حامد يقرأ كلمة ترحيب سيدي الحاج خالد القمار بقدم
سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي رضي الله عنه وأرضاه

سيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه

هنيئاً لكم، شكراً لكم، نشكركم، وإذا شكرناكم، شكرنا أنفسنا، ماذا نقول لكم؟، نقول
لكم ﴿ اَعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾¹، و« كلُّ ميسر لما خلق له »²، ولا أحد
جمع نفسه بنفسه، إنما الجامع هو الله لكلِّ نفس وهو الممدِّ، والإنسان هو عبد من
عباد الله، ولكن حُسن الظنِّ، كما قلنا، خولة لا تعلق عليها خولة، حسن الظنِّ في
الله، وحسن الظنِّ في عباد الله، وهذا من حسن ظنكم فينا جازاكم الله خيراً، جازاكم الله
خيراً، جازاكم الله خيراً، الحمد لله.

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

الحمد لله سيدي، اللهم لك الحمد والشكر، منذ مدّة طويلة، وبعض الفقراء الذين لا
نقول عنهم إلاّ أنّهم ضعاف إلى ربّهم لا غير، كلّ واحد منهم يقول : سيدي محمد
الكبير قادم، وفي الأيام القليلة الماضية، أثناء العشاء، كنّا نتحدّث مع بعض الفقراء،
فسأل أحدهم عن قصّة صاحب القفّة وصاحب الحجارة، وقال : لو كان معنا سيدي
محمد الكبير لجددناها لنفرح، فأجاب فقير آخر بقوله : وما يدريك، قد نسلم عليه
هنا، فما مرّت أربعة أيّام أو خمسة، حتّى اتّصل بي فقير من الفقراء له رؤى عجيبة،
وقال : "رأيت سيدي محمد الكبير قادماً إلى تونس، لا شكّ في هذا ولا ريب، وقد
بقيت أتحدّث معه (أي مع سيدي الكبير)، وقلت له فلان، (أي سيدي الحبيب)،

¹ سورة التوبة الآية 105

² البخاري ومسلم وأبو داود عن عمران بن حصين

فأدخل يده لقلبه، وأخرج القلب بكليته، ثم قال (أي سيدي الكبير) : "أرأيت القلب، ذلك الحبيب"، وما هو الحبيب، الحبيب يعني نحن وكلّ الأحباب رضي الله عنهم، والمراد منه فرح في قلبك، ولهذا نحن قلنا : الكرامة العظمى كيف أنّهم هم الذين أحبونا، وهذه إشارة عظيمة، فالمراد منها أن يظنّ الإنسان ظنًا كبيرًا جدًّا وأننا مقبولون إن شاء الله في حضرة الله وفي حضرة رسوله صلى الله عليه وسلّم، وكما نتشجّع ونتقدّم أكثر فأكثر، وظهرت الأنوار وظهرت الأسرار، في محبة الناس في الدين وفي التعلّم وفي العلم، سبحان الله هذا أمر عظيم، اللهم لك الحمد والشكر يا ربّ،

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

الأمر في ازدياد

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وعندنا بعض المقدّمين، جعل تركيزه على أولاد الفقراء صغار السنّ، فلا تمرّ الصائفة حتّى يكونوا قد حفظوا ما تيسّر من القرآن الكريم، ولو في هذا الطقس الحارّ، وذلك كلّ يوم اثنين وثلاثاء وأربعاء وخميس، ساعتان في اليوم ليحفظهم القرآن والحديث، وهم أولاد صغار في سنّ أربع سنوات أو خمس، وهذا أمر مفرح، سبحان الله، لأنّك إذا ما التفتت تجد الإخوان كلّهم على قلب واحد، هذا يكتب وهذا ينشر، وهذا يطعم، سبحان الله، أمر عظيم فعلا، وبركة عظمى، سبحان الله، هذا يفرح القلوب

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

إذا الإنسان يغرس ويتعهّد، يكون كلّ شيء بخير والحمد لله، لكن إذا لم يغرس شيئًا، فليس عنده ما يتعهّده وليس عنده ما ينتجه، فالإنسان يغرس وبعد ذلك الكمال على

الله، ولا بدّ من البذرة، لا بدّ منها، وإذا تكون البذرة، فإن شاء الله يتبع كلّ شيء، وكما قال صلى الله عليه وسلّم « **مَنْ قَالَ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلُكُهُمْ** »¹ الحمد لله هكذا دائما، وإتّما الإنسان يشكر دائما الناس الأوائل الذين تركوا لنا هذا، ودائما نشكرهم لأنّهم هم الذين تركوا لنا هذا الأمر وتركونا في هذه النعمة، لأنّهم هم الذين أسسوا، ودائما الإنسان يتذكّر الذي كان له الفضل عليه، ومن سبقك بشيء فله الفضل عليك، كقول العامّة عندنا، كلّ من سبقك بليلة سبقك بحيلة، حيلة أي مزيّة، ولذا الإنسان يشكر الناس الأوائل، الذين هم جاهدوا وغرسوا في الوقت الذي كان الأمر صعبا، واستطاعوا أن يشقّوا طريقهم وينبتوا نباتهم ويتعهّدوه، حتّى كانت الثمار، والذين جاؤوا من بعد جاؤوا ليصلحوا ويجدّدوا، ويتعهّدوا ويزيدوا، لأنّه كلّ من خلف أحدا إلاّ وأنّه يُخلفه في سرّه ويزداد له في مقامه عشرين مقاما، وتلك العشرون مقاما هي التي تظهر، تلك التوسعة هي التي تظهر، حتّى يصل الكتاب أجله ويتوقّف، ويأتي أيضا من يأخذ، وهكذا وهكذا، لا بدّ، لأنّ الله تبارك وتعالى هو القائم بهذا الأمر، ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾²، حافظون في صدور أمّته، إنّنا نحن نزلنا الذّكر وإنّا له لحافظون، فالله هو الحافظ، ونحن ما علينا إلاّ العمل، والأسباب الشرعيّة، والتي تودّي إلى مرضاة الله، ولذا الإنسان لا يجلس متقاعسا، وهذا ينافس هذا، وهذا ينافس هذا، لا تصل إلى شيء ولا تثمر، وإذا سلّم الناس لبعضهم، ويضعوا السفينة في يد الرّبّان، وساروا من ورائه، يكون الحمد لله السفينة تقطع البحار وينجوا، وإذا لم يسلموا لرّبّان وكلّ واحد يريد أنّه هو يقودها، تكون الفوضى وتغرق، لا بدّ من هذا الأمر، وكما قال سيدي النبي صلى الله عليه وسلّم «

¹ حديث صحيح، أخرجه مُسْلِمٌ عَنِ الْقَعْنَبِيِّ عَنِ حَمَادِ بْنِ سَلْمَةَ

² سورة الحجر الآية 9

إذا كان المسافرون ثلاثة فلا بدّ أن يأمرُوا عليهم واحدا « شرعا، إذا سافر ثلاثة أناس لا بدّ أن يودعوا أنفسهم في يد واحد، يسلموا لواحد، أن يقودهم وهم يتبعونه، لا بدّ من هذا شرعا، وإلا وقع التنافس ما بين أولئك الثلاثة، كلّ واحد يريد أن يكون هو الأمير، نعم، وعندما يقع التنافس ترفع البركة، ويخلق الانشقاق وهذه الأشياء كلّها، وعندنا مثال، يقول المثال : الجامع أو المسجد، المسجد الذي تبنيه الجماعة لا يبنني، دائما يبقى لا يبنني، إذا أرادت الجماعة أن تبنيه، ولم يسلموا لواحد مكلف، كل واحد يريد أن يعمل برأيه، عمره ما يبنني ولا ينتهي بناؤه، دائما يبقى كما هو، يضعون له الأساس ويبقى، لماذا؟، لأنهم لم يضعوا فيه واحدا وتبعوه، ويقتدون به ويتعاملون معه، نعم، وهذا في كلّ أمر، الله تبارك وتعالى جعل لنا الإمام في الصلاة، الإمام في القضاء، وإمام في الولاية، في كلّ شيء لا بدّ من إمام، ولا بدّ للناس أن يتبعوا ذلك، اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ امْرَأَةٌ مِّنْ أُمَّةٍ مُّجْرِمَةٌ فَلاَ يُغْنِي عَنْهَا وَالِدُهَا ذُنُوْبُهُمْ وَلاَ وَالِدُهَا ذُنُوْبُهُمْ لِيُقَاسَىٰ أَهْلُهَا بِذُنُوْبِهَا وَبِذُنُوْبِهَا يَمْسِكُ الْعَمَلُ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا عَلِيمًا »¹ معناه أنه إذا وقعت الإمارة، فالسمع والطاعة فقط، كي تسير الأمور، والتسيير من الله سبحانه وتعالى، ولا تتخرب، لكن إذا بقي كلّ واحد يقول "أنا"، يبقى الأمر مبعثرا، وتذهب منها البركة، ولا يُقبل ذلك العمل، لأنه عمل مشوب بالنفس، والنفس دائما مُضِلَّة إذا اتّبعها الإنسان، تُضِلُّه دائما، إذا يتبع الإنسان نفسه دائما تضلّه، تخرجه عن ماهيته وعن حقيقته، وتعطيه الأمانى وحبّ الظهور والعظمة والتكبر والعُجب، حتّى يضمحلّ الإنسان ما يبقى عنده حتّى حسنة، جميع الحسنات تموت، لذلك كما جاء في الحديث « المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومناق

¹ أخرجه أحمد في مسنده، وهو حديث صحيح وأخرجه البخاري مختصرا

يبغضه وكافر يقاتله ونفس تنازعه وشيطان يضلّه»¹ المؤمن بين خمس شدائد ؛ دائما في الرّحى، وتطحنه دائما، دائما داخل الرّحى، نعم، تعرفون الرّحى ؟، المؤمن بين خمس شدائد ؛ مؤمن يحسده، وتَعَجَّبُوا في هذه، وحُطُّوْهَا بين قوسين وتَذَاكُرُوا فيها، مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يضلّه، ونفس تنازعه، دائما هذا الأمر، الإنسان دائما يجعلها في الواجهة دائما عنده، يسير الإنسان للأمام، ولا يتوقّف، حتّى لا يقول أنا أعمل الخير ولا ألقى شيئا، لا، إعمل الخير وسِرْ، لا تنتظر أيّ شكر من النّاس، لا تنتظر من أحد أن يشكرك، لأنّه لو تنتظر النّاس أن يثنوا عليك بالخير، هذا شيء لا يدرك، رضاء النّاس غاية لا تدرك، مؤمن يحسدك، انتبهوا من هذا الأمر، مؤمن، أي مؤمن بالله وبرسوله وبكتابه، ومع ذلك يحسد المؤمن، نعم، وإن كان نحن نفسرها بتفسير آخر، حتّى نُخرجها عن معنى الحسد وندخلها في الحديث الذي قال فيه صلّى الله عليه وسلّم « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ؛ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَأَتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَتَاءَ النَّهَارِ »² ندخلها نحن من هذا الباب، ندخل من هذا الحديث، لا حسد، أي بين المؤمنين، إلّا في هذا الباب، رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آتاء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آتاء الليل وأثناء النهار، وهذه تسمّى الغبطة، وإن كانت لا تسمّى بالحسد، لكن أُعطيَ هذا الاسم، هذا الاسم أُعطيَ من نصّ الحديث، إذاً إذا كان المؤمن يحسد المؤمن، كيف نقول عن المنافق والكافر ؟، ومع العدو ؟، نعم، لذلك الإنسان دائما لا ينتظر أن يقول النّاس فيه كذا وكذا، ينتظر أن يعمل العمل لله وتبقى النتائج والثمرات بيد الله، لا بيده هو، كقول المثل :

¹ أخرجه الديلمي والسيوطي في جامع الأحاديث

² البخاري ومسلم

اعمل الخير وانسأه، كما جاء في الحديث، اعمل الخير وانسأه، ولا تبقى تذكُره، نعم، لأنّ إذا ذكرته، فقد مننت على الناس، والمنّ مبطل للعمل، ﴿ وَلَا تَمُنُّنَ تَسْتَكْثِرُ * وَرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾¹، من كان في هذا الميدان ينبغي أن يكون مستغرقاً كلّهُ في طاعة الله في جميع أوامر الله، ولا ينتظر من أحد أن يمدحه أو يثني عليه، لأنّه يعمل لله، ويعرف أنّ الذي سيجازيه هو الله، وأنّه هو عامل وخدام لخلق الله، وإذا زيد ميدان لآبَدٍ من أنّه يصبر، يصبر فيه، لأنّه الميدان دائماً ليس هو مفروش بالحريز، لآبَدٍ من الشوك، وشيء من الحريز، قليلاً، وأمّا الشوك فهو الكثير، لآبَدٍ الإنسان الذي يمشي حافياً، لا يلبس شيئاً في رجله، والأرض محروثة، قدميه ستستقبل ذلك الشوك، الشوك الصغير الذي يكون في الأرض، فكلّ ما مرّ يمسحه ثمّ يزيد قليلاً ثمّ إذا مرّ يجد الشوك، فيمسحه ثمّ يقطع الطريق، ولكن إذا بقي واقفاً مع الشوك فإنّه يبقى حيث هو، ولا يقطع الطريق، ولذلك كلّ واحد جعله الله تبارك وتعالى في باب، سيّما إذا كان باب الله، أنّه يصبر، وإذا سمع فلا يسمع شيئاً، ويغضّ الطرف ويغضّ السمع، ويتقدّم، ويزيد، وما كان لله دام واتّصل، لا ينتظر، نعم، لذلك جعل فيه الحديث، قال صلى الله عليه وسلّم « سبعة يظلهم الله في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ربّ العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »² سبعة يظلهم الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه ومنهم رجل تصدّق بصدقة فأخفاها، حتّى لا تعلم شماله ما أعطت يمينه، وهذا الإخفاء، وكلّ

¹ سورة المدثر الآية 6 و 7

² البخاري ومسلم

عمل لله ينبغي أن يكون كذلك، أن يكون مخفيًا، ومعنى إخفاءه أنه لا ينتظر من أحد
﴿ جَزَاءٌ وَلَا شُكُورًا ﴾¹ ، إلا من الله، نعم، هكذا هذه الأمور تتوسّع وتتورّ، أمّا
الإنسان الذي يجد الناس كلّهم أصدقاء وكلّهم أحباب فهذا لا يوجد، حتّى ما بين
الأسرة الصّغيرة التي تنفق عليها وتكّد عليها، تجد أحد معك وأحد لا ينبغي إلا مالك
فقط، نعم، ولكن هل تتوقّف؟ هل لا تقوم بالمسؤوليّة؟ لا بدّ أن تقوم بالمسؤوليّة.
بركة والسلام عليكم.

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي رضي الله

عنه إلى تونس



اليوم الأوّل

الخميس 23 رجب 1430

القرص - 2 -

لقاء مساء اليوم
الأول بفقراء تونس
في منزل

سَيِّدِي الْحَاجَّ الْحَبِيبِ

بِن حَامِد

سرد لمقتطفات من

﴿ إِيَامِ الْجَهَّالِ بِأَسْنَةِ أَسْنَةِ الْكَمَالِ ﴾

لَسَيِّدِي الْحَاجِّ الْأَحْسَنِ الْبَعْقَلِيِّ

السارد: سيدي الحاج الحبيب بن حامد

البيان: سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

رضي الله عنهم أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم

قال رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين

ولفرعية عصمة الرسول قبله لم تسري في أممهم فكفرت ثم إن نور الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتصور فيه الكفر من آدم إلى النّفخ في الصور وهو طهور طاهر أبد الآبدين فأعلق به ثم إن أمة الرسول يزداد نورها بآزدياد الزّمان فالدقيقة الثانية منها خير من الدقيقة الأولى والثالثة خير من الثانية وقس إلى آخر الأنفاس الذي لا آخريّة له أبد الآبدين فكل من عبد الله أو ذكره أو زاد مولود أو فتح إقليم أو أسلم مسلم زاد ذلك في صحيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل ما زاد له زيد لكل فرد من أمته فإنه هو أبوهم وأصلهم فكل ما عنده كتبه الله لكل فرد من أتباعه

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

سبحان الله، والله أعلم لا يوجد من قال مثل هذا الكلام من قبل، والله أعلم

السّارد

فهم عصبته فأخر هذه الأمة أكثر خيرا ونورا وآخرها أكثر شمراخاً « خَيْرُ الْأُمَّةِ أَوْلُهَا
وَأَخْرَهَا وَفِي وَسْطِهَا الْكَدْرُ »¹، كدر الدعوى « أووه على أحبابي فهم الذين يأتون
من بعدي يودون رؤيتي بما يملكون » « وسيأتي زمان القابض على عشر دينه نجى
»²، فما مات رجل إلا وخلفه رجل وزاده الله عشرين مقاما عليه « أمة مذنبه وربّ

¹ السيوطي في الجامع الصغير أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء

² عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : متى ألقى أصحابي متى ألقى أحبابي، فقال بعض الصحابة : أو ليس نحن أحباؤك قال : أنتم أصحابي، ولكن أحبابي قوم لم يروني وآمنوا بي أنا إليهم بالأشواق (أبو الشيخ في الثواب) السيوطي في جامع الأحاديث

غفور»¹ فلا يُدفن واحد من هذه الأمة بذنب سبق في علم الله أنّ هذه الأمة مذنبية وسبق في علمه أنّه غُفر لها قبل وجودها «حساب أمّتي كركعتي الفجر» (أي قال صلى الله عليه وسلم) فالأمة مرحومة لا ذنب عليها في الآخرة ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾² قال الأشعري «يجوز عقلاً أن لا يدخل واحد من هذه الأمة النار لمقام العفو» والماتوريدي (أي قال) «لا بدّ من طائفة، يعني من أولاد آدم وإبليس، أن يدخل النار ولو واحداً من كل نوع ثم يُخرجون بالشفاعات لمقام الظواهر» ثمّ إنّهُ لا خلاف بينهما فإنّ الأشعريّ خصّ المَهْدِيّين والآخِر عمّ المؤمنين فلا يغلط الواعظ فإنّ كلّ الصّواعق القرآنيّة والحديثيّة نسخه قوله تعالى ﴿وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾³ وإنّما قال لمن يشاء إبقاءً للربوبيّة.

البيان

سِتْرًا

السّارد

فلا يَحْبِطُ الحسنة إلاّ الكفر فقط ﴿لَئِن أُشْرِكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾⁴ لئن لم يُشرك لا يحبطنّ عملك

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

أي في طيّه لئن لم يُشرك لا يحبطنّ عملك

السّارد

إنّ ظلام السيّئات لا يذهب بنور الحسنات فالأمة بخير على رغم أنف محمد بن المؤقت.

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

¹ عن أنس رضي الله عنه قال، قال صلى الله عليه وسلم "دخلت الجنة فرأيت في عارضتي الجنة مكتوبا ثلاثة أسطر بالذهب : السطر الأول : لا إله إلا الله محمد رسول الله، والسطر الثاني : ما قدمنا وجدنا، وما أكلنا ربحنا، وما خلفنا خسرنا، والسطر الثالث : أمة مذنبية ورب غفور" السيوطي الجامع الكبير

² سورة المائدة الآية 15

³ سورة النساء الآية 48

⁴ سورة الزمر الآية 65

هذا قال سيدي محمد الثمار رضي الله عنه، في ذلك الزمان، قال أتى رجل من بلد المغرب فقال قال فلان كذا وكذا ومن جملته أنه قال بعد عامين سوف تنتهي الدنيا وتقوم القيامة قال له كيف ؟ قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنه تنتهي، إلى آخره، قال له سجل عندك بأنه هو الذي سيموت بعد عامين ...

البيان

« مَنْ مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ »¹

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

لأنّ رسول الله لا يمكن أن نقول له لا، قال فعلاً انتقل ذلك الرجل بعد عامين، قال أين الدجال ؟ أين دابة الأرض ؟ كيف ينسى العلماء كل هذا ويقولون خبرنا فلان، أين نحن ممّا أخبرنا به صلّى الله عليه وسلم، قال كتب فيه سيدي الحاج الأحسن الكثير، رضي الله عنه وأرضاه

السارد

ثمّ إنّّه أجمع المسلمون على أنّ أفضل الخلق سيّدنا محمد رسول الله ثمّ الرّسل ثمّ الأنبياء ثمّ الصحابة « إنّ الله فضّل أصحابي على سائر العالمين ما عدى النبيّين والمرسلين » ثمّ خواصّ البشر ثمّ خواصّ الملائكة ثمّ عوام البشر ثمّ عوام الملائكة وأجمعوا على أنّ أفضل الأجرام قَبْر رسول الله صلّى الله عليه وسلم ثمّ روضته ثمّ الكعبة ثمّ الحرم ثمّ المدينة ثمّ مكّة، عند عمر بن الخطاب وابنه، ثمّ العرش ثمّ الكرسيّ ثمّ هذه الأرض لأنّها كراسيّ الأنبياء والرّسل وموضع الخلافة ثمّ السماوات ثمّ إنّ هذا العرش المحيط بالسماوات والأراضين بشمسهما وقمرهما وكواكبهما وأفلاكهما إنّما هو عرش وخرانة الخليفة آدم وهو مثلاً إنّما هو كبير محلات الله وكبير عساكره وجنوده فالعرش خَلَقَهُ اللهُ خزانة تقي آدم الصفيّ فقط أبيضت عليه الخزانة والقبة خيمة له يحكم فيها والكرسيّ كرسيّ آدم ولخلفائه إلى قيام الساعة بل إلى ما لا نهاية له فيما تعلّق به علم الله تعالى فأدم الصفيّ كرسيّ أسماء الله وصفاته

¹ روي عن أنس أخرجه مسلم والبخاري والترمذي والأوسى وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

يحبّ يقول سيدي هو نفسه، هو الكرسي ...

البيان

هو محلّ الأحكام الإلهية وإذا كان محلّ الأحكام يعني أنّه هو تجليات الأسماء والصفات، جميع أسماء الله تبارك وتعالى هي مُتجَلّات في آدم وبالتالي من تجلّي آدم صدرت جميع الأحكام الأخرى بواسطة آدم، فكان آدم هو كرسيّ الأسماء والصفات بمعنى أنّ هذه الأسماء والصفات برزت أوّل ما برزت، من حيث الخليقة الظاهرة، برزت في آدم، ومن ثمّ صارت الأسماء، أيضا من أسماء التّشّيت وغيرها، كلّها كانت من الأسماء التي هي كان محلّها هو آدم عليه السّلام، فالمناط إذا هو مناط الأسماء والصفات، وآدم تجلّى فيه الله تبارك وتعالى بأسمائه كلّها، لأجل أن يحمل الخلافة عنه، ولا يتضرّر بها ولا يتأفّف منها لأنّ الأسماء هي التي تعينه على ذلك

السّارد

فآدم الصفيّ كرسيّ أسماء الله وصفاته لأنّه خلق على صفة الرّحمان فالاسم الرّحمن مُستويّ على الخزانة قيّوم بها وبما في داخلها وهي العرش العظيم والخيمة العظيمة المُعطاة للقائد الأعظم آدم ومن ورثه في الحُكم والاستواء والنظر والتصريف بإذن الله بل كلّ حقيقة كرسيّ الاسم الخاص به فالرّحمان علّم على رتبة الإيجاد فقبل الإيجاد صفة وبعده اسم وهو الرّحمان ككلّ اسم خاصّ من أسماء التّشّيت فإنّه علّم على رتبة تلك الحقيقة فقبل النفوذ صفة وبعده اسم خاص تجلّى به فلا يتجلّى به في غيره أبد الأبدين فأمّهات الأسماء تصلح لكلّ حقيقة لاتّسع الأمر الإلهي ثم إنّ لله خزائن أعظم من خزانة آدم كلّ خزانة بشمسها وكواكبها وهي كثيرة لا يعلم عددها إلاّ الله فقط ﴿ وَإِنْ نَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾¹ فكلّ خزانة نعمة استأثر الله بحقائقها بل

¹ سورة النحل الآية 18

كَلَّ حَقِيقَةً لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا إِلَّا اللَّهُ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾¹
أي من عالم الأمر وهو غير متحيّز فلو اجتمع الخلائق كلّهم على أن يُحيطوا بكنهه
برغوث مثلاً ما قدروا لاشتماله على الروح

البيان

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾²

السّارد

ثم إنّ الروح مُتعدّد فللجسد الحيوان روح يناسبه وللجامد مثلاً روح يناسبه يناسب
ماهيته وللروح روح فالجسد بلا روح كخشبة فالجسد الآدميّ مثلاً مُقدّمة صغرى
وروحه مقدّمة كبرى فالإنسان نتيجة وهو المقصود ولا يُقصد من المقدّمات إلاّ النتائج
وللإنسان روح وهو روح القدس وهو المتقدّس من صفات الحوادث غالباً وهو قوّة
الأسماء الإلهيّة وهو المنفوخ يعني المكفيّ على الإنسان الكامل الآدمي فروح
الحيوانيّة هي التي تفارق الجسد من كلّ جسد وهو الذي تعنيه الفقهاء والصوفيّة
والروح القدسيّ هو النفس الناطقة وهو الذي تشير له الأكابر من وراء الأستار فكلّ
خيمة من خيام الله قائدها لكنّ الخلافة إنّما هي في حقّ العابدين الجن والإنس
وغيرهما سهم الرحمة لا يعبدون وإنّما يُسبّحون ويقدّسون له تعالى « فخير العبادة
أحمزها »

البيان

أحمزها أي أشدها. حديث

السّارد

فالإنسان جوهر مركّب من روح وجسد فالجسد ترابيّ لم يقدر على التشكّل ولا على
سماع كلام الله بلا واسطة

البيان

واسطة الروح

¹ سورة الإسراء الآية 85

² سورة البقرة الآية 26

السّارد

وهو مركّب مع شهوة حيوانية كأكل وشرب ونكاح ونفسيّة كالرياسة والعُجب والحسد وعقليّة من معرفة الله والعلوم الدّنيّة والكسبيّة فالكسبيّة أربعة ما يُدرك بالحواس والثاني ما يُدرك بالسمع من الشرائع والثالث ما يُدرك بالمقدّمات الفكرية وقد اختصّ به الإنسان ولا حظّ في الفكر للملأك وإن كان عاقلا كالجنّ

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

ليست لهم القوّة على الاستنباط

البيان

حدّهم التسبيح فقط، لا عقل لهم، هؤلاء الملائكة

السّارد

والرّابع ما يُدرك بأنوار الطّاعة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾¹

البيان

هذا العلم الدّني

السّارد

وما يُعلم بالوهب خرج من الأسباب الأربعة وهو ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾² وهو الوجه الذي شاء وهو الوهب والتجلّي القهري فليس بمنفّي فإنّه « انكم لن تروا ربكم حتّى تموتوا »³ فأخرج نفسه يعني بطرق الاكتساب وأمّا بطريق الوهب والتجلّي القهري فليس بمنفّي فإنّه إراءة لا رؤية

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

أي الله هو الذي أراه قهرا، لا أنّه تكسّب وراه، ومن هنا سيدي إراءة العرائس...

البيان

¹ سورة البقرة الآية 282

² سورة البقرة الآية 255

³ رواه مسلم وابن خزيمة مرفوعا

إراءة العرائس، الإراءة، نعم، الحقّ سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾¹ بمعنى هذا أنّ الحقّ سبحانه
وتعالى لا يمكن لأحد أن يحيط بكنهه، هذا هو المنفيّ، الإحاطة بالكنه منفيّة أمّا
رؤية الحقّ بكيفيّة يُريها هو لغيره فهذا غير منفيّ، فقد يقول الإنسان إنني وقفت بين
يدي ربّي وقال لي، في مجال الرّؤية، فكُونُ رؤية الحقّ سبحانه وتعالى بالكيفيّة التي
يُريها الله لعبده هذه ليست منفيّة، المنفيّ هو الإحاطة بالكنه، هذا منفيّ لا طريق إليه
ولا سبيل إليه أبدا لا في الدّنيا ولا في الآخرة لذلك قال « إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى
تَمُوتُوا »، أي الرّؤية التي أراد الله تبارك وتعالى أن يتجلّى بها لخلقه في عالم البرزخ،
وفي الجنّة وفي العرصات، فهذا حاصل لأنّ صلّى الله عليه وسلّم قال « سَتَرُونَ
رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ »² لكن هذه الرّؤية ليست رؤية إحاطة ولا رؤية الكنه، ولكن
هي رؤية عن طريق سبحات الجلال، وعن طريق النور الذي يتجلّى به الحقّ
سبحانه وتعالى وكلُّ واحد يُدرك أنّه يرى ربّه بالكيفيّة التي لا يرى غيره، فعوام الناس
يرون الحقّ سبحانه وتعالى بكيفيّة مختلفة عن رؤية العارفين بالله، ولذلك عامّة
النّاس يتفضّل عليهم الحقّ سبحانه برؤية مرّة في الأسبوع وأمّا العارف فإنّه يراه في
كلّ نفس من أنفاسه تحصل له المعرفة، والتي تحصل في كلّ نفس تُغاير وتختلف
عن المعرفة الثانية وهكذا ويحصل لهم التلذذ بهذه الرّؤية طيلة الخلود في الجنّة
ولذلك قال الله تبارك وتعالى ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾³
جنتان، جنّة التنعّم وجنّة المعرفة، جنّة التنعّم هي لعامّة الخلق وجنّة المعرفة هي
لخواص الخلق الذين لا يتنعّمون كما يتنعّم العوام، العوام يتنعّمون في الجنّة كتنعّمهم
في الدنيا لكن العارفين تنعمهم في الجنّة يخالف تنعم العامّة لذلك يقول إنّ عنبه
واحدة في الجنّة يتلذذ بها العارف أفضل وخير من تلذذ وتنعم جميع العوام في الجنّة،

¹ سورة الأنعام الآية 103

² أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جرير

³ سورة الرحمن الآية 61 و62

لأنّه تلذذه ليس كتلذذ غيره، وتلذذه ذوقي وتلذذ وتنعم العوام هو إفضال من الله تبارك وتعالى عليهم بما شاء هو بالكيفيّة التي يراها لذلك اختلف هنا الأمر، مثلا عياني، تلك اللوحة التي في الحائط (ويقصد لوحة من الخزف في حائط منزل سيدي الحبيب) إذا أتينا برجل من أي الناس وقلنا له انظر إلى هذه اللوحة وماذا حصل لك من رؤيتها ؟ يقول لك بها زينة فقط، إذا أتينا بفنان صناعي مُتقن إذ ذلك يتذوّقها ويصير يشرح جميع خطوطها وجميع رموزها وجميع ما فيها من خطوط حتّى يُذهلك بعلمه وبفنه، وذلك هو مثال الذي يُتري لعوام الناس في الجنة وللعارفين، فمثال العارف مثال الصنّاع الذوّاق الفنّان الناهض، ومثال العامي هو الإنسان الذي يرى الأشياء سطحية من خلال السطح فقط ولكن يتنعم بها وتعجبه، ولكن لا ينبهر بها بخلاف العارف فإنه ينبهر، لذلك كان موسى عليه السلام حينما كلمه الله، وحصل له التّكليم بجميع مسامّه، لم يسمع الكلام بأذنيه لكن سمعه بكليّته، بجميع أجزائه، بألف عين، وألف سمع، لمّا قيل له كيف حصل لك ذلك الكلام، وما هو الأثر الذي حصل لك فيه، قال لهم ماذا أقول لكم ؟ لو وصفت لكم جميع ما يحصل به التلذذ، التلذذ في الدنيا ما بين الرّجل والمرأة وذلك أعظمه، فذلك فوق فوق فوق، لا يمكن أن يفسّره أبدا، مهما كان، هذا هو تلذذ العارفين، فالعارف تلذذه هو معرفة الله، وأنّه يرى ربّه في كلّ نفس من أنفاسه فلا ينشغل بتلك النّعم، أي نعم الجنّة إلّا على سبيل أنّها مهديّة من الله تبارك وتعالى فقط، لذلك تكلم هنا على هذا الموضوع، وهو موضوع نفيس، وهو صادر عن كشف، كلّما يقول هنا هو مُكاشف، شيء مكاشف به، وليس هو علم كسبي، إنّما هو علم من العلم الدّني الوهبي الذي يُفاض على عباد الله المقرّبين من الله، ومنهم الأنبياء والرسل والأقطاب والعارفين الكبار، ويحصل لهم الكشف ويروا رؤية كراي العين وليست هي برأي العين، وينطبع كلّ ما يرونه في داخلهم ثم يصير علما يحكونه، بنفس الألفاظ التي تلقّوها، لا يخرجون عنها أبدا، حتى كتابتهم هي موهوبة بتلك الألفاظ التي يكتبونها ويحرّرونها، إنّما هي مُملاتٌ عليهم ومُتلقّاتٌ ويضعونها كما هي، أُفيضت عليهم من حضرة القدس، ولذلك كان

للروح روح ثانية، الروح، روح التي يحيا بها الإنسان ويتكلم ويسمع ويتحرك ويسكن هذه الروح مُشتركة مع جميع الحيوانات، سواء كان ناطق أو غير ناطق، كل من يتحرك ويسكن ويصيح ويسمع ويرى، هو يرى بهذه الروح، لكن هذه الروح لها روح آخر وهو سرّ الرّوح، فإذا تقدّم إنسان في طاعة الله وصار مُتعلّقاً برّبّه مطيعاً له في كلّ أوقاته وفي كلّ أحيانه، تنفتح تلك الروح، فتعلق بهذا السرّ، فيعلق بذلك، وهذه الروح هي التي تُخاطب في الملام الأعلّى، أي روح الروح الذي هو السرّ، والروح كلّها هي من عالم الأنوار، أما الجسد في حدّ ذاته فهو شيء جامد، ليس له من أمره شيء بدون روح، فعندما تعلق الروح بالجسد يتكوّن شيء آخر وهو الإنسان الذي هو بين الرّوح والجسد، وهو المُخاطب من الله وهو المُحاسب وهو المتلذذ في الجنة وهو المعاقب، هو الإنسان الذي هو بين الروح والجسد، الذي هو مركّب من الروح والجسد، اللّائتان هما الإنسان، لذلك كان للروح روح أخرى تنيرها وتنير لها السُّبُل وتعينها على الطاعات أما الروح الحيوانية هي تتساق مع الجسد، المُركّبة فيه الشهوات التي تكلم عليها، التي ورد فيها قول الله تبارك وتعالى ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾¹ ذلك كله للجسد، الجسد هو مركّب من هذه الأشياء، والروح هي تتساق مع هذه الشهوات، فتتبع الجسم في ما يرغب فيه بحسب طبعه، فإذا اعتدلت هذه الروح، اعتدلت بالطاعات، تصير تسمو وتسمو حتى تصير كالروح الأولى، أي قبل تعلقها بالجسد

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

إذا كانت مجاهدة كبرى

البيان

إذا كانت مجاهدة أو موهوبة من الله تبارك وتعالى، لذلك نحن دائماً نعتقد بأنّ الروح هي مالكة، والجسم مملوك للروح، لكن نظراً لمرحلة الصّبي التي كان فيها الإنسان

¹ سورة آل عمران الآية 14

غير مسئول وغير مُكَلَّف تلك الفترة تؤثر في الرُّوح، كلَّ إنسان يميل إلى اللُّعب وإلى اللُّهو، ويسير مع طبع الجسم، فتستمرّ الرُّوح كذلك مع متطلّبات الجسم ولوازمه، فإذا بلغ، وحصل التّكليف، وصار مأمور بالأحكام الشرعيّة، فيبقى في الرُّوح ذلك التّعلّق بالجسد، وإن كانت هي مالكة، تصير مملوكة للجسد بالشّهوات، فإذا تطهّرت، يتطهّر الإنسان بطاعة الله، إذا تبدأ الرُّوح تصفى، حتّى تتعلّق، تكون من النّفس الأمارّة إلى النّفس اللّوامة إلى النّفس الملامة إلى النّفس المطمئنّة إلى الرّضيّة إلى المرضيّة إلى الكاملة، وهناك تترقى، هذا قد يُدرك بالمجاهدة وبالطّاعة وقد يدرك الإنسان هذا بالجدب الإلهي وبالقهر الإلهي فلا يكون للإنسان فيه إلّا العمل، أمّا كلّ الفعل هو يكون في جذبٍ وقهرٍ من الله تبارك وتعالى، وهذا مرتبة أخرى خصّها الله تبارك وتعالى للمُخلصين من عباده الذي قال للشيطان إلا عبادي المخلصين ﴿ **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ** ﴾¹ فهذا لا سبيل إليهم أبداً، لأنهم الله هو الذي جذبهم وهو الذي حفظهم وهو الذي رعاهم وهو الذي معهم في كلّ جميع أحوالهم وتقلباتهم، إلا أنهم، من هذا المعنى، يكونوا مُمتحنين كثيراً، ويصبرون على الامتحان، أما عامّة النّاس لا يُمتحنون، الأمور سهلة عندهم لأنّ « **أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ** »² كلّما قال الإنسان أنا أعبد الله أو أنّي أعمل للتقرب، إلّا ولا بدّ له من الامتحانات، وكلما إنسان عبّد الله تبارك وتعالى وأظهر الضّعف وأظهر المذلّة وأظهر الاستكانة وأظهر السكون، إلّا ويكون بعيد عن الامتحانات وعن الابتلاءات، هؤلاء عامة النّاس، أمّا الأنبياء والأَمْثَل فهم دائماً مراقبون، دائماً في حالة المراقبة الشديدة من الله تبارك وتعالى، فلا يمكن لنفسٍ من أنفاسه أن يخرج عن الأدب، وكل مراقبة هي في الأدب، في أدب حضرة الله تبارك وتعالى، لذلك هذا الكتاب الذي هو معنا هو مستنبط منه الكثير من العلوم التي هي مستتدة إلى الكشف وإلى الوهب

¹ سورة الحجر الآية 40

² رواه أحمد في المسند والترمذي في السنن وابن ماجه في السنن، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وقال

الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"

وإلى العلم اللدني وإلى الفيوضات الإلهية التي تُفاض على العارفين، هم عندما يتحدثون فهم يتحدثون بما ألقى إليهم وبما أفيض عليهم وبما أخرج، الذي أن يخرجوه، وأنّ هناك علوم كثيرة، لا يُأمرون، لا يستطيعون أن يُفشوها وإلاّ قُطعت منهم الأعناق، إنّما يتكلمون عن العلم فقط ولا يتكلمون عن السرّ، لأنّ تلك الأسرار إذا أفضوها يتعرّضون إلى الامتحان وربما الطرد وربما السلب وأعظم ما يلقي العبد ويُبعده عن الله هو السلب، الذي هو كان يتعوّذ منه جميع الناس الذين يقولون اللهم إنا نعوذ بك من السلب بعد العطاء، هناك مسائل كثيرة التي يمكن للإنسان أن يعرفها على سبيل المعرفة أنّه هناك علوم يكتسبها الإنسان عن طريق السمع، عن طريق العين، عن طريق اللمس، عن طريق العقل، لكن علوم أخرى كالعلم الوهبي هذا لا يكتسب وإنما هو سر من أسرار الله يقذفه في قلب من يشاء من عباده، سيماً الذين يُؤمرون بالتبليغ، تبليغ رسالة الله إلى خلق الله، لأنهم كُفّوا وأمروا وصاروا على النهج السليم والصحيح، يُحبّبون الخلق إلى الله ويُحبّبون الله إلى الخلق، وهذا من شيمة المأذون لهم في هذا الأمر، وليس كلّ الناس يمكن لهم أن يأمروا وينهوا، إلاّ من كان عنده الإذن، لأنّ الذي يكون له الإذن يكون محفوظ، والذي لا يكون له الإذن فيكثر فيه الزلل وعدم المعرفة بنفوس الناس وكيفية النصح للناس وكيفية الأمر بالمعروف وكيفية النهي عن المنكر فيحصل له ارتباك في أمره، فيُسيء من حيث أنه يظنّ أنه يُصلح، وأما المأذون لهم فتكون الحضرة كلها أمامهم كتابا مكتوبا مرقماً يُشاهد أمامهم وينتقون منه ويبلّغون، بحسب الأوقات والزمان وبحسب ما يطرأ على عوائد الناس وعلى أفهامهم وعلى علومهم، ويكونون هم يرون ذلك، ويُبلّغونه كما هو في كلّ نفس بدون تفكير. هناك اختلف الناس على علم الظاهر وعلم الباطن، علم الباطن هو ذوق وعلم الظاهر هو اكتساب والعارف يجمع الله له ما بينهما، بين بعض الاكتساب ويعينه عليه، وأيضا على العلم الباطني ويفاض عليه، هذا هو، كثير من الناس ربما يسمعون كلام العارفين ويُحكّمون عقولهم يظنون بأنّ هذا الأمر يمكن استعمال العقل فيه، فبالعقل واحد مع واحد يساوي اثنين واثنين مع اثنين يساوي

سته هذا لا مجال للعقل في هذا الأمر، العلم الذوقي لا مجال للعقل فيه، الإنسان أي العقل المميّز لا العقل الربّاني، العقل المميّز، وأمّا العقل الرباني هو داخل في هذا الأمر لأنه أيضا هو هبة من الحق سبحانه وتعالى، فنتكلم عن العقل التمييزي الذي يشترك فيه الحيوانات كلّها الناطقة وغير الناطقة، أما العقل الرباني فهذا وهب، هذا وهب، يهبه الله تبارك وتعالى ويضبطه لمن يشاء.

السّارد

فنهاية أكابر أولياء الجن المؤمنين التعلق بالأسماء وأكثر علومهم السيمياء كعلم خواص النبات وكفارهم يترققون بالسحر وغيره من أنواع الإضلال والضلال فهم كالريح يجرون من بني آدم مجرى الدّم ويرون بيني آدم في الدنيا من حيث لا يرونهم بخلاف الآخرة ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾¹ وعليه فلا ينفع من شرهم إلا التعلق بالله القاهر لهم ولغيرهم

البيان

وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم

السّارد

وعليه فلا ينفع من شرهم إلا التعلق بالله القاهر لهم ولغيرهم وهو معنى التعوّذ

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

هذا يعني سيدي أنه من عملها بنية صالحة تجزيه على جميع الأسفار والشورور

والمكايد التي يعملونها

البيان

تدفع عنه

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

تدفع عنه كلّ شيء

البيان

نعم التعوّد بالله، التعوّد بالاسم

السّارد

¹ سورة الأعراف الآية 27

فالمَلَكُ جوهر مركب من روح وجسد نورانيّ أو نوريّ أقدرهم الله على التشكّل وعلى سماع كلام الله بلا واسطة فهم معصومون أراضيهم وعلويهم وهم مطبوعون على شهوةٍ عقليّةٍ فقط

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

سيدي، يقول سيدي الحاج الأحسن رضي الله عنه في بعض الأماكن مثال الملائكة يقول بلا واسطة لكن في جلّ الكتب الأخرى يقول لا بدّ من وساطة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ولا بد من وساطة الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وإن لم يظهر فإنّه دائما موجود في كلّ ما ...

البيان

نعم، الوساطة هي بخصوص المكلفين، المكلفين الذين تنطبق عليهم الأحكام الشرعية، هؤلاء هم الذين وساطة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي مُعتبرة لا بدّ من ملاحظتها وحتى إن لم تلاحظها فهي قائمة، أما هؤلاء الغير المكلفين فهم لا وساطة بينهم وبين ربّهم، لأنّهم الذين يأتون الرّسل ثم الأنبياء، هذه واسطة غير المكلف، أما المكلفون فواسطة كلّهم، لا بدّ من وساطة سواء لوحظت أم لم تلاحظ، ذاك غير المكلفين، إذا هذا هو الفرق فقط، ليسوا بالمكلفين، الملائكة ليسوا مكلفين، إنّما هم كما قال الله تعالى عباد ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾¹

السّارد

هو عالم الأمر

البيان

نعم، عالم الأمر هو عالم القِدَم، وعالم القِدَم هو عالم الغيب، عالم الغيب في غيب، فلا يُدرَك ولا يقدر أحدا أن يصل إليه أو يتحدّاه لأنّ كلّ ما عدا عالم الأمر هو من عالم الخليقة، وعالم الخليقة هو من عالم الأمر، أي وجوده من بروز أسماء الله وصفاته من عالم الأمر، فعالم الأمر هو غيب وهو من القِدَم، والعالم الآخر الذي

¹ سورة التحريم الآية 6

هو عالم الشهادة هو عالم الحدوث ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾¹ أي من عالم الأمر الذي هو عالم القدم، عالم الذات، عالم الكنه، عالم التصريف الإلهي ولا يُحاط به، ولا يُدرك أبداً، والروح هي إذا من عالم الأمر، هي صدرت عن عالم الأمر، وبقي لها ذلك الاستمداد من عالم الأمر، بقيت مخفية، ولا يستطيع أن تُمس ولا أن تُدرك ولا تتحيز وليست بجسم ولا عرض ولا جوهر، هي من عالم اللطائف، وعالم الأمر إذا هو عالم الغيب هو عالم الكنه وعالم الذات، الذات الإلهية، التي منها تصدر كلمة كُن فيكون، وما عدا عالم الأمر هو عالم الخليفة، كل ما عدا الله هو حادث، العرش والكرسي والقلم والسماء والأرض والملائكة وكل هذا مخلوقات، وكل مخلوق هو حادث، وعالم الأمر هذا عالم لا يدرك، لأنه عالم الذات، عالم الكنه الساذج، نعم

السارد

فليسوا بذكور ولا باناث (أي الملائكة) بل هم ذوات نورانية عقلا مكلفون من حيث السماع من الله تعالى ومن حيث توجه رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وبعدها إليهم فهم عالمون بأنه الرسول المطلق بجميع أفرادهم من العوالم كلها

من الرّفرف

البيان

عالم الرّفرف

السارد

إلى مُنتهى مواطنهم فعلمهم كامل من نشأتهم فلا يزيد ولا فكر لهم فهو الذي يُوسّع دائرة العلوم (أي الفكر) وإن أمكنت فيه الشبهات فله حرّمه لإمكان الشبهة العقلية فطهرهم الله منه وليست شهوة نفسية ذوقا لهم وعليه فقولهم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ ﴾² سؤال استعلام فقط فلا يُتصوّر فيهم الاعتراض على ربهم ولا تكبر على آدم ولا رد فعل ربهم فليتقي الله المُفسرون وغيرهم فإنهم (أي الملائكة) أصفياء الله وإنما أسجدهم لآدم تشريفا لهم حيث اقتدوا بإمام خليفة الله تعالى لا تتكيلا كما قيل فإن كل

¹ سورة الإسراء الآية 85

² سورة البقرة الآية 30

ملك طُبع على سر اسمٍ واحد وليس له اسمان فأكثر فأدم طُبع على الأسماء كلّها
ويتنفس بتنفس الأسماء كلّها كالقطب

البيان

نعم، خليفة الله، وراثة

السّارد

ويسبّح ويقدّس بالأسماء كلّها في كلّ نفس إلى آخر الأنفاس فلو سبّحت الملائكة
أجمعهم ما وصلوا نفساً واحداً من أنفاس آدم ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾¹

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

أي آدم وورثته

السّارد

وإنما أكّد ليدريه على الأسماء التي لم تُؤثّر إلى الآن والملك إنّما يسبّح بأسم واحد ﴿
وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾² لكن خفي عنهم أنّهم إنّما يسبّح كلّ فرد منهم
باسم واحد خاص به وآدم يسبّح بكلّ اسم في كلّ نفس سواء نفذ الاسم زمننا أم لا فـ
﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾³ بذلك وليس لنا إلا ما علمتنا من أسمائك فالملائكة
مؤتمّون مهتدون بآدم وهو معلّمهم ومشرفهم وهم مسخّرون تحته لمصالحه ولمصالح
بنيه ويستغفرون لمن في الأرض فالملائكة كلّهم تحت دائرة القطب صلى الله عليه
وسلم ومن استخلفهم صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة ثم إنّ روح الإنسان أعظم
أنواع الملائكة فعوالم الله لا نهاية لها أبد الأبدين فالله خلاق على الدوام وقد أدرك
كشف العارفين منها مليارين من الشمس

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

يعني نفسه سيدي الحاج الحسن رضي الله عنه، مليارين من الشمس كلّ شمس
بعالمها وما لم يدركه الكشف أعظم، قال سيدي الحاج محمد القاري رضي الله عنه لم
يُحقق فيها رضي الله عنه، التفت فقط فشاهد مليارين من الشمس، لو حقق لا حدّ

¹ سورة البقرة الآية 31

² سورة البقرة الآية 30

³ سورة البقرة الآية 32

لها، لم يحقق إنما هي نظرة فقط، مليارين من الشموس في نفس واحد، وزاد سيدي الحاج محمد القماري فقال: وباقي ... أكثر

السّارد

كلّ شمس بعالمها وما لم يُدركه الكشف أعظم ما نفذت كلمات ربّي أبد الأبدين ثم إنّ الذي يفنى ويموت ويتشتت إنّما هو هذه الأراضون السّبع والسماوات السبع فقط ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾¹ يعني غير السماوات معناه أنّ الله سبحانه وتعالى يأمر المؤمن وأملاكه ومُتعبّداته فتنظّم إلى الجنّة ويأمر الكافر وأملاكه ومُتعبّداته لينظّم إلى النار فلم يبقى بعد الفناء إلا الدّاران الجنّة والنّار فالأفلاك كلها تنظّم إلى النار كالبهار كلها ككل معبود من دون الله ما لم يكن عاقلا تبرّاً منهم كعيسى وعزير ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾² التي يعبدونها

البيان

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾³ أدخلها جميع معبوداته ولكن استثنيت منها المسيح الذي هو تبرّاً منهم في قوله تعالى ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾⁴ ثم قال ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾⁵

المسيح خرج بالتبرّي لأنهم كانوا يقولون ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾⁶ لذلك تبرّاً منهم قال ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ

¹ سورة إبراهيم الآية 48

² سورة البقرة الآية 24

³ سورة الأنبياء الآية 98

⁴ سورة المائدة الآية 116

⁵ سورة المائدة الآيات 117 و118

⁶ سورة التوبة الآية 30

عَلَيْهِمْ ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ وَلِذَلِكَ خَرَجَ مِنْ عُمُومِ الْآيَةِ ﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴿، هذا هو المعنى، نعم

سيدي عبد الغني ابن سيدي محمّد الكبير

ما هي المُتَعَبِّدَات

البيان

المتعبّدات هي الشّمس والقمر، كانوا يعبدون الشمس ويعبدون القمر

سيدي عبد الغني بن سيدي الحاج محمّد الكبير

بالنسبة للمؤمن

البيان

كلّ متعبّداته كالمساجد الذي كان يعبد الله فيها والأماكن التي كان يعبد الله فيها وكلّ ما كان حجّه، والكعبة التي تعبد فيها وكل ذلك ينضم إليه، لأنّ الجنّة هي موجودة، مخلوقة والنار مخلوقة والعمل الذي يقوم به العبد طاعة لله هو يجعل الله له تبارك وتعالى لذلك العمل الأرض التي بصورها، أرض بصورها، بقول لا إله إلا الله تعطى له تلك الأرض، وبالعامل يبني، يقع البناء والدرجات، وبالتسبيح والتحميد يكون الغرس، الجنان، ولذلك المؤمن ذلك الشيء الذي كان عنده ويحبّه ويعينه على عبادة الله ينضم إليه، والكافر كل ما كان يعينه على معصية الله كذلك ينضم إليه، إلاّ ما استثنى، كالمسيح وعزير، كذلك عزير، قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، الله تبارك وتعالى هو يبرّؤهم من قولهم الذين يقولونه، هذا هو، كي يخرجوا من عموم تلك الآية، إنكم وما تعبدون من دون الله

حصب جهنّم، نعم ثم قال

السّارد

ومعنى القيامة تشتت السماوات والأراضين وأهلها ومنهم رؤوس الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والموت بنفسه يتصوّر في صورة كبش فيُذبح بين الجنة والنار

البيان

الموت الذي هو شيء معنوي، ولكنّه مخلوق لذلك قال الله تبارك وتعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾¹ فالخلق منسوبة للموت أيضا، الموت عدم ونُسب له الخلق باعتبار أنه في علم الله، أي أنه معلوم في علم الله كل ما كان موجود في علم الله أنه يكون يُخلق من بعد فإذا تعلق القدرة بإخراجه وإيجاده سيصير مخلوقا ولو أنه عديمي ولكن ليس عدم المحض، هنا يُفرّق ما بين العدم المحض والعدم الغير المحض، فالموت عدم ولكن ليس عدما محضا، فهي مخلوقة كما خلقت الحياة ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ فهو عديمي ولكن ليس عدما محضا بدليل قوله تبارك وتعالى ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ ﴾ لذلك قال الموت يؤتى بها وتُذبح ما بين الجنة والنار ثم يُقال يا أهل الجنة خلودٌ ولا موت ويا أهل النار خلودٌ ولا موت، قال صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يُجاء بالموت كأنه كبش² أملح³ فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشربون⁴ فينظرون ويقولون نعم هذا الموت وكلُّهم قد رآه ثم ينادى يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشربون فينظرون ويقولون نعم هذا الموت وكلُّهم قد رآه فيؤمر به فيذبح ويقال يا أهل الجنة خلودٌ ولا موت ويا أهل النار خلودٌ ولا موت⁵ »، نسأل الله تبارك وتعالى أن ينعم علينا بهذه النعمة العظيمة آمين

¹ سورة الملك الآية 1 و 2

² الذكر أو الفحل من الضأن

³ فيه بياض وسواد

⁴ يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر

⁵ أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، عن أبي سعيد

على كلِّ هذا السرد الذي سرد سيدي الحبيب ينبغي أن ينتبه له الإنسان ويُسجل ملاحظاته حتى تكون مذاكرة جماعية بينكم، وتتناقشوا في هذه الأمور للتفكر وزيادة التفكر والمعرفة، وحتى يكون الإنسان دائماً لا يؤخذ على غرّة، يعني عرف ما كان، ويكون السرد وبعد ذلك يتذاكره الإنسان، ويسأل عن هذه الأمور، حتّى يتقرّى العلم، الذي تُليّ يتقرّى، يتقرّى في ذهن الإنسان، ويزيده علماً آخر إذا تكلم في ذلك الأمر، الإنسان يسمع ولكن ربّما لا يمكن أن ينطبع كلّ الذي يسمعه، لا يمكن، ولكن إذا الإنسان اهتم بفقرة أو بعض الفقرات، ويحاولون أن يتذاكروا فيها ويجتمعوا عليها، حتّى يحصل كلّ الناس تنتفع، والحمد لله، ويكون النفع ويكون التنوير إن شاء الله، نتذاكر حتّى يكون يحصل النفع والانتفاع، المذاكرة مهمّة جدّاً، المذاكرة بين الناس، والحمد لله كلّهم تبارك الله مثقفون وعلماء وخريجي معاهد، ولكن الشيء الذي هو مهمّ وينبغي الإنسان أن ينتبه إليه هو أنه حتى السؤال في العلم ينبغي للإنسان أن ينوي فيه أنه في ذلك الوقت أنه يعبد الله به، سبحانه وتعالى، حتى يحصل للإنسان ذلك النور في قلبه، لا ينويه أنه يريد به فقط المناقشة أو المجادلة أو التعجيز، لأنّه إذا نوى الإنسان بسؤاله أن يُعجّر المُقدّم أو العالم، أنه يظهر له أنه عجزه، لأنه يظهر له الله تبارك وتعالى بأنه عجزه، ليرجع ذلك الكيد إلى نفسه، حتى يرجع الكيد إلى ذلك الذي لا يريد من ذلك السؤال إلاّ التعجيز، فيرجعه كيده إلى نفسه، فإذا أراد الإنسان أن يسأل أولاً يُحسن الظن في من يسأل، ثم بعد ذلك ينوي أنّه يقصد العلم والتعبّد به ويقول صلى الله عليه وسلّم « **حُسن السؤال هو نصف العلم** »¹، وحسن السؤال أي آداب السؤال، أن يكون الإنسان قاصداً وراغباً في أنّه يحصل على علم وعلى معرفة، لا أنّه يجادل ولا يحاجج، ولا يقصد أنّه يكيد للعالم أو الذي يسأله، لأنّه

¹ السيوطي في جامع الأحاديث

إذا كانت عنده، فإنّه يرى العجز فيه، فيراه بعينه، ويرجع عليه، ويكون له عيًّا¹، إذا نتذكر مذاكرة جيّدة، ولا بدّ من الأدب.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ
وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ
وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ
حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

¹ عَيٌّ بالشيء عيًّا، إذا لم يُطقه. والعَيّ: ضدّ البلاغة

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

رضي الله عنه إلى تونس



اليوم الثاني

الجمعة 24 رجب 1430

القرص - 1 -

لقاء مع بعض

الفقراء

في منزل الفقير

هشام بن ثبته

حضر سيدي الحاج محمّد الكبير صلاة الجمعة بزواوية تونس بباب الخضر، وكانت الزاوية تعجّ بالفقراء الذين أتوا من جميع أنحاء البلاد للقاء سيدي الحاج محمّد الكبير، ثمّ اثر الصّلاة توجّه سيدي الحاج محمّد الكبير والوفد المرافق له مع سيدي الحاج الحبيب بن حامد مع مجموعة من الفقراء إلى منزل الفقير هشام بن تيتية الذي يبعد بضع دقائق، وكان المنزل مليء بالفقراء وكلّهم متشوّقون لرؤية وسماع ما سيقول سيدي الحاج محمّد الكبير، ولو كان المكان أكثر اتّساعاً لرحل جميع الفقراء إلى المنزل شوقاً ومحبةً وفرحاً بلقاء سيدي الحاج محمّد الكبير

مشهد لفقير من مدينة "صفاقس"

سيدي المرّة الأخيرة، بينما نحن نذكر الوظيفة، كان سيدي الحاج الحبيب وسيدي الحاج محمّد الفماري رضي الله عنهما جالسان بجانبني وعند قراءة جوهرة الكمال في المرّة السابعة دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه وأرضاه والصحابة الأربعة رضي الله عنهم، ثم شاهدت رجلاً يلبس سيدي الحاج الحبيب عمامة رسول الله صلّى الله عليه وسلم وعندما تحقّقت وجدتك أنت سيدي (أي سيدي الحاج محمّد الكبير) الذي كان يلبسه العمامة وألبسته بردته الشريفة ونعله وعصاه صلّى الله عليه وسلّم.

فاتّصلت بسيدي الحاج الحبيب وسجّلتها بتاريخها

سيدي الحاج محمّد الكبير البعقلي رضي الله عنه

كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ»¹ الرؤية الصالحة هي رؤيا يراها العبد الصالح أو تُرى له، من عباد الله من يُكشف له فترقُّ له الحُجُب وتظهر له المشاهد، المشاهد الحقيّة كأنها هي

¹ أخرجه البخاري في باب الرؤيا الصالحة من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم في كتاب الرؤيا من حديث أبي هريرة

مشاهد ظاهرية عيانية فتكون تلك الرؤية صادقة ومُبشّرة وناطقة بالحقّ، ومن عباد الله من لا يرى إنّما يرى له، لا يرى وإذا رأى شيئاً يكون مُعتمّماً، رموز كرؤوس الأقلام وحروف الفقرات لكن يرى له أي يرى غيره من عباد الله الصالحين يرى له رؤية حقيقة مُبشّرة ناطقة بالحكمة وبالصواب والسداد في الأمر وكِلا الرائي والمرئي له هما صالحان، سواء رأى بنفسه أو أريت له فلذلك قال صلى الله عليه وسلم « **الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح** »¹ أي العبد المُتقي العبد الصادق، لا يرى الرؤية الصالحة إلا الصادق، من صدق مع الله وصدق مع خلق الله وصدق في نفسه، وصدق مع نفسه، لا تكون رؤية حقا إلا بالصدق إذا كان الإنسان صادقا صدوقا، فأن يراها لغيره ولا يراها ذلك الشخص، لأنه هناك رجالاً جعل الله تبارك وتعالى رؤاهم عند عبادٍ آخرين، ممن هم أحسنوا الظن في الله وفي عباده وممن صدقوا في قولهم وفعلهم وممن أتقنوا وأحسنوا العمل لله تبارك وتعالى، لذلك فرؤية الصالحين هي حق كلّها ولا تحتاج إلى تعبير فهي معبّرة بنفسها ومعبّرة بالرأي أيضاً، لأن الرجل الصالح يرى أو يراها له رجل صالح، والمرأة الصالحة إذا هي أيضا داخلة في هذا الأمر، فينبغي للإنسان أن تزيده هذه الرؤى تمكينا وتصديقا وتسليما وألا يتوقّف عندها ينبغي له أن ينساها ويتقدّم إلى الأمام، فالخير أمامه لا يبقى عند تلك الرؤية فقط يتلذذ بها دائما فهي فقط مبشّرة لما سيأتي فعلى الإنسان أن يسرع ويتسارع إلى الخيرات مادامت نفسه بين جنبيه ومادام قلبه سالما ونظره سالما وسمعه سالما فليبحث الخير أمامه، والحمد لله هذه كرامة من كرامات العبد وهو في الرؤية الصالحة، والأنبياء أيضا قبل بعثتهم تأتي لهم رؤى صالحة فتكون مبشّرة لمآلهم وما سيكون عليه حالهم في الآن ومستقبلا، ثم تأتي المعجزات بعد ذلك، أي بعد البعثة،

¹ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّتْرَ وَرَأَسُهُ مَعْصُوبٌ فِي مَرْصِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبِيِّ إِلَّا الرُّؤْيَا يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ» أخرجه مسلم في باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع.

وتُسمى المعجزات وقبل ذلك تسمى الكرامات وتسمى الإرهاصات وتسمى رؤية
صالحة والرؤية الصالحة كما قلنا هي جزءٌ من سنّةٍ وأربعين جزءاً من النّبوة فمن كان
كذلك فله سرٌّ من النبوّة يسري فيه، أي تسري سراية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
في سرّه وفي روحه وهو ما سرد سيدي الحبيب البارحة بعض الكلام وهو أن كلّ ما
عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تتاله أمّته، كلّ ما عنده إلّا النبوّة وإلّا ما خصّه
الله به خصوصيّة، كلّ ما عنده يسري ويسير كالماء في الشجر والماء للنبات، يسري
في جميع أمّته أي الأمة المؤمنة به المُصدّقة المجيبة لدعوته المتيقّنة بأمانته وصدقه
ورسالته، ولذلك فالحمد لله، ونحمد الله تبارك وتعالى، وهذه الجموع التي شاهدناها
وهذه الرؤوس التي تطلّ هنا، والحمد لله لا يمّرّ وقت إلّا ويحصل لنا مثل هذا الأمر
وهذه الجموع والحمد لله أريئت لنا والحمد لله نحن الآن في وسطها ونسأل الله تبارك
وتعالى أن يديم علينا هذه النعمة نعمة الإيمان ونعمة التصديق ونعمة المحبّة في الله
وفي ذات الله والمحبة في رسول الله وفي شيخنا ومولانا أحمد التيجاني القطب
المكتوم وفي بعضنا بعض، لأنّ لا يكمل العمل إلّا بالصغير لا بدّ للإنسان لأجل أن
تحبّ الكبير أن تحبّ الصغير حتى توصلك محبّة الصغير إلى الكبير، أحبّ
الصغير يحبّك الله، قال الله تبارك وتعالى ﴿ **إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ¹ **﴿**
إذا أردتم محبّة الله بالصدق والاعتقاد فلا تتمّ تلك المحبة إلّا بمحبّة من أحببته
وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإتباعه في أمره ونهيه إذ ذاك يَنْقُلُكُمْ بِوِاسْطَتِهِ إِلَيَّ فَتَكُونَ
مَحِبَّتَهُ شَامِلَةً لَكُمْ وَرِضَايَ عَلَيْكُمْ وَأَطَافَهُ الْخَفِيَّةَ تَشْمَلُكُمْ وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ مَحَبَّةِ الصَّغِيرِ،
فإذا أحببت الصغير تحبّ الكبير ولا يمكنك أن تحب الكبير ولا تحب الصغير
فالصغير هو الذي تتكوّن منه الأشياء، لا يكون الشيء كاملاً إلّا بالصغير الجزء،
الجزء يتكوّن منه الكلّ ولا يمكن لك أن تتخيل كاملاً مكّلاً بدون أجزائه لذلك

¹ سورة آل عمران الآية 31

أحرصوا على أن تكون دائما أموركم تبتدئ ممن كان الواسطة بينكم وبين من تحبّون، هذا هو ما ينبغي لنا أن نوّكده لكم ولتتقيّنوه وتعملوا به، لا يمكن للإنسان أن يتزكّ الفواصل، الفواصل بها تُعرف الفقرات فإذا كتبت كتابا بدون فواصل أنّه تختلط معانيه، لا بدّ أن تقف عند الفواصل والوسائط ومن لم يشكر الوسائط لا يشكر الله¹، من لا يشكر الواسطة لا يشكر الموسوط، الواسطة هو الذي يُبلّغ إلى الموسوط وهذه سنّة الله جعلها هكذا، من أراد العلم فليأتي من الباب فليطرق، لا بدّ أن يأتي الباب ويطرق حتّى يأتي البوّاب، هو الذي يستأذن عليك فتدخل عند ذلك بأدب، وإذا دخلت بدون بوّاب تكون مُقتحما، يكون العبد مُقتحما وسيء الأدب مع نفسه ومع من دخل عليه ويكون ذلك إذا حصل له سوء فتكون العاقبة عليه لذلك قال « المؤمن في ذمة الله ما لم يغرر فإذا غرر فهو في ذمة الشيطان » ولا يكون في ذمة الله حتى يُقرّ بالوسائط التي جعلها الله لنا وسائط خير، كالسلم نصعد عليه إلى السطح ولا يمكننا أن نصعد إلى السطح بدون سلم فإذا صعدنا بدون سلم بكيفية نكون سارقين، نكون كالسارق الذي يتلصص على الدّور ويستغلّ غيبة أصحابها لينال ذلك الذي أراد أن يأتي إليه، لذلك لا بدّ لنا أن نشكر الله ونشكر الواسطة، قال سيدنا سليمان ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾² وكذلك لا بدّ من أن نشكر الوسائط الذين هم كانوا سببا في صلاحنا وفي فلاحنا وهم الذين جاهدوا وبلغوا لنا هذه الرّسالة وهذه النعمة التي نحن نستظل بظلها، نسأل الله أن يديمها علينا جميعا.

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

¹ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يشكّر الله من لا يشكّر النّاس »، أخرجه الترمذي وأبو داود والسيوطي في جامع الأحاديث، وابن الأثير في جامع الأصول من أحاديث الرسول.

² سورة النمل الآية 19

هنالك من يريد أن يدخل الطريقة (السيد بدر الدين السمعلي)

سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي رضي الله عنه

نعم، إن شاء الله، نشهد له بأنه حضر مجلسنا الذي أخذ فيه، ونكون من الشاهدين عليه، نعم، الطريقة التيجانية منسوبة إلى شيخنا ومولانا أحمد التيجاني رضي الله عنه طريقة الوصول إلى المعرفة، وما تقرب العبد إلى ربه بمثل ما افترضته عليه، قال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه »¹ فرض الله علينا أمور حكمية وشرع لنا وأمرنا بها ورتب على ذلك الجزاء والثواب والتعظيم والخلود في الجنان، ما تقرب العبد إلى ربه بشيء مثل ما افترضه عليه، إذا الإنسان تقيد بالشرع وبأحكام الشرع وبما أمر به الله وبما نهى، وعرف بالعلم كيف يسلك الطريق السليم السوي الطريق المستقيم إلى ربه، بإيمانه وصدقه وعقيدته والعمل الصالح الذي يتلوه، إذاك يصير العبد مؤهلا لأن يسلك طريق أيضا موصل ومرتب بالأولى، وهو طريق التطوع، النوافل، والتطوعات والنوافل ليست محدودة فكل عمل يقصد به العبد وجه الله ويكون ليس مفروضا عليه أي ليس ملزما به لزوما شرعيا هو عمل تطوعي خيري ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾² وكل ما بعد الركوع والسجود والعبادة يأتي التطوع والسنة، ﴿ افْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾ والحديث يقول فيه صلى الله عليه

¹ حديث قدسي رواه البخاري من حديث أبي هريرة

² سورة الحج الآية 77

وسلم « ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل (أي بعد إتقان المفروضات) حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعَه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه » إذا هذا التطوع يدخل فيه الصلوات النوافل ويدخل فيه الصوم النافلة ويدخل فيه الصدقات النافلة ويدخل فيه الحج النافلة ويدخل فيه تلاوة كتاب الله ويدخل فيه الصلاة على رسول الله، وكلّ ذكر ورد فيه اسم الله إلاّ وهو من النوافل التي يتقرب بها العبد إلى ربّه لأنّ لله حضرات، حضرة جلالية وحضرة جمالية، فالعبد يتقلّب بين الحضرتين حضرة الجلال وحضرة الجمال، فالمفروضات على العبد هي من أسماء الجلال والتطوّعات من العبد هي من الأسماء الجمالية، العبد مع ربّه في حضرة جلاله ومع ربّه في حضرة أنسه وجماله، والأنس العظيم هو فيما يتطوّع به العبد لأنّ ما افترضه الله عليك هو فيه أمر، إن فعلت ما أمرك الله به تثاب وإن لم تفعل تعاقب هذا هو الحكم الشرعي، خطاب ربّنا المقتضي فعل المكلف، هو في المفروضات والمندوبات والمنهيات أيضا من الحرام والمكروه، وكلّ هذا إذا فعلته تثاب وإذا تركته تعاقب، ولكن التطوّع هو فيه جمال وفيه إحسان والإحسان في مراقبة الله، مراقبة العبد لربّه وعلمه باطلاع ربه عليه وأنه يتقرب إليه بأنه سيده وأنه مُستحق لأن يُعبد ولأن يُتقرب إليه بما يُحب الله تبارك وتعالى أن يتقرب إليه، ومن النوافل هذه الطريقة التيجانية التي هي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِلْقَاة وَمُفَاضَاة وَمَأْمُورٌ بِهَا الشَّيْخُ مَوْلَايَ أَحْمَدُ التَّيْجَانِيُّ الْقَطْبُ الْمَكْتُومُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ وَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَأْذَنَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَكُلِّ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَوْ أَذِنَ لَهُ الْوَاسِطَةُ كَأَنَّمَا أَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهَا طَرِيقَةُ رَسُولِ اللهِ فَمَنْ بَرَزَتْ وَمَنْ أَفْبَيْضَتْ وَالشَّيْخُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُتَلَقَّى مِنْهُ وَبِأَمْرِ مِنْهُ وَبِإِذْنِهِ فَمَنْ بَلَغَهُ الْإِذْنَ فَقَدْ بَلَغَهُ إِذْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وليست بشيء يصعب على النفس إحتماله أو التّضجّع منه بل هو من أذكار بسيطة، قليلة في العدد وفي الزمان، وكثيرة في المئونة والأجر والثواب وموصّلة إلى معرفة الله، وهذا هو الشيء الهامّ، لأنّه كما قال صلّى الله عليه وسلم للصحابه « سيأتي زمان للعامل فيهم أجر خمسين منكم قالوا يا رسول الله هل منا أو منهم قال منكم ». قال صلّى الله عليه وسلّم « ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن كالقابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم » وفي رواية « قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم ، قال: لا بل أجر خمسين منكم »¹ أي العامل في هذا الزمان المتأخّر الذي هو بعيد عن عصر النبوة بقرون وقرون ومع ذلك الناس يذكرون الله ويذكرون رسول الله ويؤمنون بالله ويؤمنون برسوله وأنهم لم يروه ولم يصاحبوه ومع ذلك يحبونه ويحبون شريعته التي جاء بها من ربه لذلك كان هؤلاء الذين يأتون هم إخوان وهم أحباب رسول الله صلّى الله عليه وسلم أما أولئك الذين كانوا فهم أصحاب لأنه قال إنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون على الخير أعوانا، روى أبو ثعلبة الخشني أنّه سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن تفسير قوله تعالى ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾² فقال « يَا ثَعْلَبَةُ مَرُّ بِالْمَعْرُوفِ، وَانَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِذَا رَأَيْتَ شَحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعِ الْعَوَامَّ إِنَّ مِنْ، وَرَائِكُمْ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهَا بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ قِيلَ : بَلْ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : بَلْ مِنْكُمْ ؛ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا، وَلَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا »

¹ الترمذي، والحاكم، وأبو داود وابن ماجه وابن جرير، والبغوي في معجمه، وابن أبي حاتم، والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ثعلبة الخشني رضي الله عنه

² سورة المائدة الآية 105

¹ انظروا إخواني مثال بسيط، كلّم جنّت بنيّة أداء صلاة الجمعة سواء في مسجد بلدكم أو في المساجد الأخرى وقد مررتم في الشوارع والأزقة، كم رأيتم من أناس مشغولين في تجارتهم ومشغولين في أعمالهم ولا يأبهون لا بجمعة ولا بصلاة ولا بغيرها وأنتم شددتم الأسر وحزمتم العزم ودفعتكم هذا اليوم المفضّل أنكم لا تفوتكم صلاة الجمعة إذا هؤلاء الناس هم الذين قال فيهم صلّى الله عليه وسلّم « سيأتي زمان للعامل فيه أجر خمسين منكم، قيل يا رسول الله، منّا أو منكم، قال: بل منكم، لأنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون على الخير أعوانا » لأنه كان وقتهم وزمانهم لا يتحدّث فيه النّاس إلّا على النبوّة، وعصر النبوّة وما جاءت به النبوّة، أمّا الآن يتحدّث النّاس عن مشاغلهم في دنياهم أكثر ممّا يشتغلون بدينهم، وإذا كانت هناك جماعة مجتمعين على الله، ويحبّون أن يقيموا شرع الله ودين الله في أنفسهم، فليساعدوا أنفسهم، ما داموا في استطاعة وقدرة على أن يساعدوا أنفسهم، وهذه التطوّعات، والحمد لله، هي تقرب إلى الله وتُحبّب العبد إلى الله، وينال العبد منها تلك المرتبة العظيمة التي هي مرتبة « كُنْتُهُ »، أي يكون العبد بقربه من الله حتّى يتجلّى الله فيه بسائر أسمائه وصفاته ونعوته، ويسلبه نعوته هو، ويتجلّى فيه بنعوته هو، فيصير العبد لسانه لسان النبوّة، وعمله عمل النبوّة، كما جاء في حديث آخر: لا يسهون إذا سهى النّاس، ولا يغفلون إذا غفل النّاس، أولئك كلامهم كلام النبوّة، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، بهم يُنبت الله النبات، وبهم يسقي الله الأرض، ويمطر المطر، بأعمالهم الصّالحة، ويرحم الله القوم بالرجل الصّالح منهم، فليكن كلّ واحد هكذا يعمل، حتّى يكون صالحا، يرحم الله به ما حوله، « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى، إِذَا كَانَ الْعَالِبُ عَلَى عَبْدِي الْإِسْتِغَالُ بِي جَعَلْتُ نَعِيمَهُ وَلَدَّتْهُ فِي ذِكْرِي فَإِذَا جَعَلْتُ نَعِيمَهُ وَلَدَّتْهُ فِي ذِكْرِي عَشِقْنِي وَعَشِقْتُهُ، فَإِذَا عَشِقْنِي وَعَشِقْتُهُ رَفَعْتُ

الْحِجَابَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَصِرْتُ مَعَالِمًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَا يَسْهُو إِذَا سَهَى النَّاسُ، أَوْلَيْكَ
كَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْلَيْكَ الْأَبْطَالُ حَقًّا، أَوْلَيْكَ الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عُقُوبَةً
وَعَذَابًا ذَكَرْتُهُمْ فَصَرَفْتُ ذَلِكَ عَنْهُمْ»¹. إِذَا يَا أَخِي إِذَا كُنْتَ قَصَدْتَ هَذَا الْعَمَلَ،
فَلتَعْرِفْ بِأَنَّهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ وَلَا شَيْءٌ زَائِدٌ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
»، « وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ »، « وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ »، هَذَا كُلُّ مَا هُنَاكَ، وَكُلُّهَا وَارِدَةٌ
فِي الْقُرْآنِ، ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾²، وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾³، « وَلَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » هِيَ بَابُ كُلِّ شَيْءٍ، « وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » هِيَ مِفْتَاحُ الْإِيمَانِ وَهِيَ مِفْتَاحُ
الْخَيْرَاتِ وَهِيَ مِفْتَاحُ الْجَنَانِ، فَبِدُونِ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » لَا عَمَلَ لِلْعَبْدِ، مَهْمَا عَمَلَ، لَا
شَيْءَ مِنْهُ، فـ« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » بِهَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، لِذَلِكَ هَذِهِ الْأَذْكَارُ،
فَقَطْ، بَعْدَ أَنْ يُقِيمَ الْإِنْسَانُ صَلَوَاتِهِ الْخَمْسَ، وَيُؤَدِّي وَاجِبَاتِ رَبِّهِ، إِنَّمَا هُوَ يَنْشُرُ
صَدْرَهُ لِسُطُورَةِ الْجَمَالِ، فَيَذْكُرُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِأَنْ يُذَكَرَ، وَقَالَ اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَنْذُرَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾⁴، « أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا
ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ »⁵، فَكَلَّمَا تَحَرَّكَتْ شَفَاتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا وَاللَّهُ مَعَكَ، وَمَعِيَّةَ اللَّهِ
لِلْعَبْدِ هِيَ تَرْفِيعُ مَرْتَبَتِهِ وَإِنَافَةُ مَنْزِلَتِهِ وَتَقْرِيبُ الْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ، عَلَى حَسَبِ إِخْلَاصِهِ
وَعَلَى حَسَبِ طَهَارَةِ قَلْبِهِ، يَحْصُلُ عَلَى هَذَا الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رَبَّمَا الْآنَ لَا
نَتَكَلَّمُ فِي هَذَا كَثِيرًا، يَكْفِي أَنْ نَقُولَ هَذَا، لِأَنَّ مَعِيَّةَ الْعَبْدِ مَعَ رَبِّهِ مَتَى ذَكَرَهُ،
﴿فَاذْكُرُونِي أَنْذُرَكُمْ﴾، قِيلَ لِأَحَدِهِمْ مَتَى تَكُونُ قَرِيبًا مِنَ اللَّهِ، قَالَ عِنْدَمَا نَذَكَرَهُ، لِمَاذَا؟

¹ حلية الأولياء - أبو نعيم الأصبهاني. عَنِ الْحَسَنِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا

² سورة هود الآية 3

³ سورة الأحزاب، الآية 56

⁴ سورة البقرة الآية 152

⁵ حديث قدسي عن أبي هريرة. (البخاري، وأحمد، والحاكم، وابن ماجه، والبيهقي في شعب الإيمان، والسيوطي في جامع

قال الله ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ﴾، الشرط والجواب، ولا فاصل بين الشرط والجواب، كما تعرفون في النحو، فعل الشرط والجواب، اذكروني اذكركم ولا فاصل، هناك ليست فاصلة بين الشرط والجواب، فما ذكرت ربك إلا وذكرك، ويكفي أن الله يذكرك في ملأه، هذا من صلاح الأعمال، ومن القربات إلى الله تبارك وتعالى العظيمة، وليحاول الإنسان ليكون لسانه رطبا بذكر الله، قال الصحابي الجليل لرسول الله، وهو في آخر أيامه، الثلاثة أيام الأخيرة التي انتقل فيها الرسول إلى الرفيق الأعلى، قال له أوصني، قال فليكن لسانك رطبا من ذكر الله « لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »¹، فقط، أي أن تموت ولسانك رطب بذكر الله، أي أن تأتيك الموت ولسانك يتحرك بذكر الله، بـ « لا إله إلا الله »، ولا يتوقف، هذه هي سعادة العبد، إذا ختم الله عليه بأن يقول « لا إله إلا الله محمد رسول الله »، هذا هو المعنى، والخير إخواني عادة، الخير هو عادة، ومن لم يعرف الخير فلينظر إلى الناس أهل الخير، ويتكلف معهم حتى يعتاد الخير، فإذا اعتاده صار حالا ومقاما لصاحبه، من أراد الخير فليعتاده، يتعود عليه، من جدّ وجد ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد، إذا أخي إذا كنت ترغب في هذا الأمر فهذا من سعادتك، وأن الله كتبك في كتابه وفي لوحه المحفوظ وفي أزله من السعداء، فلتفرح بهذا الأمر ولتسعد بهذا الأمر، ولتكن كأنك وُلدت من جديد، ولدتك أمك من جديد، وَزَعَرَدَتْ عَلَيْكَ مِنْ جَدِيدٍ، وَعَقَّتْكَ مِنْ جَدِيدٍ، فهذه حياة أخرى، نسأل الله تبارك وتعالى أن يعينك عليها، وأن يشرح صدرك

¹ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأُخْبِرُنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّهُ بِهِ قَالَ « لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » (أحمد، والترمذي، وابن أبي شيبة، وابن ماجه، وابن حبان، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، والسيوطي في الجامع الكبير).

وذكر البيهقي في سننه الكبرى، في رواية عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: " مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ "، وَقَالَ الْآخَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأُخْبِرُنِي بِأَمْرٍ أَتَشَبَّهُ بِهِ، قَالَ: " لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ "

لله، وأن يذهب عنك الوسوس، والشياطين والشرّ والأشرار، حتّى تكون عبدا صالحا
مقبلا على ربّك بكليّتك، وبقلبك وبروحك وبجميع أنفاسك، إنّه على ما يشاء قدير
وبالإجابة جدير والحمد لله ربّ العالمين.

وها هو « سي الحبيب » أمامكم، وهو المقدّم عندكم، وهو العارف، وهو كلّ شيء
في هذا البلد، لا نقول، يكفي التلويح، والتلويح هو غاية التصريح، الحمد لله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن شيخنا ومولانا أحمد التّجاني رضي الله عنه، وجازاه الله عنّا أحسن الجزاء.

أخي في الله، كما ذكرنا، فالطريقة التّجانيّة منسوبة إلى مولاي أحمد التّجاني رضي الله عنه، دفين مدينة فاس في المغرب، طريقته تلقّاها عياناً ويقظة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي عبارة عن أوراد، ثلاثة أوراد، عندنا الورد، ما يسمّى بالورد، والوظيفة، وهيلة يوم الجمعة، هي عبارة عن ثلاثة أوراد، ورد في الصباح، وورد في المساء، والوظيفة هي كانت في الأصل وظيفتان، صباحيّة ومسائيّة، ثمّ وقع التّخفيف للاستئناس، فمن أراد أن يلتزم بواحدة في اليوم فله ذلك، لكن من أراد أن يلبس حُلّة من حلل القرب، وأن يحصل على مؤونة الأقطاب، فليلتزم بوظيفتين، صباحيّة ومسائيّة، ثمّ عندنا هيلة يوم الجمعة، وسنذكر هذا الأمر، وقبل أن آذن لكم، سنعرض عليكم شروط الطريقة، لابدّ منها، لأنّ الذين لا يعرضون شروط الطريق، فلا يسمّى ذلك الإذن مقبولاً، ولا يكون صاحبه داخلاً في زمرتنا، بل هو مسلم وأخونا في الإسلام، **الشرط الأوّل** سنعرضه عليك، حيث أنّ الشيخ رضي الله عنه وأصحابه لا يُعرفون ولا يُصحبون ولا يُحبّون إلاّ الله، أُخوة في الله، المعرفة لله لا لغرض آخر، ليس عندنا غرض، إلاّ الدلالة، ويترتب على هذا أنّنا نعتقد أنّ الشيخ هو وليّ من أولياء الله الذين ولّاهم الله واصطفاهم لنفسه، وقربهم إليه، وهو عبد من عبيد الحضرة، يترتب على هذا الأمر أن تكون محبّته ومحبّة أصحابه ومحبّة زواياه ومحبّة ورده فوق كلّ محبّة، وهذا أيضا يقودنا إلى أمر آخر وهو قصر الهمة، قصر الهمة أي قصر قلب العبد أي المريد، قصر نور قلبه كلّه على نور شيخه، نور قلب شيخه يستمدّ منه، ويستغيث به ويسأله، ويتقرّب منه بالمحبّة والصدق، قصر الهمة تقتضي من الإنسان أن لا يلتفت إلى غيره، أو إلى غير طريقته أو إلى غير زاويته،

ومن ثمَّ أنه مُنِعَ على الفقراء زيارة الأولياء الذين ليسوا بداخلين في الطريق، الأولياء الذين هم لا ينتمون للطريق، أولياء الله الذين يقصدونهم النَّاسُ زيارةً بقصد التبرُّك بهم والاستمداد، كما نقول نحن في المغرب « يأخذ البركة من الوليِّ »، هذا ممنوع عندنا في الطريق، لا يزور الإنسان إلاَّ الفقراء، وكذلك أولياء الطريق، والصحابة رضي الله عنهم والملائكة، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشيخ : « **قل لأصحابك أن لا يزوروا وليًا حيًّا ولا ميتًا، لكن إن مرّوا على أصحابي فليزورهم** »، هذا الشرط الأول، أنكَ تكون تتبع لهذا الذي تكلمنا عليه، الاعتقاد بأنَّ الشيخ هو وليٌّ من أولياء الله، الذين ولّاهم الله، واصطفاهم لنفسه وقربهم، وأنَّه عبد من عبيد الحضرة، ويترتب عليه قصر الهمة، قصر القلب، لا يلتفت لغيره، إنّ الذي يلتفت لا يستفيد لا من الأول ولا من الآخر، الذي يسير في الطريق وهو يلتفت أو يرفع رأسه للسماء قد يسقط، قد يعثر، قد يصاب بمكروه في الطريق، لكن الذي يحرص على أن ينتبه في الطريق، عندئذ يسلم، **الشرط الثاني**، المواظبة، المواظبة على هذه الأوراد، المواظبة على الأوقات، أي أوقاتها، كأوقات الصلاة، سواءً بسواء، المواظبة عليها، **الشرط الثالث**، المعاهدة على أنك إذا كنت في طريق آخر أو كانت لك أوراد أخرى، فتتخلّى عنها وتتسلخ منها، إذا كانت لك أوراد أو كان لك شيء تتسلخ منها، ولا تذكر شيئاً ما عدا الذي تكلمنا إلاَّ بإذن، نعم، هل عندك أوراد أخرى؟، (أجاب الفقير بالنفي)، نعم، هذا الشرط الثالث، **الشرط الرابع** وهو متابعة السنّة، متابعة سنّة رسول الله وهذا هو فصّ الأمر، ومتابعة السنّة بهذا الشكل هو أنّ على الإنسان أن يتقيّد بالسنّة، بسنّة رسول الله أي بما جاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قولاً وفعلاً وتقريراً، التقيّد بالسنّة، سنّة رسول الله من أيّ شيء، ممّا هو نعتبره صغيراً إلى ما هو كبير، أمور كثيرة، البارحة صادف الحديث، سرد الحديث البارحة كان كلّه من هذا القبيل بما فيه يجب أن يُقتدى به وأن يتخلّق به، من الأكل والشرب باليمين، وتسمية بسم الله، إلى

ما لا نهاية له من السنّة، أن تشرب بيمينك وتأكل بيمينك وتدخل إلى المسجد بيمينك، وتخرج بيسارك، كلّ هذا هو سنّة رسول الله، إلى ما لا نهاية له، من صلوات تقام، وجميع عوائد التي هي تابعة لرسول الله، متابعة للسنّة، وأعظم هذه المتابعة في الصّلاة، المحافظة على الصّلاة في أوقاتها، وشروطها، وإتقان ركوعها وسجودها، وإحسان وضوءها، والصلاة في الجماعة، وأكدها الصلاة في الجماعة مع الإمكان، أي في الجماعة السنيّة، الجماعة التي هي تعتقد بأنّها سنيّة، الناس الذين يحسنون الظنّ في الله وفي عباده، ولا يطعنون في الأولياء ولا في الشرفاء ولا في غيرهم، فإذا وجدت جماعة سنيّة، فأنحشي بها، وإذا جماعة غير سنيّة ففارقها، والجماعة أيضا في الوظيفة، في الوظيفة في الزاوية مع الفقراء، ما أمكن، ما عدا إذا كان إنسان بعيد، أو الزاوية بعيدة منه، أو مريض، عنده عذر شرعي، والحضور إلى الزاوية للجماعة على الوظيفة، قال سيدنا وشيخنا، سيدي الحاج الحسين اليفراني الذي هو شيخ الوالد رحمه الله، قال له : أتدري ما الخلوة ؟ قال : نعم سيدي، ما هي ؟ قال : الزاوية، الزاوية هي خلوة الفقير، لذا الذي يكفيه الوقت يأتي إلى الزاوية، يذكر، يجتمع مع الإخوان، يتصافح معهم، ويسلم عليهم، ويسأل عنهم، ويسألون عنه، ذلك هو نادينا، النادي الذي نجتمع فيه، ونتحابب فيه، هو الزاوية، هذه هي شروط الطريقة الأربعة، قبلت ؟ (أجاب الفقير بالإيجاب)، إذا قبلت، لأنّ عهدنا هو في القبول بعد عرض الشروط، ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾¹ ، إذا أخي هذه هي شروط الطريق وقد قبلتها، الآن، الطريقة التجانيّة هي كما قلنا هي متألّفة من ثلاثة أوراد، أو أذكار، الورد الأول هو ما نسّميه بـ"الورد"، وهذا الورد متركّب من ثلاثة أركان، مائة من "أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله"، ومائة من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ومائة من "لا إله إلا الله"، هذا كلّ ما

عندنا، كلّ هذا الأمر لا يأخذ من الإنسان أكثر من 12 دقيقة أو 15 دقيقة لا أكثر، يكون في الصباح وفي المساء، في الصباح بالتالي وقت الصباحي من صلاة الصبح، عندما تصلي الصبح يبتدأ وقت الورد، إلى الظهر، فإذا دخل وقت الظهر خرج الوقت الاختياري، وواجب على الفقير أن يؤديّ ورده في ما بين هذين الوقتين، ما بين صلاة الصبح إلى الظهر، فإذا دخل وقت الظهر صار وقت آخر، وسنتكلم عليه، المسائي يبتدئ من صلاة العصر، لا من دخول العصر، حتّى تصلي العصر، إذا لم تصلي العصر لا تذكر الورد، إذا صليت العصر ونكرت الورد، ثمّ ظهر لك أنّك صليت على غير طهارة مثلاً أو هناك ما يُنقض لك الوضوء، فتعيد الصلاة وتعيد الورد، والوقت هنا من صلاة العصر إلى صلاة العشاء، إذا دخل وقت العشاء صار وقت آخر، إذا لابدّ من أداء الورد في هذا الوقت، أي وقت الصباحي من صلاة الصبح، حتّى تصلي الصبح إلى الظهر، ومن صلاة العصر إلى العشاء، الكيفيّة، يجلس الإنسان بعد أن يكون متوضّأً، وصلى بوضوء هذه مسألة مفروغ منها، يستقبل القبلة، لابدّ من استقبال القبلة، ولو أنّه شرط كمال ولكنّه شرط كالصحّة، استقبال القبلة مع الإمكان، يقول أعوذ بالله، اللهمّ إنّي نويت ورد الصبح أو ورد المساء، كما ينوي الظهر أو العصر، اللهمّ إنّي نويت ذكر الورد الصباحي أو نويت ذكر ورد المساء، ويقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وبيدأ، فإذا انتقل إلى لا إله إلاّ الله يقول محمّد رسول الله، ولا بأس في الورد أن يقول سيّدنا محمّد رسول الله، عليه سلام الله، إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ، كما نقول في الوظيفة، ثمّ تهدي العمل إلى رسول الله، هذه هديّة منّي إليك يا سيّدني رسول الله، ثمّ يسأل الله تبارك وتعالى لنفسه ولأشياخه، يدعو لهم، ويدعو لجميع المسلمين، ثمّ يختم بالحمد لله ربّ العالمين، ثمّ الصلاة على رسول الله، هذا في الورد الصباحي

والمسائي، الوظيفة كما قلنا، متكوّنة من أربعة أركان، ثلاثون من "أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم" بخلاف الورد "أستغفر الله" فقط، خمسين من صلاة الفاتح، وصلاة الفاتح لابدّ منها، ومائة من "لا إله إلا الله"، بعد أن تنتهي من "لا إله إلا الله"، تقول "محمّد رسول الله عليه سلام الله"، ثمّ تدخل في الركن الرابع وهو جوهرة الكمال، 12 من جوهرة الكمال، جوهرة الكمال لها خصوصيّة فقط، على سائر الأوراد، هو أنّها لا يذكرها الفقير إلاّ بطهارة مائيّة، يكون متوضّأ بالماء، إذا كان عنده رخصة للتيمّم، كالمرض أو لم يجد الماء أو لعجز، وتيمّم، وأراد أن يذكر الوظيفة فلا يذكر جوهرة الكمال، إنّما يذكر بدلها عشرين من صلاة الفاتح، كذلك إذا كان في مكان ضيق، اضطر أن يذكر فيه كالسيّارة مثلا، اضطر أن يذكر فيه، أو قطار أو مكان ضيق كذلك لا يذكر جوهرة الكمال، يذكر بدلها عشرين من صلاة الفاتح، أو مكان فيه روائح كريهة، أو هناك أصوات غناء وأصوات مماثلة فيستبدلها، جوهرة الكمال لها خصوصيّة لا يُسأل عنها، يقول النّاس لماذا هذه الصلاة، الأذكار لها أسرار، وهذه من سرّ الذكر الذي لا يشاع، ولا يُسأل عنها، يجب على الإنسان أن يسمعه ويعمل به فقط، كما سمعنا بأنّ الأذكار في الطريقة هي لا اجتهاد فيها، كما وردت كما هي نقبلها كما هي، وإلاّ نتخلّوا، لأنّ هذا شيء تطوّعي، إذا التزم الإنسان بوظيفة واحدة، فالـ24 ساعة كلّها وقتها، من صلاة الصبح ليوم الجمعة مثلا إلى دخول الصبح ليوم السبت، في أي وقت ذكرها فقد ذكرها في وقتها، ذكرها في الصباح أو في المساء فقد ذكرها في وقتها، أو في اللّيل، لكن إذا كان ملتزما بوظيفتين يكون حكمها كحكم الورد، صباحي ومسائي، وسنتكلم عن هذا وهو قضية الإزار، لأنّني لم أرى عندكم البارحة إزارا ربّما نسيتموه، لازم للفقراء أن يتّخذوا الإزار الأبيض ينشرونه بينهم، لأنّه سرّ من سرّ الطريق، لابدّ أن تجعلوا إزارا، الذي هو المدد للزّاوية، ولا تتهاونوا فيه، كما قال الوالد : من لم يطلعه الله على سرّ فليسلم

لأصحابه، فمدد الزاوية هو الإزار، إياكم أن تتهاونوا فيه، هيلة يوم الجمعة مثل اليوم، هي لا إله إلا الله والاسم المفرد، لا تقلّ عن ألف، لا بدّ من ألف فما فوق، وذلك بحسب اصطلاح الفقراء المقدّمين، منهم من يلتزم بـ"لا إله إلا الله" ألف فقط، ومنهم من يلتزم بـ1200، ومنهم بأكثر من 1200، ومنهم من يلتزم بالنصف من "لا إله إلا الله" والنصف من "الله"، والكلّ واسع فلا مشاحة في هذا الأمر، إذا وجدنا بعض الناس يذكرون أقلّ من 1000، فنتمّم نحن ألف فما فوق، حتى يبقى قلبنا سالما معهم، إذا لابد من ألف كما يفعل الفقراء الآن في الزاوية، هذه هي الأذكار التي عندنا واللازمة في الطريقة، الورد، وبلزوم الورد أُلزمت الوظيفة والهيلة، فلا يدخل الإنسان في الطريق حتّى يلتزم بالورد، إذا لم يلتزم بالورد ولو التزم بالوظيفة والهيلة فليس مآذونا له بإذن صحيح، إذا نأذن لأخينا في الله، سيدي بدر الدين، في الطريقة الشيخ رضي الله عنه، بما سمعت من الورد والوظيفة وهيلة الجمعة على أن لا تقلّ عن ألف وهذا الإذن الوارد، عن أخينا الحاج محمّد الحبيب، عن الوالد الحاج الأحسن البعقلي، عن شيخه وشيخنا، سيدي الحاج الحسين الإفرائي، وهو قطب، عن سيدي محمّد بن أحمد الكنسوسي، القطب، عن سيدي محمّد الغالي الفاسي، عن الشيخ رضي الله عنه، عن رسول الله، عن جبريل، عن ربّ العزّة، ولنا أسانيد أخرى عن طريق الشيخ الحسين الإفرائي، عن سيدي العربي بالسايح، عن -، عن الشيخ رضي الله عنه، وعن سيدي محمود، وكذلك الطريقة الأخرى الأويسيّة، نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفّكك، وأن تقصّر همّتك على هذا الأمر، وأن نراك من الصالحين المصلحين، وأن يوفّقك إلى هذا الأمر حتّى تسعد به وتسعد به ذريّتك، ويسعد به أهلك، وأن تكون مقبولا عند الله تبارك وتعالى آمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ *
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ *
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ
نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ
حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى
الْمُرْسَلِينَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

رضي الله عنه إلى تونس



اليوم الثاني

الجمعة 24 رجب 1430

القرص - 2 -

لقاء مع بعض

الفقراء

في منزل الفقير

محمد القرماسي

بعضور

سیدی زین العابدین التیجانی

توجّه مجموعة من الفقراء إلى منزل الفقير محمّد القرماسي بضاحية تونس العاصمة وكان معهم سيدي زين العابدين التيجاني والجميع في انتظار سيدي الحاج محمّد الكبير، وعند وصوله تمّ استقباله بطلع البدر علينا، وتوجّه سيدي زين العابدين بهذه الكلمة

كلمة سيدي زين العابدين التيجاني يرحّب فيها

بسيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

رضي الله عنهم أجمعين

... ليس نقول عنه ضيف حللت أهلا ونزلت سهلا وطاب مقامكم بيننا، ألا وهو ابن العارف بالله الرجل المتواضع الذي أفنى حياته وكرّس حياته وأعطى حياته وجهه وبذله وطاقته لخدمة الإسلام والمسلمين عامة وللطريقة التيجانية خاصة سيّد جمع بين الشريعة والحقيقة ألا وهو ابن سيدي الحسن البعقلي رضي الله عنه وأرضاه، سعدنا برؤية وجهه الكريم، من لم يعرف سيدي الحسن البعقلي رضي الله عنه قمّة التواضع وقمّة الأخلاق حتى تكلم كلام عجز اللسان والقلم عنه، سيّد وابن السادات أسد ابن الأسود وفاضل ابن الفضلاء رجل كالغذاء إذا جاع الإنسان أن يشبع منه ورجل كالدواء إذا مرض الإنسان أن يشفى منه، رؤية الصالحين شفاء وغذاء، فمن أراد الظهور فهو عبد ظهور ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء ومن أراد ما أراد الله فهو عبد الله حق فالعارف من ترك مُراداته لمرادات الحق فهذه هي خصال الرجال، أحبّتي في الله هذه ليلة أشرقت علينا وكان فيها السبب مُحبّنا الفاضل ابن الأحباب وابن الرجال ذوي الخصال الحميدة، سيّدنا صاحب هذا الحفل البهيج ألا وهو سي محمد قرماسي التيجاني بن التيجاني وبحضوركم جميعا تلامذة ومريدي وفقراء الشيخ سيدي أحمد التيجاني كلنا اجتمعنا إلاّ الله بالله في الله لا نريد جزاء ولا شكورا نريد إلاّ

ما يريد الحق سبحانه وتعالى ونريد إلا ما يُرضي الحق سبحانه وتعالى كلنا لله أرواحنا وأجسامنا وطاقتنا كلها لله سبحانه وتعالى ما اجتمعنا في هذه الليلة إلا بفضل الحق سبحانه وتعالى فاللهم اجمعنا على محبته ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى على أحد منكم أن هذه الطريقة التيجانية قال شيخنا سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه وأرضاه طريقتنا طريقة فُحول فكل من ينتمي لهذه الطريقة هو فحل من فحولها وأسد من أسودها وهذه الطريقة المشيئة على منهج الكتاب والسنة، سئل الشيخ رضي الله عنه وأرضاه في عصره وزمانه، أيأتي زمان يكذبون عليك قال نعم ونطق وقال إن سمعتم عني شيئاً فزنوا كلامي بميزان الشرع فما وافق عليه الشرع فخذوه فإن لم يوافق عليه الشرع فاتركوه واضربوا به عرض الحائط، الشرع هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حياتنا كلها لله بالله في الله وطاقتنا كلها لله بالله في الله وقوتنا كلها لله في الله وغناؤنا كله لله سبحانه وتعالى وفقرنا لله سبحانه وتعالى لا لغيره، إخوتي في الله، أصحاب رسول الله، أصحاب الشيخ سيدي أحمد التيجاني، صرتم أبناءه وتلامذته وأصحابه، كل الخصال التيجانية كلها اجتمعت فيكم فإن قال لكم العبد الضعيف أن نكافئكم بشيء فكذب عليكم فالذي يكافئكم هو الحق سبحانه وتعالى، أنا ما أمامكم إلا عبد ضعيف فقير حقير، قوتنا كلها بالله وحبنا كله لله وحياتنا كلها لله وتذلنا لله سبحانه وتعالى ما نتذل إلا أمام الحق سبحانه وتعالى وما نثني أنفسنا وأرواحنا إلا أمام الحق سبحانه وتعالى، إذأ شدنا الشوق والحنين إلى وجوهكم السعيدة فجتناكم من عين ماضي عين المكارم أضحت مسقط رأس الشيخ سيدي أحمد التيجاني فتقول لكم يا أهل تونس الباب مفتوح على مصرعيه وتقول لكم الدار داركم والأهل أهلكم ونحن في خدمتكم لأنكم صرتم منا وصرنا منكم وجمعتنا بكم واجتمعتم بنا إلا على محبة الله لا اشتريناها منكم ولا اشتريتموها منا، فسائق السعادة يسبق لحضرتنا أناس والصارف الإلهي يصرف عنها

أناس كما قال شيخ الإسلام وسعادة الأنام ومصباح الظلام في عصر الشيخ سيدي أحمد التجاني سيدي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه وأرضاه قال : ربي إني صدقت كل وليّ راعيا قدرهم بعين احترام غير أن ابن سالم هو سهمي وعمدتي وإمامي وعلى بابه ضربت خيامي إن يكن راضيا فذلك فوزي بجميع المنى وحسن الختام.

يا ربنا بشيخنا التيجاني * أطف بنا في سائر الأزمان

وجد لنا بالفوز والغفران * واعف بنا الخسران

وانصر عصابة الهدى عن الهدى * يا مالكا في الملك قد تفرّد

وأصلح لنا من أمرنا ما فسد * ونجنا من كل ما قد اعتدى

واعف عن الذنوب يا كريم * لأنك الرحمان والرحيم

واختم لنا بالخير يا عظيم * واصفح عن الزلات يا حلیم

ونجنا في الدهر من كل الفتن * يا عالما بالحال في السر والعلن

وهب لنا يا أبو الحسن * في الدين والدنيا ومن كل المحن

يا ربنا بغوثك المعظم * أطف بنا في القدر المحتم

وأيدنا بالنصر واليقين * وبالرضا والعفو والتمكين

وبالعطى وفيّ في ذا الحين * وعن الثبات في مقام الدين

من غير تغير ولا تزلزل * عن سنة النبي طه الأفضل

إلى المعاد يوم نشر العمل * ولا تحرف ولا تبدل

بجاه أفضل الورى محمد * نبينا من حاز كل سؤدد
ومن نجده للحساب في غد * صلى عليه الله دون عدد

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
نرحب من جديد ترحيبا كاملا في هذه الليلة المباركة أطلع علينا نوراً كنا في شوق
وكنا متعطشين فحلّ علينا رجل ابن الرجال وابن الفحول، من كرّسوا حياتهم لخدمة
هذه الطريقة الميمونة المباركة سيّد ابن السادات وفاضل ابن الفضلاء حلّتم أهلا
ونزلتم سهلا وطاب مقامكم بيننا فالدار داركم والأهل أهلكم فإن رحبنا بكم بهذه
الكلمات في حقكم القليل لأنّ والدكم عاشر الشيخ سيدي أحمد التيجاني رضي الله
عنه حبّا وصدقا ووفاء فتكلّم في الإراءة كلاماً من لم يعرف سيّدي الحسن البعقلي
رضي الله عنه وأتكلّم وأنا أنتمي، أعوذ بالله من كلمة أنا، إلى جدّي سيدي محمود
رضي الله عنه سيّدي الفاضل الذي عاشر والدكم كان بجانبه طيلة حياته فهذه ميزة
خاصة أفخر وأعتز بها بانتمائي إلى جدّي سيدي محمود رضي الله عنه، فسيّدي
أتكلّم باسم أحفاد الشيخ سيدي أحمد التيجاني قاطبة مُحمّلا لكم برسالة بأحرف من
ذهب أقول لكم باسم أحفاد الشيخ سيدي أحمد التيجاني عن والدكم يشهدون له
بالصدق والوفاء الذي تكلم في قوة عن أحفاد الشيخ سيدي أحمد التيجاني، وما أدراك
ما سيدي الأحسن البعقلي رضي الله عنه الذي وصف أحفاد الشيخ سيدي أحمد
التيجاني كلام هكذا كلام الفحول والرجال، لكن هذا الكلام جاء بصدقهم ووفائه وعهده
لهذه الطريقة التيجانية الميمونة المباركة، سيّدي أهني أنفسنا بأنفسنا بهذه الليلة
المباركة والجلوس بجانبكم فمرحبا بالآلاف والآلاف مرحبا أمام فقراء جدّكم وأبيكم

وشيوخكم وسيّدكم وأستاذكم أبوكم الرّوحي سيّدي أحمد التجاني فصرتم منه حتى صرتم قطعة من أكبادنا وصرنا قطعة من أكبادكم، فسيّدي أهلا وسهلا ومرحبا ولا أطيل عليكم فالبساط بساط أحمدي والوفد المرافق لكم فعين ماضي تنقل لكم تحية وتقول لكم يا أحباب سيدي أحمد التجاني الباب مفتوح على مصرعيه فالدار داركم والأهل أهلكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

كلمة سيدي الحاج الحبيب بن حامد التونسي

بسم الله الرحمان الرحيم وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والرضى عن شيخنا وسيّدنا وممّدنا ومولانا أحمد التيجاني رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين، طلب منّي سيّدي ومولاي محمد الكبير رضي الله عنه أن أقول كلمة، إن شاء الله برضاكم وإذّلكم، على كلّ حال لا نطيل عليكم جازاكم الله كل خير على هذا الجمع المبارك العظيم المعظّم وهذه الليلة المباركة السعيدة نُرحّب بسيّدنا وأخيّنا ومولانا كذلك سيّدي زين العابدين رضي الله عنه وهو من أحفاد الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وكذلك جدّه سيدنا سيدي محمود المعلوم المشهور الشهير وما وقع بينه وبين القطب البعقلي رضي الله عنه وأرضاه معلوم عندكم لكن فقط للتذكير لصقل وزيادة النور الطامي الآن في قلوبنا من جملة ما نتذكر منه، أوّلا سيدي محمد القماري رضي الله عنه وأرضاه قال أنه قابل سيدنا سيدي محمود رضي الله عنه وأرضاه تقريبا في فاس قال سلّمت عليه ووضعت له شيئا تحت السجاد قال فرّج رأسه الشريف ونظر فيّا نظرة، الإنسان يتذوقها مع الذوق، الله أعلم ما في تلك النظرة، تقريبا هو الذي قال لي سبحان الله النور الذي أعطاكم الله أهل سوس والله أعلم يمكن يكون سيدي محمود. الشيء الذي وقفنا عليه مما قصه علينا سيدي الحاج محمد القماري على سيدي محمود وكما كتبه في الإراءة قال فلما تقابلت معه

فكان الزلازل والصواعق والبروق تخرج من جبينه الكريم فلا يستطيع من كشفه الله على جمالهم وجلالهم أن ينظر فيهم قال فأخذتني الرُحضاء أي لم أستطع أن أقف كما ينبغي على رجلي رضي الله عنه وأرضاه قال وكأن بيني وبينه الزلازل قال فتلقيت منه سرّ الطريقة وأنا ميّت الدّواك والصواعق والمراضخ التيجانية، تَلَقَّيتَ منه سرّ الطريقة بإذنه أفاض عليه سيدي محمود سرّ الطريقة، قال وأنا ميّت الدّواك والصواعق والمراضخ التيجانية، كلّه ذوق رضي الله عنه وأرضاه ولو كان كلاما صعب الفهم ببركاته وببركة محبّتكم وصدقكم صار الفقير يفهم لربما لا يعلم المعنى المكتوب ولكنه يقرأ المعنى المفهوم في قلبه فيذوق ولذا قال من قرأ الإراءة ضَمِنَتْ له فتحا ربّانيا كأن عنده المرابي واقف في قلبه، قال سيّدي محمود رضي الله عنه وأرضاه خذوا عنه دينكم هذا الرجل مبارك خذوا عنه دينكم وقال له لا بد أن تذهب لجميع الأقطار في المغرب وتنظر في إجازة المقدّمين فمن تمشّى على نهجك فهو ذلك ومن لم يتمشّى على نهجك فاعزله ومزّق إجازاتهم، قال وهو صاحب الفيوضات وهو صاحب الإذن المطلق من الشيخ رضي الله عنه وأرضاه قال سيدي الحاج الأحسن ويدعو معي بلسان ورأس وركبة فسبحان من سخره لنا مع أنه مهيم في ذات الله تعالى، سيدنا سيدي محمود قال الله هو الذي سخره لنا خدمة وإفاضة ومحبة وأما هو رضي الله عنه أين هو سيدي محمود، نحن نحوم حول الذات عشقا وهياما، لقد تعدّى جميع ما يُسمّى بالمراتب لا مراتب عنده رضي الله عنه وأرضاه، قال خذوا عنه دينكم فإنه رجل مبارك وقال ما قلت ما قلت حتى رأيت ما رأيت وقال له رضي الله عنه الذي أعطاك ولم يُعطك غيره أي لا تقل أعطاني سيدي محمود، أنظروا هذه العظمة لهذا الرجل، قال له الله هو الذي أعطاك ولم يعطك غيره لمحبتكم في جدّنا، لمحبتكم فينا وفي جدنا، أو كما قال، نرجع إلى ما قاله الشيخ رضي الله عنه وأرضاه لما قيل له هذه كل الفضائل و... و... كله من أجل صلاة الفاتح لما

أغلق، جاء وقت الحق هؤلاء رجال رضي الله عنه وأرضاه يصدعون بالحق شجعان الطريقة، قال رضي الله عنه وأرضاه لأجلنا والله الحمد، قال الشيخ سيدي محمد القماري رضي الله عنه وأرضاه لو لم يكن الشيخ التيجاني رضي الله عنه ما كانت صلاة الفاتح.

قلت هذا بإذن حفيد الشيخ رضي الله عنه وبإذن سيدنا وقدوتنا سيدي محمد الكبير لقد كان حلم أن نراه وهذه الأعوام الفقراء منهم من يقول رأيت في المنام ومن يقول رأيت في رؤيا ومنهم من يقول رأيت يقظة .. حتى رأينا بيننا دما ولحما رضي الله عنه وأرضاه، وأنا قلت له سيدنا أنا دائخ أبقى لحظات ثم أنظر فيه أقول أهذا حلم أم يقظة، هل فعلا هو عندنا في تونس، فهنيئا لنا بهما وبهم والله يوفقنا إن شاء الله والله يجعلنا على هذا السند العظيم القدر والمقدار لأنه خلاصة القول أصل القضية كله هو العمل لله سبحانه وتعالى والشيخ سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه وأرضاه لا كما يظن بعض الناس، محبين أو كانوا من الطريقة في بعض الأقطار، أنه وليّ كامل كبير سلطان الأولياء و ... و ... ذلك كله الشيخ أحمد التيجاني لا ينظر إليه رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين، إنما هو مجدد الدين وهو مُرْسِي الدين وهو مثبت الدين وهو مثبت جميع معاني لا إله إلا الله محمد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، ولذا الشيخ البعقلي رضي الله عنه وأرضاه سيدي الحاج الأحسن قال يا أيها المتصرف بالأسماء ويا أيها الولي ويا أيها القطب ويا أيها الخليفة ويا ... ويا .. خاطبهم كلهم وكتبه في كتابه لا أحب من يزيد حرف أو ينقص حرفا ممّا سطره الشيخ التيجاني رضي الله عنه وأرضاه فالطريقة لا اجتهاد فيها إنما فيها إلا أقوال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وأقوال الشيخ رضي الله عنه وأرضاه من أقواله لقوله رضي الله عنه وأرضاه ما ذكرت ذكرا إلا ما رتبته لي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم

ولذا قال إياكم وإياكم لا اجتهاد في الطريقة ما فيها إلا أقوال العارفين الذين شربوا من عين واحدة وإن اختلف لفظ التعبير وإنما هو عينه وأصله لا يختلف اثنان فيما قاله لذا قال إياكم ثم إياكم فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغضبه كل من بدّل أو غير في الطريق فلا يحب حتى من يقرأ مثلاً صلاة الفاتح ثلاثة أو مرة جماعة، قال كنا نعملوا الطيب الفايح نذكر كلّ يوم، نقرأ منه القليل جماعة نهانا رضي الله عنه وأرضاه، لسائل أن يسئل لماذا، قال الشيخ التيجاني رضي الله عنه وأرضاه لم يأذن لنا في الذكر جماعة إلا في حالتين اثنتين الوظيفة جماعة وهيلة يوم الجمعة فنحن على آثاره مقتدون ولا نبدل ولا نغير، انظروا إخوانا عظمة هذا الأمر، وفعلا كلّ من أخذ بيده كما قال سيدي الحاج محمد أقمار وهو يتكلم على سيدي الحاج الأحسن قال هو شيخنا في كل شيء من تمسك بعهد الواصل الموصول إليه الذي من تمسك بعهد وصل، لماذا وصل؟ لا لذات البعقلي رضي الله عنه وأرضاه ولكن لأن سيدي الحاج الأحسن متّبع آثار الشيخ حذو نعل بنعل خطوة خطوة أنفاس الدنيا والآخرة وقصر همّته وروحه وعقله وفكره على الشيخ لا يفكر إلا فيه، قال فلا أفكر في غيره ولا أستمّد قطرة من غيره رضي الله عنه وأرضاه فلهذا الإلتباع الكامل والتوجه الكامل كان من كان هو البعقلي رضي الله عنه وأرضاه بأنه فني في شيخه سيدنا ومولانا أحمد التيجاني فكلّ من تبعه على هذا المنوال إلا وحمله فمن انقاد للقطب التيجاني بكليته حمله من ساعته إلى مقام المعاينة، ومقام المعاينة ما أنتم عليه، فقراء سيدي أحمد كلّهم لكنّ إذا كان الإنسان هكذا يظهر عليه وهو في كمال التجريد قائم بصلواته في أوقاتها مع الجماعة محافظا على ورده بأدابه باستقبال القبلة بطهوره ووضوءه محافظا على الجماعة في الوظيفة وهكذا هذه هي الثوابت، وبركة هذا سيدي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛

إخواننا في الله السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته من بلدكم الكريم، من بلدكم العزيز، من بلدكم بلد الأشراف والشرفاء وأهل البيت ومن بلد مدفن الشيخ رضي الله عنه مولاي أحمد التيجاني رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين ؛

إن كل بلد هي تزهر بصلحائها، فصلحاء كل بلد هم نجومها والقطب فيها هو شمسها والنجوم تدور في فلك الشمس والكواكب تابع لها، لذلك من ادعى لنفسه شيء من المراتب أو المناصب أو المشيخة وأسندها لنفسه فإنه يكون حاداً عن الطريق المستقيم والطريق السوي طريق أهل الله وطريق الشريعة، فما لنا إلا إتباع أحمد، وإتباع أحمد فيما تركه وفيما خلفه من خلفاء الذين حملوا علمه وسرّه ومعرفته وأذكاره وبلغوها بصدق وأمانة حتى شعشت الأنوار في أرجاء المعمور بفضل صدقهم وعلمهم ومعرفتهم لأنهم عرفوا وعابنوا وعلموا وأخلصوا فزكى الله نفوسهم وطهر قلوبهم ورفع منزلتهم وأحبهم الملاء الأعلى فكتب لهم القبول في الأرض فأحبهم الناس واجتمعوا عليهم وصدقوا وسلّموا لهم، هذا هو الأمر الذي يجب، نحن كذلك الذين اتبعنا، أن نشدّ عليه وأن نعصّ عليه بالنواجذ وأن نلتفت حول من ولّاهم الله علينا تولية الظاهر وتولية الباطن فكلّ مراد لله ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾¹ ولكن لم يشأ، ولكن الله لم يشأ، حكمة الله اقتضت أن يكون الناس على مشارب وعلوم وألوان وألسنة وطبائع مختلفة ولكن جمّع هو جمّع القلوب على الله فلا فرقة ولا ظهور

ولا حبّ رياسة كل ذلك من المساوى الذي يُحسّن ويُزيّن الشيطان نمتثل لأمر الله، نطيع أمره ونهيه ونعلم أنّ لا شيء ننسبه لأنفسنا وكل ما عندنا هو الله ونحن مملوكون له والمالك هو الذي يتصرف ويدبّر الشؤون ويعزّز ويذل لأنّه يتصرف في مملكته، فكل ذلك كل الخلفاء الذين استخلفهم الله على عباد الله فهم كذلك مجاري أقدار الله، يتصرّف الله فيهم لأنهم حملوا الأمانة وأدّوا الرسالة وصدّقوا الله فيما عاهدوا عليه ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾¹، والفقراء التيجانيين وكلّ مؤمن وكلّ متّق، ليس لهم من أمرهم شيء إنما الأمر لله وما أراد الله فينا هو المحبوب هو أن نحبه ونتعلّق به فالله تبارك وتعالى إذا أراد بقوم خير جعل بينهم رجل أو رجال تجلّى فيهم بأسمائه وصفاته وجذبه إليه وحفظه لأجل أن يُدّوا رسالة الله التي هي رسالة الأنبياء والرّسل أي يحملونها إلى الخلق وهذا ما كان في كلّ بلد وفي كلّ زمان ومكان، إن لله طائفة لا تزال على الحق ولا تزال ظاهرة على الحق حتى يأتي أمر الله في كل زمان وفي كل مكان « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة »²، بالأمس وليس ببعيد كنتم وكان الناس في هذه الإيالة التونسية بعد جهاد العلماء الأكابر الذين حملوا الطريق هنا إلى هذه الإيالة التونسية ومنهم العالم الجليل القدوة الأمثل العارف الكامل سيدي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه الذي هو أظهر هذه الطريق في هذه الإيالة التونسية وبقيت بركته تسري بما أعطاه الله من قوّة في العلم والمعرفة والصدق والتفاني في ما هو موكّول إليه وصار الأمر على ذلك المنوال وكلّما مات، وكلّما انتقل عبد من عباد الله إلّا ويخلّفه كذلك من يحمل الرّسالة ويؤدّي الأمانة في صدق وتفاني، وبالأمس وليس بقريب كنتم وأنتم تتملّون صباحا ومساء برؤية عالمًا آخر جليل فقيه عارف برّبّه كاملٌ رجلٌ الوقت وهو السيد الجليل

¹ سورة الأحزاب الآية 23

² اخرجه الطبراني والحاكم وصححه عن عمر

سيدي محمد القماري رحمه الله، وكان على يده الفتح، فتح الله به قلوبنا، وآمنوا وصدّقوا وعملوا وشهدوا الله بالألوهية ولسيدنا محمد بالرسالة وذاعت بركته في هذه الإيالة ولا زالت تلك الأنوار تُشعُّ وتتشعشع هنا في هذه الإيالة التونسية لكن ما قدره الله هو الذي يحكّمنا، القدر هو الذي يحكّمنا ولا رادّ لقدر الله، الله تبارك حكم حكمه ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾¹ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾² إذا كانت النفوس لا بدّ أن تذوق الموت فالله تبارك وتعالى لا يُطفأ تلك النفوس وإنما يُظهر سرّها في خليفته الذي يأتي من بعده ولا بدّ من هذا الأمر لأنّ المصاحبة والصحبة ليست للأموات بل إنما هي للأحياء فالأموات هم جاهدوا وتركوا وعلموا وأنشئوا وسهروا وقدموا وتركوا سرهم فيمن يخلفهم وكلّ من خلف غيره على شكله وعلى منواله إلاّ ويزيده الله عشرين مقاما آخر ويظهر ذلك فيمن يجتمعون حوله وفيمن يسلمون له أمرهم وفيمن يُعضّدونه ويُناصرونه وينصرونه ويعملون معه ويشدّوا يدهم في يده ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه وهكذا دواليك لا أحدٌ يبقى ولكن الذي يبقى هو إرادة الله، إرادة الله باقية ودائمة وما قدره الله هو الذي يكون، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظرون إليه الناس حتى أحبوه محبة عظيمة حتى أنهم لم يستطيعون أن يفارقوه لحظة واحدة ولكنه مات أيضا وانتقل إلى جوار ربه إلى الرفيق الأعلى وحصل بعده ما حصل كما هو معلوم في التاريخ ومنهم من قال أنه لم يمت، ومنهم من قال من قال انه مات رسول الله قطعت رأسه بسيفي هذا، ولكنّ هذه المحبة الصادقة إنما تصطم وتصير عشقا أنها يصعب على العاشق أن يفقد معشوقه ولكن إرادة الله وقدر الله هو الحاكم ؛ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء من يهدأ في السقيفة سيدنا أبو بكر الصديق وهذا وخلف رسول الله صلى الله

¹ سورة الأنبياء الآية 34

² سورة آل عمران الآية 185

عليه وسلم وصار الأمر كما كان في عهد رسول الله في ازدياد وتقدّم الإسلام وانتشر الإسلام في كل مكان بعده وبعد أصحابه وخلفاءه إلى الآن ولازال الإسلام في ازدياد، فلا بدّ من الشخص الذي يجتمع عليه الناس إذا أحبّوا من كان بينهم وفارقهم فليحبوا من نظر إليه وخلفه ليكون خليفة له في سرّه وباطنه وظاهره فالاجتماع هو اجتماع القلوب على الخليفة هو اجتماع أيضا على المُستخلف ومحبة المستخلف هو في محبة آيات القرآن قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾¹ لا أسألكم أجرا على ما عملت وما جاهدت وما بلغت لا أسألكم أن تُعطوني ولكن احفظوني في حفظ المودة في أهلي وعشيرتي ومن أشرت إليه إشارة لتقبلوه خليفتي، هنا قال أحبّوا الله وأحبّوني لحب الله وأحبّوا عترتي² لحبي « أحبّوا الله لما يغذوكم³ به من نعمه وأحبّوني بحب الله وأحبّوا أهل بيتي لحبي⁴ » فهكذا يكون وهكذا زمان يصير على _____، فسيدنا سيدي محمد القماري رحمه الله كما علمتموه وشاهدتموه عاش وحيّى كله نور ينبض بعلم ومعرفة وتربية، وترك الأولاد وهم من الكمّل صلحاء راشدين عاملين، وكذلك ترك خليفته الذي هو سرّه وهو سيدي الحبيب بن حامد رضي الله عنه وسار على الدرب بصدق ونيّة خالصة فأعانه الله ووفقه وها نحن نرى الأمر في ازدياد والدائرة في توسّع والعمل يزداد والكل فرح مسرور فلا يمكن لإنسان إذا كان يؤمن بالله ورسوله أن تبقى له في ذاته ولا في موضع لنفسٍ يحملها فوق أنفه إنما ذلك من الشيطان لأنّ لا بد من الواحد الذي يجتمع عليه الناس، القطب، قطب الرحي الذي تدور الدائرة حوله فلا يمكن لجماعة أن تأتمر بجماعتها ولا أن تنتهي

¹ سورة الشورى الآية 23

² عترة الرجل : نسله ورهطه وعشيرته

³ يغذوكم : يرزقكم

⁴ الترمذى، والطبرانى، والحاكم، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس والسيوطي في جامع الأحاديث

بجماعتها إن لم يكن منها واحد يُهاب مُهاب يُسَلِّمون له أمرهم وقيادهم ويعينهم ويتعاون معهم ويناصرونه ويجاهدون معه لأجل، لا لأنفسهم ولا لما يحسونه هم ولكن لأن العمل هو عمل لله وما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل¹ فمن عمل لله وجد الإعانة من الله ومن عمل لنفسه بقي مع نفسه، فننصح إخواننا جميعاً أن يحمدا الله تبارك وتعالى على أن جمعهم على من سار على نهج الشيخ رضي الله عنه وكذلك شيخنا الجليل سيدنا القماري رضي الله عنه الذي عرفتموه وعرفتم خصاله وعرفتم علمه وعرفتم معرفته وتقواه وورعه لأن ميزان الإنسان هو التقوى والورع فمن حصل على هذه ___ فقد تم له كل أمر ومن فقد واحدة من هذا فقد الكل والرسول صلى الله عليه وسلم يقول إذا أردتم أن تعرفوا منزلة العبد عند الله فانظروا ما يتبعه من ثناء « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل يعمل العمل لله تعالى ويحبه للناس، فقال : تلك عاجل البشرى إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله تعالى فانظروا ما يتبعه من ثناء الناس »² لأن الله يُنزل العبد حيث نزله، حيث نزلتم الله يُنزلكم، إذا نزلتم الله في قلوبكم بالتسليم والتصديق وعدم التسخُّط وعدم الكُزارة في النفس يُنزلكم الله كذلك في مقام صدق عند ملك مُقتدر فاعملوا إخواني والتقوا لأنكم بالتفافكم لا تتركون للشيطان، يندسّ اللعين أن يبعث ما يحب من الشقاق والتنافر والتناكر ولو بالقلوب لأن الشيطان لا يفرح، إبليس رئيس الذي له عرشه في البحر لا يفرح حتى يأتيه الخبر بأن اثنين تفرقا أو جماعة انشقت أو رجل افترق مع زوجته هذا هو الفرح العظيم عنده لا يفرح بشيء أكثر من هذا الذي يجازى الجزاء من إبليس اللعين هم الذين يأتوا بهذا الخبر فاحرصوا إخواني على وحدة قلوبكم وانصاعوا لأوامر ربكم واعلموا أن جمعكم هو جمع على الله إنما الأشخاص

¹ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَّسَةَ، قَالَ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جِيءَ بِالدُّنْيَا فَيَمَيَّرُ مِنْهَا مَا كَانَ لِلَّهِ، وَمَا كَانَ لِغَيْرِ اللَّهِ رُمِيَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ". الدهقي في شعب الإيمان

² ذكره الماوردي في كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، قسم كتب الأخلاق والرفاق

جعلهم الله تبارك وتعالى وسيلة وسبب لبلوغ الغاية الذي يريدها الله منهم وهو من قال في كتابه العزيز ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾¹ نحن فرحون ومسرورون مغتبطون بجمعكم هذا، مغتبطون بهذه الزيادة التي نرى، مغتبطون بهذه البركة التي عمّت على القطر، هذا القطر وهذه الإيالة التونسية نسأل الله تبارك وتعالى أن يوحد ما في القلوب وأن يجمع القلوب على الله وأن يجعل الكل من الصالحين المصلحين المرشدين العاملين الذين ينفعون أنفسهم ويُنْتَفِعَ بهم ونسأل الله تبارك وتعالى أن تدوم هذه النعمة نعمة الإيمان ونعمة الإسلام ونعمة هذه الطريق التي جمعنا وإياكم فلولاها ما عرفناكم وما عرفتمونا، ولولاها ما ذكرناكم وما ذكرتمونا ولذلك هذه نعمة عظيمة فلا تُفسدها بالشكوك والرياب ولا تفسد هذه النعمة بالقليل والقال ولا هذا ولا هذا ونحن نعمل لله نجتمع على الله واعملوا لله ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾² الله هو الذي يتطلع على السرائر وإنما الحكم هو للظواهر والسرائر هي بيد الله نسأل الله تبارك أن يطهر قلوبنا سرًا وأن يطهر أبداننا علانية وأن يجمعنا وإياكم على محبة الله ومحبة رسوله ومحبة شيخنا وطريقتنا وأولاد الشيخ رضي الله عنهم وكذلك أولاد سيدي محمد القماري فعظموهم واحترمواهم وانظروا فيهم الخير وانظروا في وجوههم كل صباح فإنهم مصابيح الخير وأنوار تنقشع منها البركات فلا تحرموا نفوسكم منها من ذكور وإناث فهم حاملون لبركة والدهم وسره فيهم والحمد لله أنهم سلّموا وصدّقوا ولا اعتراض لهم على أمر الله وإن هذا أمر الله هو الذي يفعل ما يشاء ونحن إلا خاضعين لمشيئة الله ﴿ اعْمَلُوا فَمَسِيرِي

¹ سورة الذاريات الآية 56 و 57 و 58

² سورة الإسراء الآية 84

اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾¹ وفرحون بما يصلنا من أخباركم الحسنة وأعمالكم الطيبة وتآلفكم وودادكم ومحبتكم مما يثلج صدورنا وتقرّ به أعيننا ونحن نحمد الله لنا ولكم ونسأل الله العفو والعافية لنا ولكم إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير والحمد لله رب العالمين آمين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ
نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ
حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا
يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقيلي

رضي الله عنه إلى تونس



اليوم الثالث

السبت 25 رجب 1430

لقاء مع بعض

الفقراء

في منزل الفقير

نبيل الطنوبي

سيدي الحاج الحبيب بن حامد يقرأ من « سوق الأسرار » ص 120

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
تسليماً.

قال شيخنا وسندنا، سيِّدنا ومولانا سيدي الحاج الأحسن البعقلي رضي الله عنه
وأرضاه في كتابه « سوق الأسرار إلى حضرة الشَّاهد السِّتَّار »، قال

سيِّدي محمد الكبير رضي الله عنه

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، سَوِّقُ الأسرار، موضوع
الكتاب يُدْرِكُ من عنوانه « سوق الأسرار إلى حضرة الشَّاهد السِّتَّار »، والسَّوِّقُ
بمعنى ساق يسوق سَوِّقًا وسياقَةً، السَّوِّقُ في اللُّغة العربيَّة هو أن يكون السَّاق من
خلفِ المَسْووق، يكون من خلفه يُزجيه ويدفعه ويُحذيه ليتقدَّم إلى الأمام، فساق يسوقُ
سَوِّقًا وسياقَةً الشَّيء بمعنى أنَّه صار وراءه يدفعه ويُزجيه كما تُزجي الرِّيح السَّحاب،
فالسَّوِّق يكون من الخلف والقيادة تكون من الأمام، قَادَ يَقودُ السَّيَّارة أو البهيمة بمعنى
أنَّه كان أمامها يجرُّها ويسوقها إلى الطَّرِيق من الأمام، ومن هنا كان « سوق الأسرار
»، ليس هو السِّرُّ، كَوْنُ الأسرار هي شيء مَعْنَى من المعاني، لا يمكن لصاحب
السِّر أن يستطيع أن يوضِّح وأن يبيِّن السِّر لغيره لأنَّه شيء معنويّ، ولكن لأجل أن
يَفْهَم السِّر يُؤتى بأمثلة من المحسوس والشَّيء المرئي والممارَس للنَّاس ويُستخلص
منه المثال ما يريدُ ويظْهر فيه صاحب السِّر أن يُوصِّلَهُ عِلْمًا إلى المستمع أو إلى
المتعلِّم، أمَّا السِّر في حدِّ ذاته هو شيء لا يُستطاع أن يُفهم من الألفاظ، إن كانت
الألفاظ هي قالب المعاني، فإنَّ المعاني في حدِّ ذاتها تُفصَّل وتُبَيَّن بالألفاظ، لكن لا
يُستكَنه حقيقة تلك المعاني وإنَّما يحوم حولها، ولذلك جاءنا في الكتاب يقول « سوق
الأسرار »، أي يدفعها ويُزجيتها لمن يحبُّ الإطِّلاع، لكن لا بأن يجسِّد تلك الأسرار

لأنّ السرّ دائماً هو سرّ وهو مكنوه ولا يمكن أن نحيط به إلا من بعض الظواهر لذلك قال « يسوق الأسرار » أي يدفعها إلى القلوب بكيفية يُمكن منها لمن يتمنّ أن يُدرِك، ليس حقيقتها ولكن يُدرِك ما يحوم حولها وينتج عنها، لا هي، لأن لكل سرّ صاحبه ؛ « سوق الأسرار »، ولذلك سُمّي هذا الكتاب بالسّوق لا بالأسرار، سُمّي بالسّوق أي بمعنى أنّ هذا العالم يُظهر في أن يحوم حول تلك الأسرار ويبلّغها إلى النّاس بكيفية كلّ واحد يستطيع أن يفهمها لكن بأمثلة ولذلك جاء بالكتاب كثيرا فيه الأمثلة، والله المثل الأعلى، والقرآن، القرآن الذي هو حكما فيه الكثير من الأمثلة، ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾¹، ﴿ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾²، ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُضْرِبَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾³، فلو قال مثلا لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعا متصدعا، لكن لم يُنزل على الجبل، ولكن في الفرض والتقدير أنّ هذا القرآن لو أنزل على هذا الجبل لاندكّ دكّا، لكن تقول فكيف أنّه ينزل على البشر الذي هو أضعف من الجبل الراسي ولا يندكّ، هذا هو السرّ الذي يمكن للإنسان أن يعرفه وأن يعلمه، هذه هي إذا الأسرار، سرّ هنا وسرّ هناك، سرّ هنا يندكّ به الجبل، وسرّ هناك لا يندكّ به الإنسان الذي قواه الله تبارك وتعالى ومكّنه من أن يستطيع أن يتلقّى هذا القرآن من غير أن يندكّ، مع أنّه لو أفشي السرّ الكامل لاندكّ حتّى الإنسان، لذلك كان هذه الأسرار، هي أسرار، لكن تقربها إلى الأفهام يكون بالألفاظ، ولكن هذه الألفاظ لا توصلنا إلى كنهها أو إلى حقيقتها، ولكن تحوم حول هذا السرّ، لمن يُعطيه الله تبارك وتعالى الفهم والإفهام في كلام العارفين، ذلك معنى سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد السّتار، إلى حضرة الشاهد، سوق الأسرار أي القلوب التي هي تكتنز الأسرار، الأسرار

¹ سورة إبراهيم الآية 20

² سورة النحل الآية 60

³ سورة الحشر الآية 21

الإلهية، من علوم ومعارف وفيوضات ربّانية إلى الشّاهد السّتار، وهنا إسمان «شاهد» و«ساتر»، كذلك أهل الحقائق وأهل المعارف هم لهم هذا الظّاهر والباطن، تظهر عليهم العلوم التي هي من مقتضى الأسرار، تظهر على ألسنتهم، لكن السّر مخفي في باطنهم، إنّما لا يظهر عليهم إلّا ما هو تقريبي ويقرب ما في باطنهم، فكتاب سوق الأسرار، هو يفهم بالأمثلة المذكورة فيه، وكثير من الأمثلة ساقها الوالد رحمه الله تبارك وتعالى لأجل أن يفهم العبد أنّه إذا لم يستطع أن يتلقّى الأسرار فعلى كلٍّ عليه أن يتخلّق بأخلاق من له الأسرار، ويتحلّى بالأوصاف السّنيّة الفائقة ليكون عبدا خالصا لمن تأتي منه الأسرار، وهو الشّاهد الذي ينظر كويراك ويعلمك ويسترك أيضا ويستتر أسرارك، فهو شاهد عليك ساتر لأمرك، تظهر وتختفي، تبيّن ولا تبين، تتّصل ولا تتّصل، تتفصل ولا تتفصل، لذلك كان هذا الكتاب هو ممّن ألهمه الله تبارك وتعالى الفهم والإفهام أنّه يأخذ من الألفاظ ما يستطيع أن يفهم منها بعقله وقلبه، ولكنّه لا يستطيع أن يدخل السّر الذي هو إلى قلبه، لذلك كان سرد بعض الفقرات من الكتاب، نتذاكر فيها، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يُلهمنا الفهم والإفهام وأن يسوق لنا هذه الأسرار دون تعمل منّا ولا نصب ولا تعب، آمين، قال

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

فإذا كنت في البيت ظهرت لك الحجرة والخوخة والمسجد، وإذا كنت بالمسجد وأردت الدّخول للبيت بلا باب فهو من قبيل المحال العادي، وإذا كنت في الحجرة يظهر المسجد بفتح الباب والبيت، وعليه فالشريعة أمّ الحقيقة والطّرائق، فمن دخل فيها وقام بجِدِّ يصل إلى ما بعدها من الطّريقة والحقيقة، وإذا كان خارجا عن الشّريعة وطلب الطّريقة والحقيقة بلا شريعة فهو زندقة بنت النّفاق أرذال الكفر

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

ذلك ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾¹، من أراد العلم فليأتي الباب، وباب كلِّ شيء هو ما شرعه الله لك، الله أنزل علينا قرآناً مُبيناً ومُوضّحاً وفيه أحكام، فيه شرعنا وفيه عملنا وفيه نجاتنا، فإذا أراد الإنسان أن يبحث عن الحقائق أو الطرائق ودقائقهما من غير أن يكون ملماً بالشرعية، عاملاً بها، متخلّفاً بها، فلا يُمكن له أن يتتور سرّه وسريته حتّى يُدرك معنى الطرائق ومعنى الحقائق، فلا بدّ لمن أراد أن يسلك هذا المسلك أن يتخلّق أولاً، وأن يتحقّق ثانياً، بالشرعية وبمقتضى الشرعية وبمعنى الشرعية وأن يكون عاملاً لربّه، مُطمئنّاً قلبه إليه، مُتشرعاً في نفسه، الشرعية نورٌ، والطريقة فرعٌ عن نور الشرعية، فهي الشرعية أمٌ والطريقة والحقيقة هي بنتٌ للشرعية، فمن كان أراد أن يدخل إلى البيت من غير باب فإنه محالٌّ عليه، محالٌ أن يدخل إلى بيت مُغلق وموصد، أن يدخل إليه من غير أن يطرق الباب حتّى يُفتح له ويدخل، لذلك الشرعية هي الأولى الذي يجب على كلِّ واحد أن يتفقّه فيها، لأنّ لا وصول إلى الله ولا معرفة تُرجى وتُدرَك، إلّا إذا كان الإنسان ملماً بشرع ربّه عاملاً بمقتضاه حاملاً نفسه على التعلّم والإغتراف من الشرعية، فكلما زاد الإنسان تقرباً إلى الله بشرعه كلّما تنوّرت أسراره وبصائره حتّى يُدرك درجة العارفين الكاملين، وبدون هذا لا يمكن، فمن أراد أن يبحث عن الحقائق وهو غير ملتزم بالشرعية ولا عالماً بها، إنما هذا يتزندق فقط، لأنّ كُتب الحقائق هي أسرار، فيها أسرار وفيها رموز وفيها إشارات، فمن أخذها من غير الشرعية قد يضلّ وقد يفسد إيمانه وقد يتزندق ويرمونه الناس بالزندقة وبالفسق، لذلك الإخوان أن ينكبّوا على الشرعية أولاً، أن ينكبّوا على الشرعية التي هي الأحكام، أحكام الله يتخذونها عدّتهم، ويتخذونها عملهم، إذ ذاك يمكن لهم أن يبحثوا عن الطريقة وعن الحقيقة، لذلك لا بدّ من الشرعية أولاً لأنّها هي الأمّ، ثمّ بعد ذلك نأتي إلى الطريقة وإلى الحقيقة، فكتب أهل التّصوّف هي

حقائق، وأصحابها تتوروا وتتورت بصائرهم بانحيازهم إلى الشريعة وبالعمل بها، ومن أراد أن يبحث وأن يأخذ هذه الكتب من غير أن يتحقق إنّما يكون يضلّ، يضلّ ويتزندق، إلا ما لطف به الله تبارك وتعالى، لذلك قال هنا، نعم

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وعليك برسم الشريعة فمن ترك منها حرفا عوقب عليه بظلمة ما يناسبه من قلبه وربّما يدخل الشيطان لبعض المريدين بحيث يُكْرِهُهُ مجلس الفقه وهو جاهل ويحسن له الحقائق وكتبها ويستثقل كتاب الله وحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومذاهب العلماء

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

نعم، هذا شيء حاصل عند كثير من الناس، إذا أردت أن تحدّثه بالشريعة، أنّه يذكر لك هو كلام القوم، ويستشهد بهذ وبهذا وهو جاهل بالشريعة، فرّبما يكون هذا الإنسان أنّه أخذ الشيطان بتلابيبه وقاده حتّى يُخرجه عن عقيدته التي هي ملاذّه والتي هي المنقذ له والمنجي، وهو العقيدة، لأنّه إذا لم يصحّ العقيدة بقراءة القرآن وتفسير القرآن والأحاديث، ثمّ تفسير ذلك ببيان مذاهب أهل الحقّ، أنّه قد يزلّ وقد يُسيطر عليه الشيطان فيوقعه في حباله ويزين له أنّه عالم أو أنّه يُلهّم، فيضلّ من هذه الناحية، ويصير الشيطان يتلاعب به، لأبدّ للعامة وللفقير ولغيره أن يلمّ بعلم العقائد، علم العقائد أولا، علم العقائد يتبع فيها أهل السنّة، فإذا تمكّن منها لا يستطيع الشيطان أن ينفذ إليه، ولا يجد له منفذا ينفذ إليه منه، لأنّه متزوّد وله عدّة للدّفاع عن عقيدته بعلمه بالعقائد، وما يجب عليه أن يعتقد في ربّه وفي رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذلك قبل كلّ شيء، ولذلك نحن كما وجدنا الوالد رحمه الله نحرص كثيرا على أن ندرّس الشريعة ومن خلال تدريس الشريعة من ذلك ننفذ إلى ما وراء الألفاظ والمعاني المتناولة عند الناس، لنصحّ لهم أيضا ما هو من الطرائق وما هو من

الحقائق، لذلك قال هنا الشريعة أولاً، نبحث عما يقوي عزمنا وعقيدتنا، فإذا عرفنا ذلك لا يستطيع أحد أن يُزلنا أو أن يُضِلنا، الثبات كله على هذا الأمر، علم الحقائق والطرائق هي أعظمها وهبياً أو يُأخذ عن طريق المكاشفة أو العلم اللدني لمن كشف الله له على هذا الأمر، لأن الحقائق هي أسرار، والشريعة هي ظواهر، فالقرآن نزل على ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعلوم وما يفيضه الله تبارك وتعالى نزل على باطنه، ظاهر القرآن هو عام للعموم، والحقائق هي خاصة للمخصوصين، ولا يفهمها الإنسان إلا إذا كان متمكناً من علم الشرع ومن علم العقائد، لذلك يحصل له التتوير الباطني فيدرك بماهيته وبكنهه وبكل مسامه، يدرك ما يُراد أن يدركه مما يُفاض عليه أو ما يتلقاه أسراراً من حضرة الغيب ومن حضرة ربّه، ثم قال

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وربما يدخل الشيطان لبعض المريدين بحيث يكرهه مجلس الفقه وهو جاهل ويحسن له الحقائق وكتبها ويستثقل كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب العلماء ويستحلي له اصطلاحات القوم والتشوق لكلامهم بلا ذوق وهو وهم فاحش

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

وهو فاحش، لأنه يؤدي به إلى الزندقة، من تصوّف ولم يتقّه فقد تزندق، ومن تقّه ولم يتصوّف فيتسوّق، الفسق والزندقة، اثنان، الزندقة تؤدي والعياذ بالله إلى الكفر، والفسق يؤدي إلى العصيان، إلى الخروج عن طاعة الله والاستهانة بمحارم الله، لذلك لابد من هذا، أن يجمع بينهم فذلك هو النّجاة، في الدين وفي الدنيا والآخرة، أمّا أن يعرف الشريعة فقط من غير أن يتصوّف يكون سطحياً، وظاهرياً ومتشدداً في أقواله وفي أفعاله، كما هو في الناس الذين يدعون بعلماء الظاهر، أنظروا كم من مآسي وكم من ضلال أشاعوه في العالم الإسلامي، بسبب تمسّكهم بظاهر الألفاظ، ولم يصدّقوا بأنّ هناك علماً، علم ظاهر وعلم باطن، فعلم الظاهر هو علم الشريعة،

وعلم الباطن هو العلم الوهبيّ اللدنيّ الذي لا تَعْمَلُ فيه، وهو سرّ الشريعة، ولا نفهم السرّ حتّى نفهم موضع السرّ، وموضع السرّ هو الشريعة، هو الكتاب، هو السنّة، لذلك الحرص دائما على أنّنا نجمع ما بين الاثنين، أن ندرس وندرس وأن نطلع ونفهم من هذا ما نفهمه من هذا، ولا يكون هناك تناقض ما بين الشريعة وما بين الحقيقة، والجمود على واحدة منها هو ضلال، الجمود على الظواهر ضلال، والجمود على البواطن هو أيضا كما قلنا زندقة أو فسق، لذلك قال

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

فاعلم أنّ ما ذكره العارفون من أذواقهم ما ذكر ولا كُتِبَ ليقرأ ولا ليُعرف لأنّه عمره لا يُعرف إلاّ بالفتح فكلمّا توقّف على الفتح فالفتح يقوم مقامه بلا اصطلاح

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

بلا اصطلاح، كلّ ما كتبه أهل الله من علوم وحجّم هي متوقّفة على الذوق والذوق متوقّف على الفتح، ولا يُدرك هذه الحقائق على حقيقتها إلاّ من فتح الله عليه، ولا يُفتح عليه إلاّ بالشريعة، إذا كان الإنسان عالما بالشريعة مطيعا لها عاملا بها، يعطيه الله تبارك وتعالى من الفهم والإفهام ما يستطيع أن يُدرك مغزى كلام أهل الله، وكذلك رموزهم وإشاراتهم، وإلاّ فيتزندق ويأخذ كلامهم ويحمله على غير ما يقصدونه هم ويعمل به فيضِلّ هو ويضِلّ، نعم، قال

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وإنّما دَوْنوه ترويحاً لبواطنهم وإيقاظاً لأمثالهم في التولّه بذوق حضرة الملك الحقّ ويفسّرون ما يفسّرون من السنّة بالوهاب لأمثالهم له أهله لا أنّهم عرضه للعلماء بالرّسوم فإنّهم بمعزلٍ عنه وعليه فذهَبُ الإبريز إنّما وُضِعَ للكاملين من العارفين ترويحاً لهممهم وتلذّذاً لمكان بواطنهم على سبيل إداقة الجيران

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

على سبيل إذاعة الجيران، فهم يجعلون ذلك لأمثالهم من الكمال، لأجل أن يشاركوهم في ذوقهم، لا لغيرهم، كما قال بمثال كإذاعة الجيران، إذاعة الجيران كما في الحديث، يقول صلى الله عليه وسلم «إِذَا طَبَخْتَ مَرْقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»¹، وتعهّد بها جيرانك، يعني أنّ ذلك الذي أعطاك الله من تلك النعمة أعطي منه شيء، ذوق منها جارك ولكن لا تعطيه الكلّ، إنّما من باب التّقضّل على الغير، أي الذي له نفس الأنواق أو نفس المشرب والذي فهم عن الله، وليس كلّ النّاس، يمكن للإنسان أن تُهديه "الحكم العطائيّة" مثلا، أو "الإبريز" أو غيرهم، إذا تكلمنا عامّة في "الإبريز" وتكلمنا عن "الديوان" مثلا، وتركيبه الديوان، ربّما يخوض، ويأخذ ذلك الكلام منك، تلك الألفاظ ويسيرُ يروّجها في قالب الآخر وفي حلّة أخرى، وربّما أكثر المنكرين، إلى آخره، لكن إذا كان عالما وكان عارفا وواصلًا فإنّه يعرف ذلك أنّه من باب الأسرار، وأنّ ذلك لا يُقال في المجالس كلّها إلّا في مجالس الخواصّ، إلّا لخواص الخواص، الذين يفهمون هذا الأمر ويعلمون أنّ هذا ممّا يُطلِعُ الله تبارك وتعالى به عباده الصالحين، وهذا لا مشاحة فيه، لأنّ الله تبارك وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب، ويفضّل البعض على البعض، ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾²، إلى آخره، هذا التّفضيل هو من الله وليس من الخلق، ولكن لكلّ مرتبته وحقائقه وذوقه، والحقائق لا تتغيّر أبدا، ثمّ قال

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

على سبيل إذاعة الجيران وإن كان عندهم مثله

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

¹ أخرجه مسلم، ذكره في البرّ من حديث أبي هريرة

² سورة البقرة الآية 253

وإن كان عندهم مثله، لأنّه من آتاه الله نعمة واستطاع أن ينفع أخاه فليفعل « مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ »¹، وأنهم يذوقون تلك الأذواق ويريدون مثلهم أن يتذوقوا معهم ما حصل لهم وما تلذذوا به وما فرحوا به، وأن يُشاركهم في فرحهم وفي تلذذهم ولو كان مثلهم، نعم

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

فيقبله الجار مصحوبا بالدعاء والهدية له ويعرف أنّ شأن الجار أن يجيره وكلّ واحد منهما يفيض على صاحبه ويتساجلان بدلاءٍ موائد الإكرام وأمّا العالم والعارف فلا نسبة بينهما في الجوار لأنّ العالم ظاهر بنفسه باعتقاده وإن كان يقول بلسانه خلافه والعارف ظهر بالله فشتان ما بين أنوار الله وظلام النفس وعليه

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

ولذلك ينبغي لمن فتح الله عليه في هذا الباب أن لا يكون متسرّعا في ذكر هذه الأمور في كلّ جماعة أو لكلّ أحد، فلا بدّ له أن يميّز وأن يفاضل بين من يستطيع أن يتلقّى منه ويسلم، وبين من يتلقّى منه ويُنكر، فالعلماء الذين هم علماء الشريعة، الذين هم تمسّكوا بها هم مثل الحارس، الحارس أوقفته على الباب وقلت له إياك أن يدخل أحد إلى هذا الباب إلاّ بإذني، اعلم أنّه لا يمكن له أن يترك ولو قتره، ولكن أهل البواطن هم الذين يبقون في داخل الدار يلهون بها ويحسنونها ويزوّقونها وينظّفونها، فهم غير العلماء الآخرين، ولذلك هنا لا نسبة بينهما، لا نسبة بين هذا الذي هو فقط صاحب الأوامر، يقف عند حدّها، وبين الذي هو يفعل وينمّق ويزيّن ويبدّل ويغيّر، فهذا له خيار وله إختيار، إنّما هذا لا ينقص من علماء الشريعة، علماء الظاهر، لأنّهم هم الحراس على الشريعة، هم الحراس على الدين، لو لم يكن

¹ عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ، لَدَعْتُ رَجُلًا مِّنَّا عَقْرَبٌ وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَقِي قَالَ « مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ ». أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب استحباب الرقية من العين والنملة

علماء الشريعة الذين هم علماء الظاهر، لضلّ أيضا الناس في الباطن، الذين يبحثون عن الباطن، لأنهم الذين يحمونهم، يحمونهم من الزلل، لذلك إذا كان الإنسان مع مثل هذه الناس ينبغي أن يجعل نفسه كالجاهل الذي لا يعرف شيئا، ولا يُظهر نفسه أمامهم، حتى لا يتعرّض لسيوفهم، وتتسلط عليه السيوف فتُهلكه، ينبغي للإنسان أن يكون لكلّ مقام مقال ولكلّ حالٍ رجال¹، فليس أن نتكلّم في ما هو من علم الحقائق مع الناس الذين هم جامدين على الظواهر، لأنهم قد يشكّون فيه أو يطعنون فيه أو يرمونه بشيء من الزندقة أو بغيره أو يشكّون به إلى الوالي أو الحاكم أو الأمير، وتكون لهم الكلمة النافذة فيتطرّروا من ذلك الشيء، كما هو حصل في قضية صلاة الفاتح، التي حصل فيها ما لكم علم بها، ما حصل في أمرها، لولا اللطاف الله تبارك وتعالى في هذا الأمر، لكان من قالها جزّ رأسه أو جزّ بنفسه إلى أن مات، ينبغي للإنسان أن يكون دائما لسانه محظي، والألفاظ التي تخرج منه كذلك مراقبة منه، لأنّ الإصطلاحات في الألفاظ هي واحدة، لكن الإصطلاحات تختلف، ما بين لفظ ولفظ ودلالة الألفاظ أيضا تختلف ما بين لفظ ولفظ، فينبغي للإنسان دائما أن يبحث عن اللفظ الوسط المناسب الذي يقرب إلى هذا ويقرب إلى هذا، لا يبعد هذا ولا ينفر هذا، وإتّما يقارب بين جميع الألفاظ، والحمد لله أعطانا الله الألفاظ وهي قوالب المعاني، ونتصرّف فيها بحسب المواقف، وبحسب الحضارات وبحسب مسامح الناس، ليس كلّ إنسان أنك يمكنك أن تقول له هذه الحقائق، لأنّه لا يقبلها، لا يقبل أن تقول أنت أن يكشفني الله بكذا، ورأيت كذا وعلمت كذا، وأعطاني الله كذا، هذا ليس كلّ الناس يقبلون هذا الأمر، وإتّما أمثالك هم الذين يقبلون هذا الأمر منهم كذلك من حصلوا على هذا الدوق وهذا على هذا السرّ، ثمّ قال

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

¹ عن قتادة قال: سألت أبا الطّفيل عن حديث، فقال: " لكلّ مقامٍ مقالٌ ". البيهقي في شعب الإيمان، والسيوطي في الجامع

فشتان ما بين أنوار الله وظلام النفس وعليه فكلام العارف لا يعرفه العالم قطعاً

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

أي العالم المتجمّد على الظواهر، نعم

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

إلا من جهة صنعة علمه العربية والعربية في كلام العارف إنما هي واد من أودية بحوره فلا يصل العالم بصنعة علمه إلا جزءاً واحداً من أجزاء الأودية ولا مطمع له في معرفة الأودية كلّها فضلاً عن الإحاطة بقعر بحوره فافهم ولا تكن ممن اغترّ بجواهر كنوز أذواقهم فإنك لا تصلها إلا إن دخلت من باب بيوتهم بإذنهم والعلم بالمشافهة وأفواه الرجال لا من الكتب

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

لا من الكتب، لا بدّ للإنسان دائماً أن يعلم هذا الأمر، وأنّ العلم يُؤخذ من أفواه الرجال لا من الكتب، الكتب فيها العلم، لكن الفهم وما وراء المعاني هو يأتي عن طريق الأفهام التي أحيط بها العارف ليبلّغها بقالب آخر قد يُخرج المرء أو المتعلّم عن ما فهمه أولاً إلى أفهام أخرى، العلم لا يُؤخذ من الكتب فقط ولكن من أفواه الرجال، ومن بينه مثلاً قد يكون الإنسان ذاهباً إلى المدرسة، ويراجع درسه بالليل، ثمّ يجلس أمام الأستاذ ويكون هو فهم فهمًا من ذلك الدرس، فإذا بالأستاذ يتعمّق في درسه، ويأتي بأمثلة وشواهد، ويقلب له كلّ ما فهمه هو من تلك الألفاظ، لذلك العلم يأخذ من أفواه الرجال، أي الرجال الذين أقامهم الله تبارك وتعالى ومنحهم من علمه اللدني ما انتعشت به أرواحهم وبصائرهم، وكشف الله تبارك وتعالى عن حقائقه بإذنه لا بهم، أي بالله لا بهم، إذاً دائماً للإنسان ينبغي إذا استعصى عليه شيء أو اضطربت له بعض الألفاظ وبعض المعاني أن يسأل عنها أهل العلم، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ

كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾¹ ولو قرأتم في الكتاب فقد تختلط لكم المعاني ويفهم الإنسان معاني مضادة للفهم الأصلي الذي هو ينبغي أن يفهمه الإنسان من كلام الله ومن كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

والعلم بالمشافهة وأفواه الرجال لا من الكتب

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

وأیضا وهنا نفتح قوسین، العلم الذي صار اليوم علم التجارة، علم تجاري، يُتَحَدَّقُ² به في الفضائيات، ويأتي من يُطِيلُ لحيته، ويلبس لباسا كله مرصع بالحريز، ويجلس بالأضواء محاطة به من كل جهة، ويصير يتكلم ويفتي ويُعَلِّمُ، والناس منبهرين بالأضواء وبالألوان وبلحيته الطويلة وبما هو أحاط به نفسه من أبهة، فيظن الناس أنه ذلك هو العلم، وأن ذلك العلم أنه يدخل إلى قلوبهم، ولكن إنما هو يمر على آذانهم ولا يدخل إلى قلوبهم لأنه ليس بنور، وليس ذلك العلم مرفوع أو مُزَجَّى بنور الله، العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فمن قذف فيه ذلك العلم، قذف الله في قلبه العلوم التي تنفع البشر وتكون القليل منها تروي العطشان وتثير طريق الولهان، أما تلك الفضائيات فنحن نحذر إخواننا جميعا أن يتشبثوا إلى ذلك أو حتى ينظرون إلى ذلك، فهي ضلال كلها، وكلها ضد الشرع وضد الشريعة، وليس فيها إلا ناس يتاجرون بالعلم، لأجل أن يملئوا حسابهم بالدنانير وبالدرهم وبالريالات، وليس غير هذا، لأن العلم لا يدخل القلب إلا إذا كان صادرا من القلب، ولا يفهمه إلا من أفهمه الله ذلك، أما ما هو إنما هو ضلال وقد أخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا،

¹ سورة النحل الآية 43 وسورة الأنبياء الآية 7

² حَدَّقَ الرجل تَحَدَّقَ بزيادة اللام إذا أظهر الحنق فادعى أكثر مما عنده - تحدق و تظرف و ليس عنده شيء و قيل في ذم رجل

سيأتي زمان يأتي ناس تحقرون قرائتكم مع قرائتهم وصلاتكم مع صلاتهم، ولكنهم ينفذون من الدين كما ينفذ السهم، « يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ وَيَقْرءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الْقَدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الرَّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ »¹، وهؤلاء كثيرون، وكذلك ناس يَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ « يَا مَالِكُ مَا أَقُولُ لَكَ نَفَاسَةً، إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أُمَّةٌ فِي الدِّينِ يَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ، فَاتَّقِ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ »² ، العلم لا يؤخذ من هذا ولا من أشرطة الكاسيت ولا من غيرها، وإنما لابد من أفواه الرجال، نعم على الإنسان أن يستمع، لكن لابد أن يبحث ما بين السطور وما بين الفقرات، لأنه تكون هناك ألغام متداخلة ما بين السطور، لأن ذلك العلم هو يؤخذ من الشفاه ومن أفواه الرجال لا من الكتب فقط، والكتب الآن، أغلب الكتب المطبوعة حديثاً، فيها تصحيف³ عظيم، الكتب التي اشتريناها هذه الأخيرة من المكاتب ومن المعارض، لم نجد كتاباً منقحاً أبداً، ذلك التصحيف قد يؤثر على الإنسان الذي لا خبرة له، ولا علم له بالنصوص وبالشرح وبالمعاني وبالألفاظ، كتاب اشتريناه في ثلاثة أجزاء وبهذا الحجم، المقدمة الأولى كلها أغلاط، وكذلك كتاب جواهر المعاني الذي طبع حديثاً وليس الطبعة القديمة، كلها أغلاط، بل ربما يقصد بتلك الأغلاط أنها مدسوسة، فالذي لم يكن له علم وبينة من أمره قد ينساق مع تلك، وذلك الشيء الذي يكون مدسوساً كأن الشيطان هنا يكون بذاته يُطَلَّ في ذلك الأمر ويُوحي إلى ذلك هو الذي يأخذه فقط، الكتاب كله يتركه ما عدى ذلك الشيء الذي فيه دُسَّ هو الذي يقره في قلبه، لأنه من الشيطان، نذكر علي سبيل المثل، قرأ أحدهم في كتاب،

¹ البخاري ومسلم والسيوطي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

² حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني من حديث ربيعة بن أبي عبد الرحمن

³ المصحف: الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف

الحبّة السوداء شفاء من كلّ داء، وتلك الحبّة فيها نقطة ثانية زائدة في حرف الباء فصارت كالياء، صارت الحيّة السوداء شفاء من كلّ داء، فصار يبحث عن الحيّة السوداء لتشفية من كلّ داء، فلما وجدها قتلتها، فقتلته وقتلت كبده، وهذا هو الشيء الذي في كثير من الكتب حتّى جواهر المعاني المطبوعة تلك هي أيضا فيها هذه الأغلاط إمّا مدسوسة وإمّا مقصودة أن تكون كذلك، وإمّا من اللامبالاة في الأمر، إن لم يكن الإنسان له حصافة وعلم ودراية بما يقرأ فإنّه ينساق مع تلك المعاني، وذلك الدسّ الذي يكون فيه، ويصير بدل أنّه يفهم من ذلك الكتاب سيصير يطعن في صاحب ذلك الكتاب، ينتقل من علم إلى طعن، أي من ثواب وجزاء إلى ذنب عظيم، ذلك هنا لا بدّ أن يكون الإنسان على بينة، ثمّ قال

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وإنّما يعرفه في الكتب من ذاقه من الرجال مشافهة ولا يطالع العارف كتب القوم للاستفادة بل لقبول هدية إذاقة الجيران

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

لا للاستفادة إنّما لقبول الهدية، هدية إذاقة الجيران، أنّه يطلع على الأمر ليعرف للناس قدرهم، بهذه النية فقط، لا بنية أنّك تستفيد منهم، نعم

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

ولا تدخل إلى مخدعهم إلا بالفناء عن نفسك يا داوود خلّ نفسك وتعال

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

ولا تدخل إلى مخدعهم إلا بالفناء، حتّى تُسلم، فتُسلم وتُسلم وتُصدّق، إذ ذاك حاول أن تدخل إلى مخدعهم وتشاهد أحوالهم، وجزى الله أحد العلماء المشهورين في الشرق وهو العالم الجليل سيدي محمّد العلوي، صاحب الكتب الكثيرة المالكي الذي توفّي هذه السنّتين، سيدي محمّد المالكي العلوي جاء إلى المغرب هذه السنّتين،

وزارنا وزارني في بيتي، وكان المجلس من الفقراء، وبعد تقديمه إلى الناس وعرفوه، وتكلم شيئاً ما، قلت له تكلم مع الناس، باعتباره عالماً جليلاً ورجلاً ذاق ولاقى من الشدائد ما لاقى في سبيل مبدئه وفي سبيل قوله سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، وسُجن وعُذّب، وهو مالكي مكّي، قال لي بهذا اللفظ: ما أفعل، أنا ما جئت إلى هنا إلاّ مُسلّماً، فقد تركت علمي كلّه ورائي، ودخلت هنا مُسلّماً، هذا العالم الجليل لازلت أحمل له هذا الشعور، وهذا العرفان بما آتاه الله تبارك وتعالى من هيبة ووقار وعلم ومعرفة، هكذا ينبغي أن يكون الإنسان، الذي يدخل إلى مجلس الإخوان لأجل أن يجرب نفسه أو لأجل أن يعجزهم فهو لا يرى منهم إلاّ ما يسوءه، ولا يرى فيهم إلاّ ما يسوءه، حتّى الأسئلة التي يريد أن يسألها فإنّه لا يسمع منها إلاّ ما يسوءه في ذلك، إلاّ أنّه حاله الخسيّة لا تريه إلاّ الخسة والدناءة، وإذا دخل الإنسان بقلب سليم وصدق لا يسمع ولا يرى إلاّ ما يجول في خاطره ويتفكره بعقله ويتمناه بقلبه، فقد يتكلم العارف في مجلس بلفظ واحد، كلّ واحد يفهم من ذلك اللفظ ما يجول في وجدانه وفي خاطره وما يتمناه في قلبه، فكلّ واحد يأخذ معنى من المعاني من لفظ واحد أو من كلمة واحدة إذا كان صادقاً ومُسلّماً وصافياً، وتكون مرآته الباطنيّة ممسوحة ومنظّفة ومنقّاة، إذا الإنسان هو يرى بقدر مهنته، إنّ الله يعطي للعبد بقدر مهنته، كلّ على حسب استعداده، كلّما وجد الإنسان في ذلك الاستعداد الداخلي هو يجد كذلك منه من الله تبارك وتعالى ما يناسبه، ما يناسبه، إنّ الله يُعطي العبد على قدر مهنته، على قدر استعداده، نعم

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

ولا تدخل إلى مخدعهم إلاّ بالفناء عن نفسك يا داوود خل نفسك وتعال

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

يا داوود خل نفسك وتعال، نعم، خل نفسك، إذا النَّفس هي العدو للإنسان، إذا بقي

الإنسان مع نفسه فلا يُرجى منه ربح أبداً، ولا يُنقل له خير أبداً، حتّى يتخلّى عن نفسه، ويدقّها دقّاً ناعماً حتّى تصير كالهباء، إذ ذاك يستطيع الإنسان أن يدرك ما يشاء، وإذا بقي حظّ يسير مع نفسه فلا يصله خير أبداً ولا يُدرك شيئاً أبداً، لأنّ النّفس تكون مظلمة، يا داوود خلّ نفسك وتعال، فإذا تخلّيت عن نفسك وجئت إلى المخدع فلا تجد إلّا ما هو من قبيل الهبات الإلهية والنّفحات الربّانية والمعارف الحقّانيّة، وإذا كانت لك نفس فلا تسمّى عبداً، لا تُدرك شيئاً أبداً، لا بدّ للإنسان أن يجردّ قلبه ويتجرّد حتّى يتجرّد من نفسه، لا يجردّ قلبه إلّا بدأ يتجرّد من نفسه، ولو بقيت شائبة صغيرة عليه إنّما تُرديه وتتكاثر في نفسه حتّى تُظلم، ويظلم قلبه ويصير من الأفاكين المنافقين الذين لا يحبّون الخير لأحد، فلا يمكن للإنسان أن يتغلّب وأن يدخل المخدع السليم إلّا إذا تجرّد من نفسه وهواه، ودخل في قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾¹، هذا لا بدّ شرط أساس، لا يمكن للإنسان أن يتنوّر بصره ولا أن يتجرّد لله إلّا إذا سلّم وطحن نفسه وتركها، إذ ذاك يمكن له أن يقبل على شيء ويقبل عليه كل شيء، لا بدّ من هذا، ويذكّرني مع هذه الآية ما ذكره المفسّرون، في قوله تبارك وتعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾ (أي ضيقاً من الحكم) مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿ هذه هي، ويسلّموا الأمر من غير محاكمة له في نفوسهم، وقال المفسّرون هنا، وهذه قصة صارت في زمان رسول الله، كان بين يهوديّ وأحد الأعراب نزاع حول أرض، كما هو دائماً النزاعات تكون على الأرض، فادّعاها اليهوديّ لنفسه وادّعاها الآخر لنفسه، وتخاصما، وقالوا

¹ سورة النساء الآيات 64 و65

نرفع الخصام، فقال اليهودي نرفعه إلى محمد، لأنه لم يرد أن يرفعه إلى اليهود لأنهم أهل مكر، خشي منهم، فقال نرفعه إلى محمد، أنا رضيت بمحمد أن يكون حكما، فذهبا إلى رسول الله، وقص اليهودي قصته، أي عرض دعواه، وعرض الأعرابي دعواه على رسول الله، فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي بالأرض، القطعة التي ادعى فحكم له بها، بالحجة طبعاً، فلم يرضى ولم يُسلم المسلم بالحكم، فقال له نتحاكم عند عمر ابن الخطاب، فرضي اليهودي، فذهبا إلى سيدنا عمر ابن الخطاب يتحاكمان عنده، فقال له اليهودي، إننا جنناك في نزاع وهذا النزاع عرض على محمد، هو يقول محمد ولا يقول رسول الله، فرضي اليهودي، قال له : وماذا حكم ؟ قال له : حكم لي، فقال لذلك المسلم الذي يدعي الإسلام : أحقاً ما يقول ؟ قال : نعم، قال له : أو ذهبت إلى رسول الله وحكم لك، وتأتي إلى عندي لأحكم لك أنا ؟ أمكث في مكانك، فدخل إلى بيته، وسل سيفه، وقتله، نعم هكذا يكون، كيف بك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حكم وتأتي عندي أنا لأحكم، ولم ترضى بحكم رسول الله، قال ولذلك قالت هذه الآية "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ"، وكل فقير وكل مريد وكل محب وكل مخلص ينبغي أن يقول هذا الكلام لنفسه، "فَلَا وَرَبِّكَ"، هذا قسم، "لَا يُؤْمِنُونَ"، أي لا يكونوا صادقين، "حَتَّى يُحْكَمُوا"، إذا جرى الحكم، "يُحْكَمُوا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ" من خصام، ويرضون بالأمر ويسلمونه، لأنه إذا بقي من حرج في الصدر فليس هناك صدق، الفقير أو غيره أو الذي يجلس بين يدي العالم أو المقدم، وهو يحدث وهو يروج في نفسه أن ماذا يقول هذا وماذا يتحدث، لا يقول شيئاً، يروج في نفسه، وهو يدعي أنه أخذ عنه الورد، هل يكون هذا صادقا، هذا ليس بصدق، بل أنه فقط يُسمى أفاك، آثم، إلا أنه يسوء الظن، وسوء الظن في الخلق هو عصيان، سوء الظن في خلق الله هو عصيان لله، "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحْكَمُوا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا"، انظروا إلى هذا التصوير،

الحرص هو الضيق، في ذلك الأمر، "وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"، يعني يقولوا هذا حَكَم بيننا رسول الله، أو هذا قاله فلان فأنا لا اعتراض لنا عنه أبدا، لا باللسان ولا باليد ولا بالقلب، وأعظمه هو الاعتراض بالقلب، وأفحشه الاعتراض بالقلب، لأن الاعتراض بالقلب نفاق، لذلك كل مرید ينبغي أن يكون كذلك في مجلس الإخوان أن يكون كذلك مسلماً مصدقاً، ما يقوله يصدقه، وما رآه يسلم له، الصدق والتسليم، وغير ذلك يكون مدعياً، يكون الإنسان مدعياً، ولا ينتفع لا بعلمه ولا بورده، ولا ربما حتى بإيمانه لا ينتفع، ثم قال

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

فالعالم له مقام كبير في بابه

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

في بابه نعم، لا بد لنا منهم، لا يمكن لنا أن نتعلم الشريعة ولا الطريقة، لا بد لنا منهم، لا يمكن لنا، من الذي سيُعلمك

مبتدئاً باسم الإله القادر

يقول عبد الواحد ابن عاشر

إلى آخره، يقول:

كذا البقاء والغنى المطلق عم

يجب لله الوجود والقدم

من الذي يفسره لك ذلك لا بدّ تحتاجه، وهو الذي يمكن أن يبين لك هذا، ويبين لك صفات الله، هو العالم، الذي يقول لك هذا حرام وهذا حلال، ولكن العلماء الآخرين هم لهم أسرار، سرّ هذا الأمر، سرّ العبادة، سرّ الصلاة، سرّ الصوم، سرّ كيف تخلص إلى الله تبارك وتعالى في العبادة، كيف تُرجع نفسك من الهواء ومن النفس ومن الضياع، لذلك هنا نرجع إلى أهل الحقائق، نعم ثم قال

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وهو أكثر النَّاسِ تبعاً وعملاً ومثونة لكن إن تعلَّق ورضي ببعض العارفين ينجذب ويُزفَّ في مدَّة لحظة ويصير من أهل الحقائق وإنَّما عظم حجابُه بالعلم إن تجمَّد عليه أبدا ولم يتعلَّق بالعلماء بالله فإن كنت ذا بصيرة يغنيك كلامنا عن دلالة دليل وحكمة حكيم لأنَّه من لدن حكيم عليم

سيِّدي محمَّد الكبير رضي الله عنه

من لدن حكيم عليم، ولذلك سمِّي سوق الأسرار، ولهذا يتكلَّم بالأمثلة، ليلبِّغ النَّاسَ الأسرار، ليفهموها، كلَّ واحد يفهم بحسب ما مُنح وما فتح الله عليه في ذلك الأمر، فينظر إلى هذه الأشياء ويعلم أنَّ سرَّ الله في كلِّ شيء، هو في الذَّوق، وأنَّ الذَّوق يُدرك حتَّى بحسن النِّيَّة، فإذا أحسن الإنسان النِّيَّة في عالمه أو في العارف فإنَّه يعطيه الله تبارك وتعالى ويُفيض عليه ويمدُّه العارف من غير أن يشعر لحسن ظنِّه به، وربَّما نكتفي بهذا الأمر لأنَّنا فقط أردنا أن نُسمعكم شيئا من هذا، لأنَّ هذا لبَّ عملنا، وهو أنَّ كلَّ واحد أن يشتغل ويشمِّر على ساق الجدِّ والاجتهاد ليتعلَّم الشريعة ولتكون مشرِّعا ويعرف الأسرار والأحكام الإلهيَّة في هذا الأمر، وبدون هذا قد يكون الإنسان متعرِّضا للزلل، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يقينا هذا الزلل، وأن يُرشدنا إلى ما فيه صلاحنا، ويعلمنا ديننا به حتَّى نعلم حقَّ الله في كلِّ حقيقة من حقائقه. آمين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ
وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ
وَالهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ
حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

هل لديكم سؤال ؟

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

هذا حديث قرأناه في الزاوية إثر الوظيفة وطلبت من سيدي الحاج محمد الكبير أن يقول لنا ما تيسر فيما ورد به، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَرَأَيْتُمْ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عَمْرُ وَأَصْدُقُهُمْ حَيَاءً عَثْمَانُ وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَقْرَوَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أَبِي بْنُ كَعْبٍ وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مَعَاذُ بَنِي جَبَلٍ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عَبِيدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ »¹

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، هذا الحديث هو شهادة، أو إجازة إذا أردنا أن نسميها، إجازة من المعلم الأول والمُرشد الأعظم والعالم الأمثل، سيدينا ومولانا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأُمَّته، هذه إجازة وشهادة من المعلم حيث أنه بين لنا في عصره وفي زمانه وفي أصحابه بعض الخصائص أو المزايا التي يمتاز بها البعض، هؤلاء الصحابة المذكورين على بعضهم في المزية، ونحن نعلم جميعاً أنّ المزية لا تقتضي تفضيلاً، فقد يكون للمفضول مزية لا تكون للفاضل، وكما قلنا المزية لا تقتضي تفضيلاً، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا، كلّ صحابي من الصحابة رضي الله عنهم أبرز لنا فيه صفة من صفاته إمّا هذه الصفة أن تكون باطنية، معنوية، أو أن تكون صفة ظاهرة فيه، وهي ميزة ما، فأول الصحابة رضوان الله عليهم الذي شهد فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الشهادة أبو بكر الصديق، أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما تعلمون إنه أول رجل آمن برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أول رجل آمن به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدقته

¹ ابن عساكر عن ابن عمر. ابن النجار عن ابن عباس. وأخرجه السيوطي في جامع الأحاديث

وسلم له، فالله تبارك وتعالى يجعل لرجالا من عباده رجالاً آخرون يُشدّون أزره ويحيطونه بالعناية وبالإكبار وبالمحبّة وكان منهم هذا الرّجل الملامتيّ ، رجل الخفيّ، رجل الذي يُسرّ ما فيه من كنوز ويظهر للناس على أنّه رجل بسيط في معاملته وفي اتصاله بالناس وفي أسواقه، لا يظهر عليه شيء ممّا اكتنز في باطنه وهو سيّدنا أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه، وسُمّي صدّيقاً لأنّه قال تلك الكلمة المعلومة والمشهورة التي ردّ بها حذق¹ الكافرين وكيد الماكرين وأيضاً أعلم من كان على شكّ وريبة أنّ ما يقوله حقٌّ، وسُمّي بالصّدّيق لتصدّيقه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم والتسليم له في كلّ أمره، وهذه الصفة هي صفة جميع الكمّل، جميع الكمّل لا يلجون بابا ولا يقتحمون شيئاً حتّى يتيقّنوا من فعاليّة أمرهم ومن صلاح أمرهم فعندما يتأكّدون ويتيقّنون في شيء لا يُمكن لشيء مهما كان أن يُزحزحه أو أن يُدخل الرّيبة أو الشكّ في مُعتقدهم. أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه جمع صفات كثيرة عالية جدّاً الصّدق والمحبّة، الصّدق فيما آمن به ومحبة الرّجل الذي صدّقه وآمن به وتقانى في خدمته، لأنّ الصّحبة وحدها لا تكفي في الإدّعاء بل لا بدّ أن تكون للصّحبة خدمة، إذا لم تكن للصّحبة خدمة فليست بصّحبة محبّة وإنّما هي صحبة الأغراض أو المنفعة أو المصلحة، قيل لأحدٍ كم صحبت فلان قال كذا وكذا من السنين، قال له أنا أسألك كم خدمته، أمّا الصّحبة فسهلة ولكن كم خدمته كيف خدمته، الخدمة هي البرهنة التي يُبرهن بها المرء على عمله الصالح وعلى سيرته الحسنة وعلى علاقته التي تكون لُحمتها المحبّة وسداها² التصديق، لا يكفي أن نصحب إنساناً فقط، ولكن الخدمة هي التي تبرهن على مدى تلك الصّحبة، وهل تلك الصّحبة صادقة أم غير صادقة، قال أسألك كم خدمته لا كم صحبته، قد تكون صاحبه لكن تكون لك حاجة في

¹ حذق السكين الشيء : قطعه

² السّداة : الخدمة

صحبتة، ولكن إذا خدمت وبرهنت على خدمتك إذ ذاك تظهر محبتك وإيثارك لغيرك على نفسك، فكان سيّدنا أبو بكر من هذا القبيل وحباه الله بصفات الرقّ والعطف والحنان وكثير من الأوصاف الباطنيّة التي لا تظهر على صاحبها إلاّ عند الحاجة وفي المواقف الصعبة، ولذلك قال أرف الناس على أمّتي سيّدنا أبو بكر الصديق، من الرّأفة والرّأفة هنا جاءت على فعل التفضيل، وهنا يقول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أنّ سيّدنا أبو بكر الصديق ليس رءوفا فقط ولكنه أرف أمّتي بأمتي، لأنّه سمّاه أمّة، سيّدنا أبو بكر الصديق أمّة أي جمع في باطنه وظاهره ما يجتمع في الأمّة بكاملها، فهو منفرد بهذه الصّفة التي هو أمّة، ونعلم أنّ قصّة سيّدنا أبي بكر الصديق عندما قال صلّى الله عليه وسلّم سدّوا كلّ خوخة في المسجد إلاّ خوخة أبي بكر الصديق، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصب رأسه بخرقه فقعد على المنبر ثم حمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال «إنه ليس من الناس آمنّ علىّ بنفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الاسلام أفضل سدّوا عني كلّ خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر»¹، خوخة أبي بكر الصديق كانت تُطلّ على المسجد، وقال سدّوا كلّ خوخة أي كلّ نافذة أو كلّ باب صغير أو كوّة² تطلّ على المسجد، إلاّ خوخة أبي بكر فتبقى مفتوحة، وكان صلّى الله عليه وسلّم في آخر حياته وقبل مماته بأيّام قليلة، فكانت إشارة منه صلّى الله عليه وسلّم على أنّ أبا بكر الصديق هو الخليفة وهو الذي سيحمل سرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال صلّى الله عليه وسلّم لما مرض مروا أبا بكر فليصلّ بالناس فكانت تعترض عليه السيّدة عائشة

¹ البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما، في باب الخوخة والممر في المسجد

² الثقبه في الحائط

فتقول إنّ أبا بكر رجل أسيّف¹ وبكّاء إذا قام إلى الصّلاة لا يملكه نفسه من البكاء²، فكانت تحاول أن تعتذر عنه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأنّها فهمت المغزى وهو أنّ أبو بكر الصّدّيق سيتحمّل المسؤوليّة والخلافة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكان رسول الله يقول مروا أبا بكر فكانت تعترض خوفاً من أن يكون الناس يفهمون أنّه ذلك إشارة إلى خلافته له وهي تعرف بأنّ أبو بكر رقيق كما نقول الآن بكلامنا عاطفي، كان بكّاء من أثر الشهود، لأنّ سيّدنا أبي بكر الصّدّيق كان قطب الأيمن والمكّنّى بعبد الله، والذي كان له نظره إلى الملكوت، وهو قطب، ولذلك فمن كان مثل هذا فتكون فيه الشفقة العظيمة على خلق الله، الشفقة على خلق الله لا تكون إلّا لهذه الأمثال الأكابر الذين حباهم الله بشفاقيّة وشفوف المرتبة، ورأفته جمعت المسلمين ومن رأفته على الإسلام والمسلمين هو إجتماعنا في هذا البيت اليوم، هذا الجمع الذي نحن فيه ونمدح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لو لم يكن سيّدنا أبي بكر في بدايته كما هو لما وصلنا الإسلام ولانتهى بموت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لما مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وانتقل إلى الرفيق الأعلى، كما كان يقول في الرفيق الأعلى في الرفيق الأعلى، «عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى

1 أي ذو أسف وحزن - وهو سريع البكاء والحزن. وقيل هو الرقيق

2 عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا نَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِلَالٌ يُؤَدِّئُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى مَا يَقُمُ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ» فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمُ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، قَالَ: «إِنْ كُنَّ لَأَنْتِ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ» فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفْسِهِ خَفَةً، فَحَامَ يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ، وَرِجَالَهُ يَخْطُطَانِ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ، ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّيَ قَائِمًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيَ قَاعِدًا، يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ مُقْتَدُونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري

صَدْرِي، وَمَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَاكَ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَأَبَدَهُ¹ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصْرَهُ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ فَقَصَمْتُهُ²، وَنَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ³، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَنَّنَ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَنَّنَ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَعُ⁴ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَ يَدَهُ أَوْ إصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ « فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » ثَلَاثًا، ثُمَّ قَضَى، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي⁵ ⁶، وَهَاجَ النَّاسُ وَمَاجَوْا، وَأَبِي بَكْرُ الصَّدِيقُ لَمْ يَكُنْ حَاضِرًا، لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَوْجَتَانِ إِحْدَاهُمَا فِي الْعَالِيَةِ وَالْأُخْرَى فِي _____، فَلَمَّا جَاءَ وَرَأَى النَّاسَ فِي هَيْجَانٍ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا وَلَمْ يَقُلْ لِهَذَا اسْكُتْ أَوْ لِهَذَا اسْكُتْ كَمَا يَفْعَلُ الْآنَ النَّاسُ، بَلْ دَخَلَ مَبَاشِرَةً إِلَى حِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَعَائِشَةَ الَّتِي كَانَتْ مَاتَتْ بِهَا وَوَجَدَهُ مَسْجِيًّا بِثُوبٍ أَحْمَرَ فَرَفَعَ ذَلِكَ الثُّوبَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَبْلَهُ فِي جِبْهَتِهِ وَقَالَ طَبْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا أَمَا الْمَوْتَةُ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ مَتَّهَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ بِرَفْقٍ وَحِكْمَةٍ فَوَجَدَ النَّاسَ هَائِجِينَ مَائِجِينَ، وَهَذَا مِنْ حَقِّهِمْ، لِأَنَّهُمْ حَبَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ وَعَاشَرُوهُ وَتَلَقَّوْا مِنْهُ وَفَهَمُوا فَلَا بَدَّ أَنْ يُحِبُّوهُ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا تَفَانَى فِيهِ، وَسَيِّدُنَا عَمْرٌ يَحْمِلُ سَيْفَهُ وَهُوَ يَقُولُ مَنْ قَالَ مُحَمَّدٌ مَاتَ جَسَسَتْ رَأْسُهُ وَهُوَ فِي هَيْجَانٍ، لِأَنَّ سَيِّدَنَا عَمْرٌ كَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْقُوَّةَ، وَسَيِّدُنَا أَبَا بَكْرٍ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْهُدُوءُ لِذَلِكَ كَانَ يُسَمَّى بِالْوَلَامَةِ، كَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْهُدُوءُ وَالسَّكِينَةُ وَالْحِكْمَةُ وَتَفَحَّصَ الْأَشْيَاءَ لَمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ كَشْفِ وَكُشْفَاتٍ، كُلِّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَدَى سَيِّدُنَا عَمْرٌ، وَخَطَبَ فِي النَّاسِ وَهَدَّاهُ الْمَهْدَ يَوْمَ

¹ مد نظره إليه

² مضغته والقضم الأخذ بطرف الأسنان وفي رواية (فقصمته) أي كسرتة وقطعته

³ أي نظفته بالماء من استياك عبد الرحمن رضي الله عنه به

⁴ (فما عدا أن فرغ) ما تجاوز الفراغ من السواك

⁵ (حاقنتي وذاقنتي) أي مات صلى الله عليه وسلم ورأسه بين حنكها وصدورها والحاقنة ما دون الترقوة من الصدر وقيل غير ذلك والذاقنة طرف الحلقوم وقيل غير ذلك

⁶ أخرجه البخاري في صحيحه، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته

السقيفة، فهدأ الناس وذكّره بالشرع، ونحن نتكلّم الآن على الشرع، ولم يخرج منه، فكلمهم بما كانوا يسمعون وما كانوا يتلقونه وما زال طرياً بين أيديهم، ذكّرهم بالقرآن، فأما من كان يعبد محمّد فقد مات، هذا هو العقيدة، لذلك نحن دائماً نقول ما لم يتزوّد الإنسان بالعقيدة وتتمكّن العقيدة منه أنّه لا يسلم له إيمان، فلذا لا بدّ أن يكون الإنسان متمكّناً من العقائد، فقال هنا من كان يعبد محمّد فقد مات ومن كان يعبد الله فهو حيّ لا يموت، هذا هو العلم وهذا هو ما كان يُكرّسه الرسول صلّى الله عليه وسلّم مدّة ثلاثة عشر سنة وهو في مكّة، لأنّ مدّة بقائه في مكّة كلّها كان يكرّس التوحيد والعقائد في نفوس الناس ثمّ جاءت الأحكام بعد ذلك، لم تُفرض الصلاة إلّا في السنة الثانية بعد الإسراء والمعراج ولم يُفرض الصّوم إلّا في المدينة والزكاة إلّا في المدينة والجمعة لم تُصلّى إلّا في المدينة، وكانت كلّ هذه المدّة تكريس للعقيدة حتّى لا يتزحزح الناس، فوقع وانقشعت السحابة من رؤوس الناس ورجعوا إلى الحقيقة وإلى العقيدة، ذهب العواطف ورجع الناس إلى عقولهم وإلى ما سمعوا من المعلّم الذي علّمهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾¹، فاندesh الناس دهشة ثانية، ودهشة ذهب بدهوة أخرى، اندesh الناس كيف لهم أن سمعوا هذا الكلام ونسوه، وهنا الثبات، لذلك كم من إنسان يظنّونه الناس ضعيفاً لا يقوى على شيء، لكنّه في الملمات يكون هو أقوى الناس، ليس القوي هو الذي قوي بالجسد ولكنّ القوي هو الذي قوي بالروح، فسيّدنا أبي بكر الصديق ظهرت قوته وفشلت قوّة الأقوياء، لماذا؟ لأنّه كان رجلاً ينظر إلى ما هو، لماذا آمن، لأنّه آمن بالغيب، آمن بالرسول، آمن بالغيب وآمن بالموت وآمن بالجنّة وآمن بالنار، وآمن بالبعث والنشور إلخ، لذلك هنا أبو بكر الصديق كان أرأف الناس، أرأف أمّة رسول

¹ سورة آل عمران الآية 114

الله بأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاءت بعد الخلافة ما حدث من فتن فلولا أنّ سيّدنا أبا بكر الصديق هو الخليفة في ذلك الوقت لما كنّا هنا جالسين، لانتهى الإسلام أو لتغيّر كما تغيّرت الديانات الأخرى كاليهوديّة والنصرانيّة، وبقي الإسلام رسمٌ ولم يبق له مضمون ولا مفهوم، جاءت قضية الردّة فكان أبا بكر حازماً فيها لأنّه عرف بأنّه آمن وصدّق وجاهد ولا بدّ لهذا الدّين ممّن ينصره ويجاهد من أجله، فحارب أهل الردّة وحارب مانعي الزكاة وقهّرههم وكان ما كان وثبت الإسلام، لو أنّه جاء في محلّه سيّدنا عمر لما كان الإسلام الآن، لاندحر الإسلام في وقته، ولكنّ الله هكذا أراد كما قرأتم في حديث ابن الجوزي في الوفا وابن أبي جمرة في بهجة النفوس وابن سبع في كتابه شفاء الصدور، « فلما خلق الله آدم عليه السلام وضع على ظهره قبضة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع آدم في ظهره نشيشا كنشيش الطير، فقال آدم يا رب ما هذا النشيش، فقال هذا تسبيح نور محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء الذي أخرج من ظهرك فخذ بعهدي وميثاقي ولا تودعه إلا في الأرحام الطاهرة، فقال آدم أي رب قد أخذته بعهدك ألا أودعه إلا في المطهرين من الرجال والمُحصّنين من النساء فكان نور محمد صلى الله عليه وسلم يتلألأ وكانت الملائكة تقف خلفه صفوفاً وينظرون إلى نور محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون سبحان الله استحسنانا لما يرون فلما رأى آدم ذلك قال يا رب هؤلاء ينظرون خلفي صفوفاً فقال الجليل سبحانه يا آدم ينظرون إلى نور خاتم الأنبياء الذي أخرج من ظهرك فقال يا رب أرنيه فأراه الله إياه فأمن به وصلى عليه مُشيراً بإصبعه ومن ذلك الإشارة بالإصبع بلا إله إلا الله محمد رسول الله في الصلاة فقال آدم يا رب اجعل هذا النور في مُقدّمي كي تستقبلني الملائكة ولا تستدبرني فجعل ذلك النور في جبهته فكان يُرى في غرة آدم كدائرة الشمس في دوران فلکها وكالبدر في تمامه وكانت الملائكة تقف أمامه صفوفاً تنتظر إلى ذلك النور ويقولون

سبحان ربنا استحسانا لما يرون ثم إن آدم عليه السلام قال يا رب اجعل هذا النور في موضع أراه فجعل الله ذلك النور في سبابته فكان آدم ينظر إلى ذلك النور ثم إن آدم قال أي رب هل بقي من هذا النور في ظهري شيء فقال نعم بقي نور أصحابه فقال أي رب أجعله في بقية أصابعي فجعل نور أبي بكر في الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الإبهام فكانت تلك الأنوار تتلأأ في أصابع آدم ما كان في الجنة فلما كان خليفة في الأرض انتقلت الأنوار من أصابعه إلى ظهره « كان هذا مرتباً في الأزل ولكن الله أظهر ذلك الأمر بعد ما وقع ما وقع ولكن ما كان في الأزل تلقاه هو الذي يكون، لذلك كان سيّدنا أبو بكر هو أرفأ أمة رسول الله بأمة رسول الله من حيث أنه لولاه ولولا رأفته على المسلمين واستسلم لأهل الردّة واستسلم لمانعي الزكاة لما بقيت من شرعية الإسلام كما قلنا إلا ما بقي من دين المسيحية واليهودية. نعم،

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وأشدهم في دين الله عمر

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

وأشدهم في دين الله عمر، الحكمة على لسان عمر، سيّدنا عمر كان قويّ في كلّ شيء، كان يقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اللهم أيد الإسلام بأحد العُمَريّن، وكان منهم سيّدنا عمر بن الخطّاب الذي أيد الله الإسلام به، حتّى قال الصحابة ما إطمئنّ إلاّ بعد أن آمن سيّدنا عمر فكان كلّه خير، كان قويّ، وهو الذي بعد ما أسلم، وكان المسلمون والرسول صلّى الله عليه وسلّم يتخفّون في الصّلاة، فقال لرسول الله أسنا على حقّ قال نعم فقال لماذا التخفي إذاً فلنذهب نصليّ جهراً ونصليّ في الكعبة ونظهر صلاتنا للناس، وسار على أمره صلّى الله عليه وسلّم،

وهو الذي قال فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو كان ابليس في شعب وعمر في شعب لفرّ ابليس من قوّة عمر. ولكن لم يكن زمانه هو زمان أبي بكر، فلو كان في زمان أبي بكر لانقلبت الأمور، سيكون قويّ، لأنّ سيّدنا عمر بن الخطّاب هو الذي خاطب سيّدنا أبي بكر الصديق وقال له هؤلاء الرّدّة نتسامح معهم لأنّه سوف نخلق فتنة وسوف يؤلّبون علينا الناس وكذلك في مانعي الزكاة نتساهل معهم، ولكن أبو بكر قال والله لو منعوني عقال بغير كانوا يندونه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاتلتهم عليه، وبهذا حسَمَ الأمر، وكان من رأفته أيضا على الإسلام لأنّه كان أمّة وحده، وكلام كثير على سيّدنا عمر بن الخطّاب، فيه آيات نزلت ...، نعم ثمّ قال،

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وأصدقهم حياء عثمان

سيّدي محمّد الكبير رضي الله عنه

وأصدقهم حياء عثمان، سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه صهر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المكنّى ذو النورين، قال لما وضعت يدي في يد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدى المبايعة ما مسّت يدي فرجي، تلك اليد التي سلّم بها على رسول الله ما مسّت فرجه أبدا، هذا تمام الأدب، سيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه في حديث معروف بحديث البئر، عن أنس قال كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حائط من حوائط المدينة فجاء أبو بكر فاستأذن، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « **افتح له وبشره بالجنة** » فجلس على رأس البئر ودلى رجليه كما رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنع، ثم جاء عمر فاستأذن، فقال « **افتح له وبشره بالجنة** » فدخل فصنع مثل ما رأهم صنعوا، ثم استأذن علي، فقال « **افتح له وبشره بالجنة** » فصنع مثل ما رأهم صنعوا، ثم جاء عثمان، قال « **افتح له وبشره بالجنة بعد بلاء** »

شديد يصيبه » فلما رآه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَطَّى ركبتيه، فقالوا يا رسول الله مالك لم تصنع هذا حين جئنا وصنعتة حين جاء عثمان فقال « **ألا استحيى من رجل يستحيى منه الملائكة** »¹، وهذا الحياء نفعه وكان أدبا عظيما في سيدنا عثمان، ومن أدبه ما سُمِّي عند سيدنا البوصيري بأدب التَّرك، هناك أدب الفعل وأدب التَّرك، هو عندما صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحُدَيْبِيَّة، وهي قريبة من مكة، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بقصد أداء العمرة هو وأصحابه وسيوفهم مغمودة ولكن منعهم الكفار، ووقع التفاوض بينهم، وأرسلوا من يفاوض رسول الله، وأرسل رسول الله عثمان، والقصة كبيرة، وكان على عادة العرب كان يأتي رسول من كل طرف وكان هناك ضمانه حتى لا يقلوا الرِّسْل، فلما كان سيدنا عثمان في الكعبة دخل في جوار، وقال له الكفار إذا أردت أن تطوف أنت فطف، فامتنع أن يطوف، كيف أطوف قبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في الهمزية،

وَابْنَ عَفَّانَ نِي الْأَيْدِي تِي طَا لَ إِلَي الْمُصْطَفَى بِهَا الْإِسْدَاءُ

حَفَرَ الْبُرَّ جَهَّزَ الْجَيْشَ أَهْدَى الْهَدْيَ لَمَّا أَنْ صَدَّهُ الْأَعْدَاءُ

¹ السيوطي في جامع الأحاديث

وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ يَدْنُ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَاءُ

فَجَزَّتْهُ عَنْهَا بَبِيْعَةٌ رِضْوَانِ يَدُ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ

أَدْبُ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الْأَعْمَالُ بِالتَّرِكِ حَبَّذَا الْأَدْبَاءُ

فرفض أن يطوف بالبيت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أنه في إمكانه، هذا أيضا من الأدب ومن الحياء، وهو أدب الترك، ترك شعيرة من أجل إخلاصه لصاحبة الشريعة، لرسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا كان سيدنا عثمان حيي تستحي منه الملائكة، والكلام على سيدنا عثمان كثير، ثم قال،

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وأقضاهم عليّ

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

وأقضاهم عليّ، أقضى بمعنى الذي يقضي بين الناس ويفصل بينهم وهو سيدنا عليّ كرم الله وجهه، أعطاه الله تلك الفراسة العظيمة، كان يُصيب في فصل النزاعات ما بين الناس، كان أقضاهم، هناك قضاة ولكنّه أقضى، نعم

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وأفرضهم زيد بن ثابت

سيدي محمد الكبير رضي الله عنه

أفرضهم، أي علم الفرائض، وهو علم المواريث، كان سيّدنا زيد هو أفرضهم، أي هو أعلم منهم بالأنصبة وما يجب لهذا وما لا يجب لهذا، في علم الفرائض، وقال سيّدنا عبد الله بن عباس في الفرائض أوّل ما يُرفع من العلم، علم الفرائض، وهو الآن رُفِع، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أوّل ما يرفع من العلم علم الفرائض، « **إن علم الفرائض أوّل ما ينزع من الأمة** »¹ ونحن الآن كثيرا في هذه المسألة، وقد وقعت لي بنفسي فكانت هناك قضيّة كنت أنوف فيها، في الشميرات، وكان قاضياً أراد أن يُدخل امرأة في ذلك الأمر، باعتبار أنّها زوجة الرّجل، ولكنّها لا علاقة لها بالمسألة، حتّى أقنعناه بالحجج، وكان دائماً يقضي بها، مدّة من الزمن وهو يقضي بها، إذاً أفرضهم هو زيد بن ثابت، هو كان كاتب الوحي لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعم

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وأقرأهم أبيّ

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

وأقرأهم أبيّ، أبيّ بن كعب، أقرأهم أي أحفظهم، يعني أقرأهم أي أحفظهم للقرآن أبيّ بن كعب، نعم

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

وأعلمهم بالحرام معاذ بن جبل، الصحابيّ الجليل، معاذ بن جبل كان له هذه الفراسة الباطنيّة وهو أنّه كان يبتعد عن الشبهة، لأنّ الحلال بيّن والحرام بيّن، ولكنّ الشبهة

¹ عن أبي هريرة مرفوعاً، ورد في تفسير الألويسي

التي تأتي بين الحلال والحرام هذه هي التي يصعب تمييزها، وكان سيّدنا معاذ بن جبل له هذه الفراسة فيما يتعلّق بالشبهات التي قد تأدّي إلى الحلال أو إلى الحرام، ثمّ قال

سيدي الحاج الحبيب رضي بن حامد

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ

سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه

أبو عبيدة ابن الجرّاح، الصحابيّ الجليل، دفين الأردن، أبو عبيدة ابن الجرّاح كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثه إلى قطر بالبحرين، وجبى من أهلها وأرسل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخرج والجبايات، وكان لا يخصّ بنفسه شيئاً، لا درهما ولا ديناراً، ومن ثمّ في هذه الواقعة سمّاه رسول الله بالأمين، وقال أمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجرّاح، وكان مؤتمناً على الخزائن، ولم يمسّ شيئاً وكان يأتي بذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من غير نقص ولا يأخذ شيئاً ممّا يُشبهه، بخلاف ذلك الذي أرسله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واليا وليجبي كذلك الزكوات، فجاء إلى المدينة وقال هذه الزكاة وهذه أهديت لي، فغضب صلّى الله عليه وسلّم، وخطب خطبة وقال له إن كنت في بيتك هل يُهدى لك، إن كنت واليا فكيف يُهدى لك إن لم يكن هناك غرض في الإهداء، وهذه الرشوة بعينها، أمّا سيّدنا أبو عبيدة ابن الجرّاح، كان أميناً، وقصة طويلة فيها، وسمّي بهذا في هذه الواقعة، التي هي أنّه عندما أرسل إلى البحرين، وجاء بكثير من الذهب وكثير من الفضة، جباية التي كانت مفروضة على أهل البحرين، وسمّي بهذا وهو بعد الهجرة، كما تعرفون هو الذي فتح القدس، هو الذي أرسله سيّدنا عمر ابن الخطّاب وفتح القدس في سنة أربعة عشر هجريّاً، وقصصه كثيرة وهو توفيّ ومات وهو الآن دفين في الأردن، وهذا أمر يحتاج إلى الكثير، ولكن بعض الإشارات، ونسأل الله تبارك وتعالى أن ينور

بصائرنا وقلوبنا وأن يفتح علينا بما فيه صلاحنا وخيرنا وتطمئنّ به قلوبنا. آمين يا ربّ العالمين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ
وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ
وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ
حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخُذْ فِيهِ مَهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا، صدق الله العظيم وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وصلوات الله عليهم أجمعين والحمد لله رب العالمين

اللهم اغفر لنا، وارحمنا، وارحم والدينا، وارحم مشائخنا، وارحم من علمنا، وأصلح أحيائنا، وارحم أمواتنا (3)، وارحم بفضلك جميع المسلمين والمسلمات، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين (3)، يا ذا الجلال والإكرام (3)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، آمين

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ صَلَاةٌ تَفْتَحُ لَنَا بِهَا

أبواب الخير والتيسير وتغلق عنا بها أبواب الشر والتعسير وتكون لنا بها وليًا
ونصيرًا، أنت ولينا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير (3)، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقيلي

رضي الله عنه إلى تونس



اليوم الرابع

الأحد 26 رجب 1430

القرص - 1 -

لقاء مساء اليوم الرَّابِع

بفقراء تونس

في منزل الفقير حسين

قطاط

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

كلمة ترحاب فقراء القصرين بسيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه يلقيها الفقير
سيدي عبد اللطيف الزرقي رضي الله عنهم أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء
والمرسلين، سيدنا ونبينا وحبينا ومولانا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه
أجمعين ومن والاه بإحسان إلى يوم الدين.

إن الحمد لله، وإن الشكر له على جزيل فضله وإنعامه وواسع رحمته وإكرامه. هو
الذي خصنا بمنن لا تُحصى عدًا، بعضها يربو فوق بعض. وهو الذي هدانا
للإسلام، وحلانا برداء الطريقة التجانية، وتوجنا بالانتماء للمشرب البعقلي، وميزنا
بنسبتنا إلى المرابي العارف القطب الفرد الجامع سيدنا ومولانا الحاج محمد بن إبراهيم
القمار، وأقام أودنا بولد الروح وخليفته في الظاهر والباطن حضرة المرابي العارف
سيدنا ومولانا الحاج الحبيب بن حامد القماري رضي الله عنهما وأرضاهما ونفعنا
ببركتهما في الدارين. وما زلنا نتقلب في النعم الأسنى والعناية الأتم الأوفى ببركة
أنفاسكم، حتى من الله علينا في هذه الأيام المباركة بزيارتكم الميمونة، فتمتعت بأنوار
حضرتكم وأسرار بركتكم أبصارنا وبصائرنا، وإننا لنرى فيكم ذات سيدنا الحاج
الأحسن، الذي دعانا بظاهر الغيب فأحبيناه، وتربيناه على إشارته وتقريراته، فكأننا
اليوم جاثمون بحضرتة، لا شك في ذلك ولا ريب. هو هو. سيدنا وسندنا ومولانا
وولي أمرنا ومرد نسبتنا بعد أبيه، العارف الرباني الأكبر، الكامل النفاع، المتحلي
برداء الخلافة المطلقة عن الله، والنيابة العامة عن جدّه رسول الله صلى الله عليه
وسلم، سليل الدوحة النبوية، وخليفة الشيخ الأعظم، أعني سيدنا ومولانا الحاج محمد
الكبير بن سيدنا ومولانا الحاج الأحسن البعقلي، رضي الله عنكم وأرضاكم وأدامكم

للإسلام ذخرا، ولأهل الطريقة التجانية عزًا وفخرا، وأدام الله بكم وبركتكم الخير علينا وعلى الأمة جمعاء بلادا وعبادا. آمين.

ساداتنا الكرام ؛

إنّ لله في كلّ زمان نفحات، من تعرّض لنفحة منها سعد فلم يشق بعدها أبدا، وليس ما نحن فيه اليوم بحضوركم بيننا إلاّ نفحة من هذه النفحات، أكرمنا وخصّنا بها الله جلّ ذكره وتعالى اسمه. فسعد قطرنا وسعدنا بهلّول بدر طلعتكم البهيّة، وهبوب نفحة روائح سرّ بركة حضرتكم الزكيّة، أدامكم الله لنا وفينا أبدا، سرّا سرمدا، وعزّا ومددا.

وإنّنا لنشكر لكم قدومكم المبارك علينا، ونرحّب بكم وبمن حضر بمعيتكم من خاصّة أصحابكم الأكابر والأولاد الأفاضل، العلماء العاملين العارفين الكمل، أهل السرّ والبركة، الذين طوّقوا رقابنا بجميل فضلهم وتفضّلهم بهذه الزيارة، متجشّمين المشقّة وبُعد الشقّة، ومتحمّلين طول المسافة ووَعَرَ الطّريق، لا مقصود لهم سوى الله، وبرغم كثرة المشاغل والمسؤوليات المنوطة بهم، فقد تکرّموا بالوفود علينا من دار العلم والعمل، محجّ العلماء وملتقى الأقطاب والأولياء، الشقيقة المغرب، الحاضرة العريقة العامرة على الدوام بمن فيها من أهل العلم والمعرفة من أولاد الشيخ الأعظم وأصحابه وخلفاءه وتلاميذه وأحابه ومريديه رضي الله عنهم أجمعين. والتي فضّلها الله بأن جعلها محلّ مقام سيّدنا ومولانا أحمد التجاني، دار الخير ومداره، وعين المعرفة النّابعة. فأهلا وسهلا بكم في داركم وبين أهلكم وإخوانكم في تونس.

ساداتنا الكرام ؛

إنّنا قد لمسنا، منذ أمد بعيد، لدى شيخنا المربي سيّدنا الحاج محمد بن إبراهيم الثماري، تعظيما وإكبارا شديدين لحضرتكم العليّة، وما كان يوليه من عناية فائقة واهتمام كبير بكلّ ما يمتّ لكم ولوالدكم بصلة، وما ربّانا عليه من معرفتكم ومحبتكم،

وما دلّنا عليه، بفضل من الله، من عظيم قدركم وشفوف رتبتكم، فأحببناكم، وعظّمناكم، لله بالله في الله. وثبّت الله فينا هذه المعاني السامية والمشاعر الصادقة على يد العارف الربّاني والمربّي الكامل سيدنا الحاج الحبيب بن حامد الثماري، رضي الله تعالى عنه وأرضاه. فاستتارت نفوسنا بحبّكم وحبّ المغرب في ذات سيدنا الحاج محمد قمار، هذا الشيخ الذي لم نعرفه حقّ معرفته حتّى عزّفنا به ولد روحه وحامل سرّه سيدنا الحاج الحبيب بن حامد، وما ذلك إلاّ علامة على مدى التزامه بتعاليم شيخه ومربّيه سيدنا ومولانا الحاج محمد قمار، وتقدير همّته عليه ظاهراً وباطناً، ذلك المربّي النّفّاع الدّال على الله بحاله ومقاله وفعاله، القطب الفرد الجامع، الحجة البالغة والرحمة الواسعة، مجدّد الدّين وملاذ النّاس أجمعين، خزّانة سرّ شيخه الأعظم وجسر بحور مدده وإمداده، العارف بالله والقائم على سنّة رسول الله، الشريف الأحمدى المحمدي. مَنْ له الفضل الأوفى في إرساء تعاليم المشرب البعقلي في تونس، التزاماً منه وتمسّكاً بإذن ووصيّة شيخه والدكم طود الطريقة ومنازتها سيدنا ومولانا الحاج الأحسن البعقلي، الذي أرسله إلينا وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره، مربّياً ودالاً على الله، فأقام بين ظهرانينا ما يربو على السّبعين عاماً، يرسى مبادئ الطريقة الأحمدية التّجانيّة البعقلية في بلادنا حتّى ثبّت أصلها وعلا فرعها وآتت أكلها، وخصّنا الله سبحانه وتعالى بمحض الفضل الإلهي بأعلى وأرفع ذوق، فصار الحمد حالنا والشكر مقالنا، ولله الحمد، وقد قال أهل المعرفة في الطّريقة : أنّ العارف لا يلد إلاّ عارفاً، والولد سرّ أبيه، وهو ولد الرّوح. وفي أولاد الصّلب من ذرية سيّدنا الحاج محمّد قمار إجتمع الأمران، إناثاً وذكوراً، ولله الحمد، فهم شمس المعرفة وبدور الطّريقة، بهم يُهتدى وبأنوارهم يستضاء، رضي الله عنهم وأرضاهم. جعلنا الله وإياهم من السّابقين السّابقين، من أهل الدائرة الفضليّة، آمين.

هذا، وقد عرفت، سيّدي، الطّريقة التّجانيّة بالقصرين مع سيدي الحاج محمد قمار،

نقلةً نوعيّةً، هدّبت الذّوق، وصحّحت الأفهام، وحقّقت المعرفة، فانتشر المشربُ القماري البعقلي بفضلِ عنايةِ شيخنا، وعمدتنا، المرّبي الكامل سيدي الحاج محمد قمار، رضي الله عنه وأرضاه. فتحقّق الحلمُ في أن تشملنا العنايةُ بوجودِ المرّبي العارف، والمرشدِ الدالِّ على الله. وأتمّ الله علينا نِعْمتهُ بمؤلّفاتِ سيدي الحاج الأحسن البعقلي علّم الطريقة وفارسها، وحرّم المشرب وكعبته، وخاصّةً منها كتاب الإراءة، قاموسُ الطريقة والطُّرُق كُلِّها، فتمهّد لنا بهم وبكم الطريقُ، وتيسّر المسيرُ، فاستسهلنا الصّعب، والله الحمدُ.

سيدنا ومولانا الحاج محمد الكبير ؛

أوصانا والدكم الفاضل حَبْر الطريقة ومداد الحقيقة سيدنا الحاج الأحسن فقال : جاه الله، جاه الله، جاه الله، لا تحرموا أنفسكم بركة أهل زمانكم، وإنا بوصاياهم، إن شاء الله، لعاملون. وأعظم بركة حلّت بهذا القطر في هذا الزّمان، وجود سيدنا ومولانا الحاج الحبيب بن حامد بيننا، فببركته رأينا فريد الدّهر شمس المعارف وكهف الأسرار الرّبانيّة، سيدنا ومولانا الحاج محمد القمار الذي هاجر وطنه وشيخه في ذات صفيّه وحامل سرّه سيدي الحاج الحبيب، لله في الله بالله، فأصابتنا رشحات نوره وروائح سرّه.

سيدنا ومولانا الحاج محمد الكبير ؛

إنّ خليفتم في تونس سيدنا ومولانا الحاج الحبيب بن حامد القماري البعقلي التجاني يواصل بنا ومعنا وفينا مسيرة شيخه ومرّبيه، على هدى من الله ويقين، حذو نعل بنعل ببركة ووصيّة شيخه، قائماً على ساق الجدّ يرشد الفقراء ويسوق قلوبهم وأسرارهم إلى حضرة الشّاهد الستار ودأبه في ذلك أفراد الوجهة إلى الله وتجريد القلوب ممّا سواه.

قال تعالى في محكم تنزيله في سورة النور : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فِي بُيُوتِ
أَنَّ اللَّهَ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ
تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿١

والزّاوية من بيوت الله. بناء رفع بإذنه تعالى. بُنيَ على تقوى من الله وإخلاص له عزّ
جلّ. على ذلك أقام سيّدنا ومولانا الحبيب بن حامد الزّاوية التّجانيّة البعقليّة
بالقصرين سعيا لتكريس أسس الإسلام السنّي المعتدل، ونشرا لمفاهيم التجريد الأسمى
للمشرب البعقلي، بإذنه وإشرافه وعنايته، والتي مثّلت بداية مرحلة جديدة لدينا، هي
مرحلة التّأطير المُنهَج، هي مرحلة: "مَا صَدَّقَهُ الْعَمَلُ"، وذلك من خلال تأسيسه
لهذه الزّاوية المباركة، التي بارك الله عليها بأنفاسه وأنفاس حفيد الشيخ سيّدنا ومولانا
البشير رضي الله عنه. وهو شَرَفٌ عَظِيمٌ أَكْرَمَنَا بِهِ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، أن تكون هذه
الزاوية من علامات الفيضة التّجانيّة البعقليّة القماريّة القَادِمَةِ وَالظَّاهِرَةِ على أيديكم
بإذن الله تعالى، ومشيئته ورضاه، إنّه على ذلك دُونَ الْأَنَامِ قَدِيرٌ. ثَبَّتْكُمْ اللَّهُ بِهَا،
وَأَعَانَكُمْ عَلَيْهَا، وَأَيَّدَكُمْ بِنُصْرٍ مِنْ عِنْدِهِ وَعِزَّةٍ، لَا عِزَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَعَفْوٌ غَفُورٌ.
وهو شَرَفٌ عَظِيمٌ أَيْضًا لِمَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَارْتِيَادِ هَذِهِ الزّاوية، التي بُنِيَتْ بِالْإِخْلَاصِ،
وقامت على التّجريد، وثبّت الله دعائمها بالطّمأنينة، بإذنه تعالى. وشرفٌ عظيمٌ لمن
انتمى إليها وإليكم، رضي الله عنكم وأرضاكم. وهي الزاوية الأولى في تاريخ
القصرين، وفقراء القصرين، منذ حياة الشّيخ الأكبر سيّدنا ومولانا أحمد التّجاني، قدّس
الله سرّه ورضي عنه وأرضاه ونفعنا به وبركته في الدّنيا والآخرة.

هذه الزّاوية التي يجتمع فيها فقراء القصرين، تكاد لا تخلوا من ذاكِر عابد أو راع

ساجد أو دارس عاكف على كتب الطريقة أو مؤلفات سيدي الأحسن أو مدونات العلم من قرآن وحديث وفقه وقراءات وغيرها. امتثالاً لأمر شيخهم ومربيهم سيّدنا ومولانا الحاج الحبيب بن حامد، رضي الله عنه، الذي ما فتى يدعونا ويذكّرنا بوجوب إعمار الزاوية بالذكر والعلم والأدب والمعرفة. من أجل هذا وذاك اجتمع فقراء الله في القصرين بالزاوية. فهي عامرة، بإذن الله تعالى، على الدوام، عامرة بأنفاسكم وأنفاسهم وببركة سيّدنا ومولانا أحمد التّجاني رضي الله عنه وعنكم وعنهم أجمعين. آمين. آمين.

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

في كلّ مرّة تقاجؤوننا بكتابة من كتاباتكم، جازاكم الله كلّ خير عن أمّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم والله يعيننا ويعينكم على طاعة الله سبحانه وتعالى، والمزور يعني سيدنا سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه وأرضاه، نحن نزوره، ليس هو الذي زارنا، إنّما نحن الذين نزوره رضي الله عنه وأرضاه، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤدّبنا بالأدب الصالح على حسب مقامات الرّجال والعارفين ، ولو أنّ الإنسان يكون على غفلة في ما يجول في أقلّ قليل في قلبه في حضرة هؤلاء السّادات، من التّجريد الكامل والمحبة المخلصة الصّافية، لكي يتمّ النّفع بهم وبأنفاسهم، هذا ربّما الذي دائماً نوصي إخواننا ونذكرهم ونذكّر أنفسنا أيضاً، بإحترام هذه المقامات، وأمّا الزيارة فنحن الذين نزوره اليوم، ومن ظنّ أنّه، سيدي محمّد الكبير زاره ليس بتمام الصّحة، وإنّما نحن نزوره رضي الله عنه وأرضاه، والحمد لله على هذا الإتّصال بالسّنند الكامل، وهذا ما أقول.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأمه ورضي الله عن شيخنا وقدوتنا وأستاذنا القطب المكتوم والبرزح المعلوم سيدنا ومولانا أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه، وقدس سره وسقانا من بحره.

إخواننا في الله، الفقراء الأعزاء، إن النفحات الربانية، لم يخصص الله لها وقتا ولا زمانا نعرفه، وإنما قال لنا الرسول صلى الله عليه وسلم تعرضوا لها، « **اطلبوا الخير دهركم، وتعرضوا نفحات رحمة الله عز وجل، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، وأن يؤمن روعاتكم** »¹، فالهمم إذا علت، والنفوس إذا سمت، والأرواح إذا صفت، لا يقف في وجهها عائق مهما كان، ولا يكدر صفوها مكدر كيفما كان، لأن النفوس الكبار تواكبها الهمم العاليات، فالنفوس الكبار هي جبال راسخات لا تتزحزح، ولا تتململ مهما عصفت بها العواصف أو نزلت عليها الصواعق، لأنها عرفت ربها وآمنت وصدقت فصار عملها وهمها كلها في طاعة الله وامتنال أمره والسير على هدي رسوله واتباع المرشدين من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا شيء يحول دونها ودون ربها، ولا شيء يعلو على ما صدقت وآمنت به، إذا أراد العبد عملا لله وأخلص فيه وأتقنه، فإن الله تبارك وتعالى يكون مُعينا له ومرشدا وموفقا، الذين كلفه دين محمدى وقام كله على كواهل النجباء وعلى أكتاف الأصفياء الذين استسهلوا الصعب واقتحموا العقبات وذلّلوا الطرق المتشعبة بهمّتهم ورسوخهم واتكأهم على ربهم.

هذه الزاوية، التي أنشأت هنا كما قال الأخ في كتابه هذا، أنها أول زاوية أنشأت في

¹ شرح السنة للبعوي، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم

هذا البلد، المُسمّى القصرين، أذكر أنّ السيّد العالم الفاضل القدوة في هذا الزّمان وفي هذا البلد « سيدي الحبيب »، كان تكلم معي مرارا وتكرارا فقلت له توكل على الله واعتمد عليه وقدّم همّة شيخك واعمل، ﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾¹، لأنّ الشّيء يكون صعباً عند التّصوّر أمّا عندما تخرج الفكرة من التّصوّر إلى الجّد فلا يحصل بعدها إلاّ الإعانة،

ومن أراد العُلاً عفواً بلا تعبٍ قضى ولم يقضٍ من إدراكها لآب

لا بدّ للشّهد من نحل يُمنّعه لا يجتني النّفع من لم يحمل الضّررا²

فالإخوان، إذا كان العمل لله، وكان المراد هو تثبيت معلم من معالم الله وشعيرة من شعائر الله، وكان الإقدام على الأمر بعد التّوكل على الله والتّفويض إليه والعمل له، فإنّ كلّ الصّعاب التي كانت تُتصوّر وتُتخيّل تضحلّ وتذوب ببركة الهمم العالية والإعانة الرّبانيّة والدّعاء المقبول، في كلّ عمل يراد به الخير لعامة المسلمين، وأنتم الحمد لله، ببركة هممكم وحسن ظنكم وقناعتكم، فها أنتم اجتمعتم في زاويتكم بعد أن كان الأمر حُلماً في مخيلتكم، إنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾³، العمل لا بدّ منه، الأسباب الشرعيّة لا بدّ منها، والحركة لا بدّ منها، ما نجح عملٌ إلاّ باستعمال الأسباب الشرعيّة، ومن الأسباب الشرعيّة أنّ الإنسان لا بدّ أن يتحرّك إذا بدى له أمرٌ وأراد تحقيقه، لا بدّ له من التّحرّك ولا بدّ لكلّ عمل عقبات، لأنّ الله تبارك وتعالى هكذا خلق الدّنيا، لا بدّ من العمل، خلقنا في كبد، ومنذ رأى كلّ واحد منّا الدّنيا وتنفس بأنفاسها، إلاّ وبدأت مرحلة الكبد، والتعب، لأنّ

¹ سورة التوبة الآية 94

² صفي الدين الحلي (العصر الأندلسي)

³ سورة التوبة الآية 105

بدون الكبد والتعب لا يتحقق شيء ولا ينجح عمل، قال الله تبارك وتعالى لرسوله في كتابه العزيز ﴿ فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَنْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب ﴾¹، هذا النبي الرسول المؤيد من ربه، الذي أرسله مبلغاً عنه، مبشراً ومنذراً، والذي أعطاه الله كلمة « كن فيكون »، ومع ذلك يقول الله له تبارك وتعالى ﴿ فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَنْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب ﴾، فلا بد من النصب والتعب في كل عمل يُراد أن يتحقق، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في حديثه « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ »²، أي طريق الجنة، حُفَّتْ بالمكاره، وطريق الجنة أي طريق الخير وطريق الصلاح وطريق الفلاح، لا يصل إليها ولا يقطعها ولا ينجو من عقباتها إلا الذي صمَّ وعزم، وكانت له همّة عالية ليقطع العقبات، ويُزيل من طريقه الأشواك والصُّعْبَاتِ، طريق الجنة طريق ليس بالسهل، لا بد لمن أراد العسل أن يصبر على قرص النحل، كل شيء ليس بهيّن، لا شيء هيّن في هذه الدنيا، كل شيء يحتاج إلى الكد والتعب والاجتهاد، ولذلك إخواننا، لا بد أن نمثل لقول الله تبارك وتعالى ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾³، فإذا عزمْتَ أيها الأخ، أيها المسلم، أيها المؤمن، على عمل ترضاه، ويرضى به ربك، فتوكل على الله وسر وشمر على ساق الجد والاجتهاد، إذ ذاك تجد الإعانة من الله، وكلّ صعب يهون، وكلّ شيء يعترضك يزول، ولا يبقى بعد ذلك إلا لذة الوصال، والمحبة والتقريب، وإنافة المنزلة والقرب من الله، لا شيء سهل، هذه النقلة أو السفر الذي تحقق من فضل الله وبمئته وبالتوكل عليه، كان عندما نتفكر فيه، نتفكر في شيء صعب، انتقال من بلد إلى بلد آخر، لا تعرفه، _____ إذا حلت به، تجد نفسك غريباً فيه، كيف تستطيع أن تتأقلم معه، ولكن عندما آن العزم وجاء الإذن، طويت المسافات، وسهل كل شيء كان يقف أمام الأعين ليُبعد وليحول دون هذا العمل، وما كدنا نحلّ

¹ سورة الشرح الآيات 7-8

² أخرجه مسلم وأحمد في مسنده والسيوطي في الجامع الصغير

³ سورة آل عمران الآية 159

هنا حتّى وجدنا بلدا مضيافا، وأناسا كراما، وإخوانا لنا كأئنا وُلدنا معهم في يوم واحد، وعاشرناهم في زقاق واحد، وصلينا معهم في مسجد واحد، وذكرنا معهم في زاوية واحدة، وجوه هي وجوه معروفة، وسحنات ملموسة، وقرناء خير، وإخوان صفاء، هذه الوجوه النيرة وهذه الحلل الزاهية، وهذه الأقلام المحبّرة، كأنّ كلّ شيء هو كان معروفا ومعلوما ومقدّرا، كما قدّر الله له تبارك وتعالى أن نحيا في عالم الغيب، رأيناهم في عالم الشّهادة، بنفس الصّور، وبنفس السّحنات، وبنفس اللّباس، ولا شيء إلى أنّنا نكون أو نقول نحن غرباء، والحمد لله وجدنا إخوانا، كأئنا أرواحنا تلاقت مع أرواحهم، وشرب كلّ من الآخر، وصفت القلوب، وانتعشت الأرواح، وسمت النفوس، وابتهجت الوجوه، فلم نجد إلاّ الانشراح والانبساط والفرح، والشكر لله تبارك وتعالى على أن هيا لنا هذا الأمر، ووفّقنا إليه وأسعدنا به، ونحن الآن الحمد لله، يكون لنا هذا الأمر، سيبقى في ذاكرتنا وفي روحنا وفي قلوبنا، منقوشا كنقش الإبر في الثوب، سيبقى والحمد لله، وإذا كان لنا ما نقوله للإخوان في هذه الكلمة التي سمعناها إلاّ أنّ الناطق والكاتب والفاعل هو الله، وإنّما الحركة والسكون والمباشرة لله، كلّ شيء كان مقدّرا، تقديرا في علم الله، وجاء وقته وزمنه وأجله فبرز بعناية الله وتوفيقه وقدرته، ونحن شاكرون الله تبارك وتعالى على هذا الكرم وهذا العمل، والوفاء، وأعظم شيء هو الوفاء، الوفاء، وفاء الإخوان كلّهم، لمن ربّاهم وعلمهم وأعطى القدوة من نفسه في الجدّ والاجتهاد والوفاء لشيخه، فإذا كان الوفاء من الإخوان رضي الله عنهم وأنهم يقدرّون من كان سببا في إرشادهم وفي تعليمهم وفي تربيتهم، فذلك هو أعظم الشكر لله تبارك وتعالى، والرّسول صلّى الله عليه وسلّم يقول « **من لا يشكر النّاس، لا يشكر الله** »¹، ومن لم يحمد النّاس، لا يحمد الله، فشكر الوساطة من شكر المتوسط، وما سمعناه من التحدّث بالنعمة هو شكر من الأخ في حقّ الرّاحل سيدي

¹ السيوطي في الجامع الصغير، أخرجه البيهقي عن النعمان بن بشير في شعب الإيمان

محمد بن إبراهيم الفقيه الجليل العالم التلّ، والقُدوة، والشّيح الكامل، وما ذكر إنّما هو نذر يسير، الشّيء الذي يعبر عنه تعبير اللّسان فقط، وأمّا تعبير القلوب، فذلك شيء لا تستطيع الألفاظ ولا الكلمات ولا جميع المنمّقات أن تُبرزه كما هو، ولكن ما لا يُدركُ كلّه لا يُتركُ جُلّه، نحن كُنّا نحوم حول المعاني، ونحاول بالألفاظ، أن نجعل تلك المعاني قالبا، تتحدّث هي عنّا، والقلوب هي تعشق والعين تنظر والأذن تسمع ولكن التّصوير كما هو، لا، هذا شيء صعب جدّا، مهما أردت أن تقول إنني أحبّ فلان وأقدّر فلان، تقول بالألفاظ ولكن ما بالمعاني وبالقلب ليس ذلك تماما، ذلك شيء عالي وعميق، ومن علامة ذلك فقط، هو ذلك التّعبير باللّسان، عندما يذكر الإنسان شيخه، بالاحترام والتّقدير والتّعظيم، ذلك يعبر عن معاني أخرى سامية، هي مكنونة في النفوس، ومطبوعة في أعماق الأحرف والحمد لله، هذه الثّمار، وهذا هو الجنان، هو مزهوّ مخضّر بالثّمرات الحلوة اللذيذة، بهؤلاء الشّباب، وهؤلاء ها هم اجتمعوا الآن وشدّوا الرّحال، من مكان إلى مكان، من أجل أن يجتمعوا على محبّة الله، ومحبّة إخوانهم في الله، وعلى تقدير بعضهم البعض، واحترام بعضهم البعض، وتقدير كذلك من أوقفه الله في بابهم يرشد ويدلّ النّاس، ويجاهد ويكافح، لأجل أن يبقى هذا الأمر ساريا في طريقه سويا في عمله محسنا في أنفاسه، وأن يبقى على النهج الذي كان عليه الشّيح الجليل سيدي محمد الثماري، وسرّه هو في الإتياع وفي الإقتداء وفي شكر من حمل الأمانة وسار على الدّرب على السّيرة الحسنة، التي كان عليها الشّيح الجليل، والمربّي الكفّء، والقُدوة التلّ والموقّي بحقوق الله، وهذا هو إمامكم ومقدّمكم وسيّدكم فإنّه السيّد هو الذي يكون النّاس يهابونه ويحترمونه ويعظّمونه من قلوبهم، لا بألسنتهم فقط، لأنّ التّعظيم محلّه القلب ومحلّه الرّوح، وسرّه في الإخلاص، و"سي الحبيب" ها هو قدّامكم، عرفناه مجاهدا عالما، حمل الرّسالة وأدى الأمانة ولازال، فأعينوه وسيروا خلفه، واعملوا وسيروا الله عملكم ورسوله،

وعظّموا من عظمه الله، عظّموا أبناء الشيخ، وأنظروا فيهم نظرة المحبة ونظرة أبيهم،
واسألوا الله عند النظر في وجوههم، فإنّه في نظرتهم تجاب الدّعات، فعظّموهم فهم
شرفاء وأبناء الشيخ، ما لم يخرجوا عن نهج أبيهم، وهم ذكورا وإناثا، المعرفة تصدر
من قلوبهم، والحمد لله أنّهم صلحاء، علماء، رُشداً، محبوبون، سائرون على النهج
الذي يرضى عليه والدهم ويرضى عليه النّاس جميعاً، ويرضى عليهم شيخهم
ويرضى عليهم نبيّهم، ويرضى عليهم الله تبارك وتعالى، فكونوا لله عاملين صادقين
مصدّقين، وإياكم والترّهات، هذا وهذا، وهذا وهذا، وهذا أحسن من هذا وهذا أكفأ من
هذا، فالحُسن ما حسّنه الله، والكفء من جعله الله في بابه مع الناس، ليس الأمر
يرجع إلى مال ولا إلى جاه ولا إلى علم ولكنّه إلى العناية الإلهيّة، من سبقت له
السّعادة في الأزل، فهو كذلك في هذا سعيد، ومن سبقت له العناية فهو معتنى به،
ومن سبقت له الشّقاوة فهو شقي ولو بذل ما بذل لأجل أن يُغيّر أو يُبدّل فإنّ ذلك لا
يتبدّل، لأنّه سبقت كلمة، وكلمة الله لا تتبدّل، فنحمد الله تبارك وتعالى، ونحن في هذا
البلد الأمين، هذا البلد الذي لازال فيه هذا الدّين الإسلامي _____، ولازال النّاس
مطمئنّين على دينهم وعلى عقيدتهم، بفضل من ولّاه الله أمرهم، وبفضل من ولّاه الله
أمركم، والله تبارك وتعالى يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾¹، فلا بد من طاعة الله، وطاعة الرّسول وطاعة أولي الأمر،
فأولي الأمر هم كما يقول الوالد رحمه الله، إنّ الله جعل لنا الأنبياء لنتهدى بهم،
وجعل لنا العلماء لنتقتدى بهم، وجعل لنا الأمراء لنأمن بهم، وجميع من ولّاهم الله
علينا فهم أمان لنا، إن أعناهم بالدّعاء، وبالصلّاح وبالفلاح، لأنّ ذلك هو خير لنا
في ديننا ودنيانا، ويقول صلّى الله عليه وسلّم « اسمعوا وأطيعوا وإن وُلّي عليكم عبد
حبشي » عن أنس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اسمعوا وأطيعوا وإن

أَمَرَ عَلَيْكُمْ عَبْدُ حَبْشِيِّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَيْبَةٌ»¹، وليس منّا من شقّ العصا وفارق الجماعة، مفارق الجماعة في النار، عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من نزع يدا من طاعة فإنه يأتي يوم القيامة لا حجة له، ومن مات مفارق الجماعة فإنه يموت موتة جاهلية »²، فاحمدوا الله تبارك وتعالى على هذا الأمر، واسعدوا به، فإنكم في مأمن وفي ضمانه الله وضمّانه رسول الله وضمّانه كذلك أولي الأمر الذين أمرهم الله تبارك وتعالى عليكم، السلطان، كما في الحديث، هو ظلّ الله في الأرض « السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله »³، الذي لا يتعاون مع أولي الأمر فإنّما يُعتبر شاقاً للعصا، وتعاونوا معهم، وادعوا لهم بالصّلاح والفلاح، لأنّ صلاحهم هو صلاحنا، وفسادهم هو فسادنا، والحمد لله تبارك وتعالى أنّ الله لا يولّي علينا إلّا من هو أراد له التّولية في أمره، فلا يسعنا إلّا أن نحمد الله وأن نشكره في بلد نجد فيه الأمن ونجد فيه الرّوح، ونكون فيه مطمئنّين على مالنا وعلى عرضنا وعلى ديننا، والذي يخوض في أمور الولاة فإنّ الله يسلّطه عليه، حتّى يرى من المحن ما لا يقدر على الفكّك منه.

فنسأل لنا ولكم جميعاً أن يوفّقنا إلى ما فيه رضاه، وأن يجعلنا من المقرّبين إليه، العاملين السّعداء برضى الله عليهم، وقلّ إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشّهادة فينبأكم بما كنتم تعملون، ونكتفي بهذا القدر، و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

¹ صحيح البخاري

² أخرجه مسلم

³ الطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي بكره والسيوطي في جامع الأحاديث

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقيلي

رضي الله عنه إلى تونس



اليوم الرابع

الأحد 26 رجب 1430

القرص - 2 -

لقاء مساء اليوم

الرّابع

بفقراء تونس

في منزل الفقير

حسين قطاط

الفقير سيدي علي التّجاني يرحّب بسيدي الحاج محمّد الكبير البعقلي رضي الله عنه
على طريقته

قال سيدي الأحسن أحسن الله إليه منذ البدء في الصّغر
بأني رأيت رؤيا وهي من أقسام الوحي فله الحمد والشّكر
عام أربعة عشر في القرن الرابع عشر الموافق حينئذ لسُن عمري
وأنا أقرأ القرآن صباحا قبل طلوع الشّمس يعني مع الفجر
وأنا جالس نائما على اللّوح وجبهتي على اللّوح مفكّرا في الآيات والصّور
بمدرسة إحط بوادي جبل بعقيلة الجبل الشّامخ المصون الأخضر
فإنّه تمثّل لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بطلعته البهيّة ونورٍ مبهرٍ
فأزال عن لحمه الكريم حلتيه الملونتين فكسانيهما صلّى الله عليه وسلّم فحسن
مظهري

وأعطاني أربع تمرات وستّ رمّانات أو أربع رمّانات وستّ من التّمر
ثمّ قال لي قم فتبعته فطلع في درجات وأنا من ورائه أحكّم المشي بحذرٍ
فرأيت نفسي أقيس قدمي على أثر قدميه صلّى الله عليه وسلّم أثرا بأثرٍ
فأضع أصابع رجلي في مواضع أصابعه فرأيت أثري على أثره قدرا ثابتا مسطّر
فهذا اشتغالي من أوّل القصّة إلى آخرها مع مشاهدة ساقيه الكريمتين خلتهما المرمر
فكأني أنظرهما في اليقظة إلى الآن مرسومة في ذهني كالنّقش على الحجر

فلما طلع إلى العلوّ دخل برجله فقط مع بدنه البيت وبقيت إحدى ساقيه خلف الجبر
ثمّ رجع ورقى سطحاً آخر عالياً لبعض المساجد وهو مسجد "تَزْرُوْلَتْ" المسجد
المعتبر

فرفع يديه حتّى أنظر إلى ضبعيه في صمت ووقار محدّقاً نظري
وشرع يطلب لى ربّي كأنّه يأخذ لي البيعة من أهل الأرض والسماء فسبحان الله
المدير

وأنا ما اشتغلت إلاّ بتتبع الأثر ولم أهتمّ برفع اليدين ثمّ إنّي أشاهد الجموع كيوم
الحشر

ما بين السماء والأرض امتلئت بالأرواح والأرض وفوق النخل غصّ النّاس وهم
ينادون بالجهر

يقولون بأرفع صوت وأطربه اللهم آمين ياربّ العالمين الله الله الله أكبر
وهو يمشي رافعا يديه ورأسه حتّى وصل إلى نهاية السّطح فما أحلى ذلك الوجه
الأزهر

ثمّ رجع صلّى الله عليه وسلّم كذلك ثمّ طلع إلى سطح آخر ولم أطلع معه فدعا لي
بكمال البركة في العسر واليسر

وأنا فان في مشاهدته ثمّ نزل في تلك الدرجات فتبعته والإتّباع فيه كلّ الخير

مشتغلاً بوضع قدمي في موضع قدميه الأيمن فالأيمن والأيسر فالأيسر

فخرج فدخل واديا فيه ماء أصفى من اللّبن وأعذب وأحلى من السّكر

فنزل بقدميه ولم أنزل فكاني الآن أنظر إلى شعر ساقيه في الماء المنهمر

وطرف ازاره في الماء فشربني بيديه ثلاثة أمداد منه فارويت حتّى آخر العمر

فكلّما شربت لحست بلل راحتيه الكريمتين ثمّ طلع فتبعته فتبعني النَّاس كالجراد
المنتشرِ

حتّى وصل إلى واد ثان كالأوّل ففعل مثله فشرّبني ثلاث أمداد منه لكلّ وادي ذوق
عن الآخرِ

فطلع فتبعته فتبعني النَّاس إلى أن وصل إلى منبع عظيم إجتمع فيه الواديين كمجمع
البحرِ

فدخلت فخضت معه حتّى ابتلت ثيابنا حتّى وصل فوّارة عظيمة وينبوعا عظيما
كنهر الكوثرِ

فشرّبني من عين الينبوع وهو موضع يفور الماء فيه ثلاث أمداد بمدّه الطيّب الطاهرِ

فاستيقظت في وسطه وأنا أصليّ وأسلم على من ذوقه أضوا من القمرِ

وبيدي اللّوح ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكرِ

وأنا أفكر في الرؤيا وشرب الماء فكانت جميعا تسعة أمداد بالعدّ والحصرِ

سيدي كساك المصطفى حلّتين نفيستين وقد أهدى من قبل برده لحسان ذاك الفحل
الشاعرِ

إنّ للثياب لمزيّة وفضلا ألم تر قميص يوسف ألقي على أبيه فارتدّ في الحينِ

مبصرِ

قال لك قم فتبعته فما أشبه الأمس باليوم وقد تبعه قبل حنّز قصد السباق أبي بكرِ

وجاءت بعد الضيافة وهزّي إليك بجذع النّخلة عرفنا التّمر فهل الرّمان جوهرِ

ثمّ كانت البيعة بيعة الرّضا والرّضوان فأنت سيدي المتوّج مدى الدّهرِ

نهر طالوت ابتلاء ونهر المصطفى شفاء ومن شرب الشرب الصافي في الزيادة
والنشر

لزمته بسكينة وتأدب حذو نعل بنعل كما لزمه من قبل الصحابة البرر
ومن مشيك في الماء جاءت كتبك وعلومك والإراءة كم وكم بها من درر
وبعزمة وجهد صرعت إبليس فاضمحلّ وفرّ كما فرّ قبل من عمر
فالصّحابة عليهم الرّضوان الثلّة الأولى وأنتم أنتم الثلّة الأواخر
سيدي كرّست حياتك في بناء الزواوي بتكليف من سيدي محمود ابن شيخنا شيخ
الأكابر

فأزحت الغبار عن الشريعة البيضاء والطريقة السمحاء وأظهرت كلّ شيء غابر
فأجزت بزخرفة المساجد وأجزت القراءة الجماعيّة فضل عليه كذلك بناء المقابر
عجا بناء الفراعين يرمّم ويصان وبناء قباب أهل التّوحيد تهدم فالله استغفر
وعوّدت الرؤيا فجاءت كفلق الصّبح فسبحان الله الخالق المقتدر
وأخيرا رحلت مرتاح البال قرير النّفس في مقعد صدق عند مليك مقتدر

سلام الله الغافر للشفيع يوم المحشر

وشيخنا التّجاني مرفوع الرّأس مستبشر

وهذه هديّة إلى سيّدي محمّد الكبير

فاشرح له بها الصّدر وتجعل لياليه ليلة القدر

وسلام الله على كلّ التّجانيين في جوانبها وسهّل الله لهم كلّ الوعر

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ
وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ
وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ
حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي رضي الله عنه وأرضاه يجيب على أسئلة
يطرحها الفقير محمد الزواوي

بسم الله والحمد والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نظرا لما جُبلت¹ عليه نفسي من ذنوب ومعاصي وشهوات وغفلة عن الله وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن حرمة شيخنا خليفة رسول الله، وما اتّصفت به من أوصاف مناقضة للعبودية الخالصة لله تعالى، ونحن والله قد شاهدنا وشعرنا حقيقة عند سماع خبر نور قدومكم إلينا فضلا عن وصولكم وكونكم بيننا، شهدنا قوّة اشتملت على جميع صفات التّوادم والتّحابب، والتّآلف والتّعاطف في الله، متّصلة في جذور قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهْرِ** »²، فإنّي أردت، وإن كنت لست أهلا لهذا، وأنتم ساداتنا أهل له لِمَا نُوِينَا فِيكُمْ الدِّينَ كُلَّهُ، أن تبيّنوا لنا أكرمكم الله ما خفي من مقصود معاني الأخوّة والآداب والصّحبة والمعاشرة في الله من كلام شيخنا القطب المكتوم رضي الله عنه، الذي نقله والدكم العزيز وسندنا العظيم، سيدنا الحاج الأحسن رضي الله عنه ؛

ما نصّه في كتاب الإراءة الجزء الأوّل صفحة 17 « **وَأَنَّهُ صَاحِبُ الطَّرِيقَةِ قَالَ سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ إِلَى أَلْفِي طَرِيقَةً وَكُلَّ طَرِيقَةٍ تَتَفَرَّعُ مِنْهَا طَرِيقٌ كَثِيرَةٌ وَكُلُّهَا مِنِّي وَإِلَيَّ وَكُلَّ طَرِيقَةٍ بِمَرْبِّ لَهَا خَاصٌّ وَكُلُّهُمْ فِي مَشْرَبٍ وَاحِدٍ فِي الْوَرْدِ اللَّازِمِ وَلَا يَضُرُّ التَّخَالَفَ فِي الْأَحْوَالِ عَلَى أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَشَائِخِ** »

فجازاكم الله عَنَّا كُلَّ خَيْرٍ، ما هو سرّ هذا التّخالف وآدابه، وما هو المفهوم في عدم الضرّ وحدوده، لا يضرّ التّخالف، وأن تبيّنوا لنا من فضلكم الذي تفضّل الله جلّ

¹ جُبلت عليه أي خُلقت وطُبعت عليه

² متفق عليه من حديث النعمان بن بشير

وعلا به عليكم المقصود والمراد بالفعل عملا وسلوكا من كلام والدكم العزيز سيدي
الحاج الأحسن ؛

ما نصّه في كتاب الإراءة الجزء الأوّل صفحة 40 « فإذا فهمت أن مقصودنا بعدم
التربية في الطريقة التجانية على قواعد مصطلح أهل الثانية هو أن التربية فيها تربية
الأرواح »

فما المقصود من تربية الأرواح، رضي الله عنكم وأرضاكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبالله التّوفيق، جرت عادة الله في خلقه، أنّه خلق من كلّ شيء زوجين، لكلّ شيء خلقه الله كان في عالم المحسوس أو في عالم المعاني وعالم الخيال أو المثل، كلّ شيء خلقه الله زوجا، ولم يخلق شيئا فردا أبدا، فالله هو الوتر الواحد الأحد، وما خلقه منذ أن تعلّقت قدرته بإيجاد الحقيقة المحمّديّة، الذي برز من الحقيقة المحمّديّة جميع ما خلق الله تبارك وتعالى من إنس وجان وجماد وأزهار وأراض وأرواح، خلق التّنوّع فكان هذا النّظام البديع هو نظام متنوّع، أصله واحد، أصله نقطة واحدة تفرّعت عن هذه النّقطة فروع وأودية وبحار، وكلّ شيء يسير على هذا المنهاج وهذا السّياق وهذه الطّريقة، فالفعل هو لله، أمّا المفعول فهو من الفعل، والمفعولات تعدّدت بتعدّد الأجناس والأنواع والأصناف، لا بتنوّع المادة فالمادة واحدة، الكلّ خرج من كلمة واحدة، الكلّ ظهر من كلمة واحدة وبرز من كلمة واحدة، وهي كلمة « كن فيكون »، فالكون والأكوان كلّها مثل شجرة، زرعت بذرتها في الأرض، فأنبتت الشجرة والشجرة لها جذوع، وفروع وأوراق، ولكنّ البذرة هي واحدة، كذلك الأكوان، وما خلق الله من جميع المخلوقات سواء كان ذلك مشاهدا أو غير مشاهد، ومن ثمّ فإنّ الطريقة كما أخبر بها أنّها ستفرق إلى ألف ألف، ثمّ من كلّ هذه الألف تتفرّع أذواق في الطريقة، لأنّ لو لم يكن هذا التفرّع، لما تنتشر الطريقة، إنّ الله خلق أجناسا وأنواعا وأصنافا ومخلوقات، ﴿وَاخْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ﴾¹، يا أيّها النّاس إنّنا جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾²، شعوبا متشعّبين، وقبائل أيضا متباينة في الأوصاف وفي الشّكل وفي العادات، وكذلك القلوب إذا، تسير القلوب

¹ سورة الروم الآية 22

² سورة الحجرات الآية 13

بحسب طبيعتها وطبيعتها، فلا يقبل القلب إلا ما كان من جنسه، أو من جنس جسمه، أو من لون جسمه، ومن دمه، ومن اللّغة التي ينطق بها فمه، لذلك كان هذا التنوع رحمة، فالطريقة هي طريقة واحدة، ورُدّها واحد لا يتغيّر، لكن الوصول وإيصال هذه الطريقة إلى عباد الله يتطلّب من الموصّلين أن يكونوا على بيّنة من أمر الجماعة التي يخاطبونها، والرسول صلّى الله عليه وسلّم يقول « **خَاطَبُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ** »، عن عليّ رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال « **خاطبوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله** »¹، أي على قدر معرفتهم، فمن خاطب الناس بغير ما تعارفوا عليه، قد يطرده، وقد يُنكرون عليه، وقد لا يقبلونه أبداً، أجناس متباينة، وألوان أيضاً متباينة، وألسن متباينة، وعادات متباينة، كذلك الملّقن والمربّي والمبلّغ، كذلك يجب أن يكون على شاكلة المبلّغ إليهم، عادةً وطبعاً ولساناً ولوناً، فالقرآن نزل بلغة العرب، والعرب محدودون بحدودهم، والتبليغ إلى الناس لا يكون بلغة العرب، يكون باللّغة التي يفهمها الناس، فلا يمكن لك أن تدخل إلى قرية يتكلمون بغير العربيّة، وتقول لهم قولوا آمنت بالله، أو قولوا "لا إله إلاّ الله"، لا يفهمونك، ولا يفهمون كلامك، حتّى تكون منهم، ومن جنسهم، ومن طبيعتهم، والذي ينظر في هذا المُلْك العظيم، مُلْك الله المترامي الأطراف، وهو يجد في كلّ بقعة من بقاع الله أناس، من حيث الشّكل، من حيث الصّورة، فهُم أناس، ومن حيث العوائد والطبائع، فتختلف كلّ عادة عن عادة الآخرين، والمربّي أو المبلّغ، يجب أن يكون على عِلْمٍ بعادات النَّاس وأعرافهم وميولاتهم وطباعهم وأكلهم وشربهم، لذلك كان هذا التّباين وهذا الافتراق، الذي ستفترق عليه الطّريقة، ليس الطّريقة التي ستفترق وإتّما كنيّة إيصال تلك المعلومة إلى الخلق، وكنيّة غرس تلك المعلومة في قلوبهم، وفي عقولهم، وهذا يحتاج إلى من له عِلْم، ومعرفة، بطبائع أولئك، ولا يكون إلاّ منهم، فإذا جاء أحد غريب ليس منهم، لا يعرف لسانهم، ولا طباعهم ولا ميولهم، ولا كنيّة تعاملهم فإنّهم لا يقبلون أصلاً، ولا يستمعون له، لذلك اختلف النَّاس بحسب

¹ صحيح البخاري

اختلاف تبليغ أمر الله إلى خلق الله، في الطريقة وفي غيرها، في الدين أيضا يقول صلى الله عليه وسلم « **خَاطِبُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ** »، ويقول لمن بعثه إلى اليمن يسروا ولا تنفروا، ورد في الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن « **بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا** »¹، وعن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « **يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا** »²، التيسير في أيّ شيء؟ هل في الدين؟ لا، الدين هو واحد، لا يمكن لنا لا أن نيسره ولا أن نعسره، لأنّ أحكام الله هي أحكام، لكن كيفية إيصال هذا الأمر إلى الناس حتى يذوقوه، ويشربون منه وحتى يستطيعون الميل إلى من يبلغهم هذا الأمر، ويجدون في أنفسهم حلاوة، ولا حرج ولا ضيق في قلوبهم، هذا لا يستطيعه إلا من يعاشر أولئك الناس، ويتبع أعرافهم وعاداتهم حتى يستطيع أن يندمج فيهم ويندمجون فيه، ويصير منهم وتصير الأمة منه، فالإنسان يجمع من إفريقيا إلى آسيا، إلى أوروبا إلى أمريكا، في كل بقعة من هذه البقاع تجد أناسا لهم أفكارا وميولا مختلفة مع جيرانهم، ولذلك المربي هنا، أو المعلم، لابد أن يسلك الكيفية التي يوصل بها، باختلاف وتشعب الطريقة هو يكون بتشعب المربين الذين يستطيعون أن يوصلوا معلومات إلى الناس ويقبلونها منهم، فإذا ذهب إنسان من تونس مثلا، إلى إفريقيا، مثلا إلى بلد من إفريقيا، الذين لهم لغات ولهم عادات ولهم طقوس ولهم أعراف بكيفية، وأراد أن يدعوهم، بأيّ شيء يدعوهم؟ بلغته؟ لا يعلمونها، بعاداته؟ عاداتهم مختلفة عن عاداته، بتفكيره؟ تفكيره مختلف عن تفكيرهم، إذا هل يسمعون منه؟ لا يسمعون منه، ولذلك كان المربون هنا يختلفون باختلاف كلّ جنس، فالتّوصيل هو الوسيلة التي يتخذونها لتبليغ هذا الشيء إلى الناس هو الذي فيه افتراق، أمّا الأصل وهو الورد مثلا أو الطّريقة بكيفيتها فلا اختلاف فيها ولا اجتهاد فيها، لذلك تكلم هنا على التربية والمشرب والمشارب تختلف

¹ تفسير ابن كثير

² أحمد والبخاري ومسلم والنسائي والسيوطي في جامع الأحاديث

باختلاف الذي يتلقون عنه لأنه منهم وإيهم، فإذا جاء أحد آخر وأراد أن يبلغهم، فلا يفهمونه، ولا يتفهمونه، وقد يطردونه من بينهم، لأنه لا يعرف طبعهم ولا طباعهم ولا كيفية التصرف معهم، والشيء بالشيء يُذكر، والمثال قال، مثلا لما جئنا من المغرب إلى هنا، رأينا عادات في الأكل، وكيفية وضع الأكل، مختلفة كثيرا عما عندنا، مختلفة جوهرًا، ليس في الأكل، لا، في كيفية تقديم الأكل، في كيفية وضع هذا الأكل، في طريقة الطبخ، مختلفة، لكن المعدة عندما تأكل تشبع، سواء كانت في المغرب، أو كانت في تونس، أو كانت في إفريقيا، أو كانت في آسيا، أو كانت في أمريكا، فإنّ الطعام واحد، ولكن الكيفيات تختلف، لذلك كان المرّبي الذي يريد أن يملك قلوب هذه النّاس لابدّ أن يعرف جميع عوائدهم، وهنا يكون الأسلوب، وهذا هو الأسلوب الذي يكون من ألف ألف وكلّ ألف تتفرّع إلى عدّة مشارب لكنّ الأصل لا يختلف، في بلدان ليست تتكلم اللغة العربيّة وتريد أن توصل لهم، لابدّ أن تكون عرفتهم وطبعهم ثمّ لابدّ أن ترى ما يحبّوه، فمثلا النّاس في إفريقيا، أغلبهم من السّوادين عندهم في جمعهم، من الدّاخل شيء وهو إيمانهم بالمغيبات، عندهم ثقة كبيرة في المغيبات، في الماورائيات، التي تسمّى الماورائيات أو المغيبات، إذا أردت أن تقنعه بقول "لا إله إلاّ الله" فلا بدّ أن تظهر له شيئًا خارقًا للعادة، حتّى تستطيع أن تجذبه إليك، لا بالإقناع العقلي، تقنعه بشيء ممّا هو تربّي عليه وعرفه وفهمه وصار عليه منذ زمن، وهو ما يسمّى بالماورائيات أو بالمغيبات، لذلك ظهر الأولياء أولي الكرامات، في خارج هذه البلاد، خارج المغرب، خارج تونس، خارج الجزائر، في السّوادين وفي غيرها، ظهر النّاس من له كرامات، لأنه لا يمكن أن تشدّ أولئك النّاس إلاّ إذا برهنت له عن شيء خارق للعادة الذي يؤمن به ثمّ بعد ذلك تستطيع أن تجذبه إليك وتظهره من ذلك الأمر ويستطيع أن يتيقّن منك بأنك صادق، ويقبل عليك، وبذلك تستطيع أن تكيّفه كيفما شئت لأجل أن تبلّغه إلى المقصود منك، وهو الله، وهكذا تختلف النّاس، فتختلف الطريقة بطريقة التربية، أمّا التّربية التي ذكرها، التّربية عندنا في الطريقة هي تربية سهلة، لأنّ التربية في الطريقة التجانية هي مبنية على

السنة، لا عسر فيها، أبدا، فقط يقول لك قل ربّي الله ثم استقم، هتان الكلمتان في الطريقة، لا تسهر الليل ولا تصم الدهر، ولا تلبس المرقعات، ولا تسافر من بلد إلى بلد من أجل البحث عن هؤلاء الناس، فيكفيك أن تطهر قلبك، وأن تعلم بأنك عبد، وأن لك سيّدا، وأنك يجب أن تعبد الله بدون حظّ ولا نقود ولا غرض، وتقبل عليه بكليتك وبعقلك وبماهيّتك وبكلّ شيء فيك، وكفى، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾¹، هذه هي، ولذلك ليس معنى التربية بالمعنى المصطلح عليه عند القوم، كالتربية بالإحياء، كتاب الإحياء مثلا، وكالتربية بالميزان، ميزان الرحمة، هذه تربية، ولكنها صعب أن تسلك الإنسان تلك المسالك بذلك الشكل في أوّل مرّة، لعلّ يمكن أن يطّلع عليها ويستفيد منها، لكن أن تسلكه، بأن تقول لا بدّ لك أن تزهد في الدنيا، لا بدّ لك أن تصوم كذا، لا بدّ لك أن تلبس كذا، هذا كلّ متى يمكن للإنسان المؤمن؟ حتّى يكبر، وربّما لا يستطيع، لذلك قال التربية هي تربية الروح أي تربية القلوب، وهي تصفية القلوب كاملة بحيث أنّ العبد عبد والسيد سيّد، وأنّه الخادم لسيدّه، والخادم لا يحتاج من سيّدّه إلّا أن يرضى عنه، وإلّا أن يكون السيّد هو الذي يرضى عنه، وذلك هو الذي يفرّحه لا غير، لا تفرّحه أجرا ولا غيره، ولا غرض له مع سيّدّه، هذه تربية هي تربية القرآن، ألاّ الله الدين الخالص، ما هو الدين الخالص؟ هو أن تعبد الله كما أمرك، أن يقول لك هو "عبي" وأن تقول له أنت "سيّدي"، والعبد يقدم إلى خدمة سيّدّه بنية وصفاء، لا يطلب من سيّدّه شيئا إلّا أن يكون ذلك السيّد راض عنه فقط، لا يطلب إلّا رضا سيّدّه، والعبد يزه بسيدّه، هذه التربية عندنا ليس فيها شروط، لا تجد فقير تجاني مثلا أنّه نقول له لبس المرقعات، لا تجد فقير تجاني نقول له أدخل _____، لا تجد فقير تجاني نقول له أكنس السوق حتى تقتل نفسك، كما يفعلون في الطرق الثانية يقولون له خذ مكنسة وكنس في السوق أمام الناس حتى تقتل نفسك، لا، حتّى هذا لم يأت به الرسول عليه الصّلاة والسّلام، الرسول جاء للناس قال لهم قولوا "لا إله إلّا الله" وتملكوا العرب والعجم، وسلّموا تسلموا، وتبعه الناس، وكان الأمر

سهلا بسيطا ليس فيه من هذا الأمر، لذلك قال هي تربية الروح أي تربية القلب،
تصفية القلب ممّا يعيقه عن مشاهدة حضرة ربّه، ومشاهدة نعم الله منه، مادّها بيده
وسخرها لنا لنتنعم بها، ونكثر الشكر على المنعم الذي هو أداها لنا، فهي هديّة منه
وأن نفرح بكلّ النعم التي هي في نعم الحياة، من حياة ومن عقل ومن سماع ومن
بصر ومن قلب ومن رزق ومن زواج، وغير كلّ هذا، كأن تعتبر ذلك كلّه من الله،
وهو الذي سخر لنا هذا الأمر، لأنّه هو الخالق ونحن المخلوقين، وهو الفاعل ونحن
المفعولين، هو الرّبّ ونحن المربوبون، هذا الشيء هو قول "قل ربّي الله ثم استقم"،
عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّقَّافِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ «
قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ» قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخَوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ
ثُمَّ قَالَ « هَذَا »¹، ليس لدينا أكثر من هذا، تأمن بالله وتعتقد أنّه الواحد الأحد ولا
ربّ سواه، وتستقم على طاعة الله، وتحلّ ما حلل، وتحرم ما حرّم، وتصفّي قلبك من
جميع الأمور التي تعوقك عن أمر الله، وتترقّع عن الشبهات، وتسير في الطريق
المستقيم، الذي هو طريق ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾²، هذا هو كلّ ما عندنا في الطريقة، ليس
فيها شيء آخر، لا يمكن أن نأذن لك حتّى تبدّل هذا اللباس الأبيض وتلبس لباسا
مرقّعا، لا نأذن لك حتّى تلبس جلباب مرقّع، لا نأذن لك حتّى تصوم ثلاثة أيام أو
عشرة أيام في الشهر، هذا الشيء لا، الصّلاة أولا وأساسا، إتقان الصّلاة، إتقان
أحكام الصّلاة أساسا، الصّلاة في جماعة هذا هو كلّ ما عندنا، فلا نقول لفقير غير
هذا، ونتبع السنّة فكان أكد ما عندنا هو الصّلاة، فإذا كنت أردت هذا الطريق وتتبع
هذا الطريق، فهذا الطريق هي لأجل أن تدلّك على كيفة الوقوف بين يدي ربّك، وإذا
وقفت بين يدي ربّك فأتقن عمالك، والصّلاة هي التي تعلّمنا الإتقان، نتوضأ بالوضوء
المتقن، نصلّي صلاة متقنة، لا نُخرج الصّلاة عن وقتها، ولا نتهاون في أوّل وقتها،

¹ أخرجه الترمذي

² سورة الفاتحة الآية 6 و7

ولا نؤخرها عن وقتها، ونصلّي في الجماعة السنيّة، إن كانت جماعة سنيّة، وإلاّ فنصلّي كيفما شئنا، إذا فتكون الصلاة هي عماد الدين، وهي التي تربّينا فهي التي توقفنا خمس مرّات بين يدي ربّنا، نناجيه ونكون أقرب الناس إليه عند سجودنا، عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء** »¹، فهذه المفارقات والاختلافات هي كلّها بحسب الأساليب والمناهج التي يستعملها كلّ مرّتي بحسب قومه الذي هو يراه ليوصل إليهم الكيفيّة، لا يشقّ عليهم، ولا يُزيل لهم عوائدهم، إذا كانت عوائدا لا تخالف شرعا ولا تخالف سنّة، وأعرافهم إذا كانت لا تخالف شرعا ولا تخالف سنّة، والرسول صلّى الله عليه وسلّم كما علمتم أنّه يوم العيد، وجاءه الأحباش، وكانوا يرقصون، وأخذ عائشة رضي الله عنها، وجعلها على كتفه، وهو يدور وهي تدور، وهي تفرح، ولم يقل هذا بدعة ولم يقل هذا الشيء لا يصلح لنا، ولا إنّ هذا خارج عن الدين، لأنّ الناس لابدّ أن تفرح، ولها أن تبدي الفرح، ولابدّ أن ترضي ما في نفسها، والعيد هو عيد دائما، هو عيد سرور، وعيد فرح، وعيد أكل، وعيد شرب، لا ينبغي لنا أن نضغط على هذا ونقول لهذا لا، فإذا كان هذا الأمر هو التيسير، هذا هو التيسير بعينه، وأمّا إذا أردنا أن نوصل أناسا، فإذهب مثلا إلى مدينة سوس عندنا وهو لا يعرفهم، ويقول لهم تعلّموا الطريقة، أو لتعلّمهم الدّين، فبماذا ستتواصل معهم؟ لا تعرف كيف تأكل أكلهم، إذا أعطوه زيتا، لا يعرف كيف يأكله، وإذا وضعوا له عسلا وزيتا فلا يعرف كيف يأكلهم، هذا كلّه في العوائد، لذلك تختلف الناس، كل جماعة تخاطبها بما تفهم، ولكن لابد أن تكون عالما، ومن ثمّة كانت حكمة الله، كل نبيّ من أنبياء الله بعثه إلى بلسان قومه، وشريعته لا تعمّ، ما عدى قومهم، فالشريعة إذا خرجت عن قومها فإنّها تتبدّد، كما وقع للنصارى، لما صارت النصرانيّة خرجت من مكان المسيح إلى غيرها، لم يبقى فيها إلاّ الرّسوم، لم يبقى فيها لا شريعة ولا غيرها، كلّ ما هنالك الثلاث، الذين هم كانوا مريم والمسيح وابن الله، أخرجوها عمّا أراد الله تبارك وتعالى،

فصار فيها الشرك وصار فيها الفجور، وخرجت عن قواعدها كاليهودية وغيرها، إلا الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الذي بعثه الله لجميع الناس، وعلمه الله تبارك وتعالى لغات العالم كلها، وعوائد العالم كله، فكل من جاء عنده يعرفه، ويعرف صلى الله عليه وسلم لغته ويعرف كيف يتحدث معه، ويعرف عوائده ويعرف ما يريد، من أراد المال يعطيه المال، من أراد العلم يعطيه العلم، من أراد أن يتكبر يعطيه مراده ويقول له أنت أمناك على قومك، وهكذا وهكذا، جمع الله تبارك وتعالى جميع الطبائع كلها التي هي مختلفة في الناس، جمعها صلى الله عليه وسلم، وكان صلى الله عليه وسلم بعثه الله للناس كافة، حتى علمه من لدنه علما كما علم آدم الأسماء كلها، علم النبي صلى الله عليه وسلم العلوم كلها، والمعارف كلها، وأطلع على جميع الحقائق بدقائقها، بصغرها وكبرها للدقيق من الناس، فكان صلى الله عليه وسلم المربي الأكبر، والمعلم الذي لا يعلو عليه أي معلم، والنبي والرسول والمقرب إلى الله تبارك وتعالى بهذا الاعتبار، ولذلك عم دينه، وانتشر وعم في العرب وفي العجم وفي الأبيض وفي الأسود وفي الأحمر، إلى آخره، ولكن مع ذلك عندما يبعث إماما عندهم لابد أن يتعلم لغتهم ويتعلم عوائدهم ويتزوج منهم، عند ذلك يمكنه أن يقبل عليهم ويقبلوا هم عليه، ويسمعوا منه ويطيعوه لأنه عرف كيف يتصرف بكلامه إلى قلوبهم وكيف يسيطر على عقولهم وكيف يجعلهم أنهم يتبعونه في كل ما يقول، هذه تختلف في كل مكان، هناك فقراء تجانيين في السودان مثلا، هم فقراء سيدي أحمد التجاني، عندهم الورد وعندهم الوظيفة، لكن عندهم عوائد متداخلة، لابد أن تمشي معهم في تلك العوائد، لابد أن تمضي لهم فيها وإلا يطردونك، في آسيا كذلك لابد تعرف العوائد وتعرف الأعراف عندهم، وتعرف إن كان عندهم أشياء أو أذكار لابد أن تجاريهم فيها، حتى تستطيع أن تبين لهم الحقيقة، وإلا ينفرون منك، هذه التربية تكون جيدة، ويكون فيها التيسير، حتى أن كل واحد يستطيع أن تؤثر فيه، بما لا يزعه منك، هذا هو الاختلاف الذي يكون، فأما الورد فهو واحد، مائة من الاستغفار، مائة من الصلاة على رسول الله، مائة من "لا إله إلا الله"، فلا يخرجون

عنها، الوظيفة كذا وكذا، الهيلة كذا وكذا، لكن الكيفيات هي التي تختلف، لذلك قال تفترق بهذه الكيفيات على حسب الأجناس والبشر، كم من نسمة موجودة على وجه الأرض ؟ حوالي 6 مليارات بشر، لكل واحد منهم عقله الخاص، وله تفكيره الخاص وله كفيّة تصرّف خاصة، كيف أنّك تجمعهم إذا لم تكن تستطيع أن تؤثر فيه، أنّك تستطيع أن تعاشره في أمانه وفي آماله وفي تطلّعاته، وفي ما يحبّه وإلّا لا يقبل منك شيئاً، ولذلك هذا الاختلاف هو اختلاف طبيعي، أراد الله لنا، كما اختلاف الفواكه التي أكلنا الآن هي تختلف، فاكهة يختلف ذوقها من هنا إلى هنا، البرقوق الذي نأكله في جربة ليس هو الذي نأكله في تونس، ولكن البرقوق برقوق والتفاح تفاح، ولكن يختلف الذوق، كذلك هذه تربية لا يمكن فهمها، ___ كما في العبادات موجودة الاختلافات، كان الخلاف متواجدا بكثرة بين الناس، مثلاً في الصحراء لا يتوضئون ويصلّون بسرعة كبيرة إذا أردت أن تردّه لا تستطيع، ترشده حتّى تتعب ولكن هذه عادته، تتركه هكذا، من الذي يقنعه ؟ واحد منهم، أنت لا تقدر أن تقنعه، أنت قادم من الخارج، وترى ذلك الشيء، فعليك أن تسمعه وتسكت، إذا جنّت تتصحه، فإنّك توقظ فتنة، إذا جنّت تقول له توقظ فتنة، إذا جنّت تقول له هذه الصّلاة ليست كما يجب فستوقظ فتنة، لذلك هنا لابدّ من اللّيونة، والمعرفة والعلم بالعوائد، كما قلنا في الأكل، هنا نضرب مثلاً، بعض الناس إذا جاءهم الضيف يضعون له العسل و"الزميطة"، فجاءهم ضيف لا يعرف عوائدهم ووضعوا أمامه العسل و"الزميطة"، وهو لا يعرفها، ولا يعرف من أين يبدأ، ولكنّه كان رجلاً حكيماً، كيف سيفعل، لمّا دخل طفل صغير قال له : كل معي، فلمّا رآه كيف يغمّس هذا بهذا ويأكل، قال له : يكفيك، فلو خلط هذا وذاك، لكانت فضيحة، إذا دائماً هذا هو الإفتراق الذي موجود، هو افتراق شكلي فقط وليس افتراق موضوعي، لأنّ الله تبارك وتعالى قال ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾¹، ولم يقل سبيلنا، فهناك سبل كثيرة ومتعدّدة توصل إلى الله، كلّ على شاكلته، سبلنا وليس سبيل واحد، طرق كثيرة متشعبة لكنّ الغاية

واحدة، أمّا الإنطلاق مختلف، والطرق كلّها تدلّ على الله، لكن تختلف الكيفيات، كيف يصل الإنسان تختلف، وهكذا، إذا هذا هو المقصود من هذا الذي أردت أن تفهمه من هذا، لأنّ المشارب تتعدّد بتعدّد الأجناس وفهوم الناس وعقولهم، لكن الأصل لا يتعدّد، "لا إله إلاّ الله" لا تتعدّد ولا تتكرّر، ولكن كيفية إيصالها، حتّى الإنسان يقبلها، هذا هو الأسلوب الذي ينبغي على المرّبي أن يكون عالما بهذا الأمر، لا يمكن أن يحدث أحدا حتّى يعلم ما يمكن أن يقوله له، وهل يتقبّل منه أو لا يتقبّل منه، هذا هو المقصود.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يعرفنا ويعلمنا من لدنه علما وأن ينور بصرنا وبصيرتنا وأن يجعلنا من الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ
وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ
وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ
حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الحمد لله كلَّكم على علمٍ ودرايةٍ ومعرفةٍ ببركة الشيخ وببركة "سي الحبيب" وببركة
العلماء، والحمد لله كلَّكم على بيّنة من أمركم، وهممكم مقتنعون بما أنتم فيه، نرجوا
لكم التوفيق والسلام والعمل الصّالح وأن يُديم عليكم ما أنتم فيه، آمين، بجاه رسول
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقيلي

رضي الله عنه إلى تونس

زيارة منزل العارف بالله شيخنا

وسندنا

سيدي الحاج محمد القماري

كتبه بخطه تلميذه المقدم البركة

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

رضي الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بهم آمين

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

بمناسبة زيارة سيدنا وسندنا الحاج محمد الكبير البعقلي رضي الله عنه إلى تونس، قمنا معه ومع من جاء معه من الأولاد والأصحاب بزيارة أمّ الجميع أمّي جميلة رضي الله عنها بمنزل المقدم البركة سيدي محمد الخلصي وزوج لآ كلثوم ابنة شيخنا القماري رضي الله عنه، وقد حضر أيضا ابنه ونجله سيدي أحمد ولآ عائشة ابنة سيدي الحاج محمد القماري رضي الله عن الجميع

وهذه الزيارة هي في الواقع زيارة إلى سيدي محمد قماري رضي الله عنه بذاته ومنه إلى آله جميعا نفعنا الله ببركاتهم في الدنيا والآخرة آمين.

وقد كنت تكلمت عن بعض مناقب شيخنا وقدوتنا الأمثل سيدي محمد القماري ومنه على مناقب شيخنا سيدي الحاج الأحسن ممّا أثر ذلك الكلام وفرح الحاضرين وخاصة سيدي محمد الكبير فقال كلاما عاليا في المحبة والصدق واليقين والاتباع فكتبت منه ما استطعت وهذا من جملة كلامه نفعنا الله به آمين

بسم الله والصلاة على رسول الله وعلى له وصحبه

قال سيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به أمين

- أولياء الله من ذكرهم ذكر الله، من ذكرهم أحب الله ومن أحب الله فقد ذكر الله
- من سار على الدرب وصل
- من ذكر أسماء الله فقد ذكر الله وأهل الله هم أسماءه
- من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله و دفع عن جميع الحضرات
- حسن الظن فإن سلم فإنه منا وإن لم يسلم فنطلب من الله أن يهديه حتى يأتي سلام أمين

- كل شيء ينبني على حسن النية وحسن الظن من أحسن الظن بالله وعباد الله فقد أعطي خير الدنيا والآخرة ولا تتم توبة نصوحا حتى يحسن الظن في عباد الله فإذاك تُقبل توبته

نحن آمننا وسلّمنا قال تعالى ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾¹، قال صلى الله عليه وسلم « يا رب لا أشك ولا أسئل »² هذا هو الثبات واليقين، فلنعلم من الله ومن الشرع المُنزَّل أن كل من أطاع الله وقام بمسؤوليته مع ربه وعباده فهو من الموقنين المصدّقين الذي ظهرت له المعالم والطريق ولم يبقى له شيء من الشك ولا ينحاز ولا يسمع الكلام إلا من قدوته ومن عالمه وسلمنا وصدقنا بما رأينا هداانا فاهتدينا وسلك بنا الطريق

¹ سورة يونس الآية 94

² أخرجه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة. ورد في كتاب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمؤلفه شهاب

الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألويسي

المستقيم فحمدنا الله هذا الذي يجب أن نحطاط من أنفسنا حتى لا نغتر بأنفسنا ولا بما يقال علينا فالوقت يحرز والزمان قَلَابٌ (أو قُلَابٌ) والدنيا لا تدوم فلا بد أن يكون الإنسان متيقنا، شادًا على مقاديفه حتى يحسن السباحة ولا يغرق، ومثالنا والقوة لنا في هذا الأمر هو رئيس الملامتية العالم الجاهل الظاهر الباطن المتقلب في أطوار العبودية أول من آمن وصدق وسلم وانتهى أمره ولا مزية على ما وقر في صدره « ما فضلكم ابو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره »¹ وما وقر في صدره هو الصدق بما صدق به الله فانبسط في العالمين. سيدنا أبو بكر هو الجواب على جميع ما اختلج في صدره سمّي من الملك الأعلى بالصدّيق هذا الطابع الربّاني في الملكوت، لما أُخبر من المتكلمين أما سمعت ما يقول صاحبك ؟ قالوا صار يحدث أنّي البارحة كنت في بيت المقدس و ... قال أقالها ؟ قالوا نعم، قال إذا كان قالها فقد صدق، كنت أصدقه في أعجب من هذا يأتيه الوحي من السماء فكيف لا أصدقه في هذا ! هذا بسيط يعطيه الله هو حتى لأقل من الأنبياء. هذا ما يجب أن يتحلّى به كل فقير يرجع إلى هذا الكلام من سيدنا أبو بكر عَرَفَ وعلم وصدّق فثبت وسَلِمَ. لو جاء كل الظلام لا يمكن أن يطفئ نور شعرة واحدة منه أبدا، فإذا صدق فيكون دائما ثابت في علمه هذا هو الصفاء الصدق فلا يسمع قيل وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾² قال الصحابي عبد المالك والله يا رسول الله ما أنجاني إلا صدقي سيدنا هذا كان من الثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك أمر الله نبيه أن يجمع الجيش في شهر حرّ شديد وحر لافع وشدة في العيش والماء قليل، فلما نادى إلي بالجهاد تخلف من تخلف فلما

¹ رواه الغزالي في الإحياء وابن الأثير في النهاية والترمذي في نوادر الأصول عن بكر بن عبد الله المزني

² سورة التوبة الآية 119

رجع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يحدث فيها قتال وهي على حدود الشام تقريبا ألف (1000) كلم من مكة في هذا الوقت تصوّروا كيف أن يشدّوا الرّحيل !! وصفها الله بِسَنَةِ العُسْرَةِ، والله يا رسول الله لم نتخلف إلا إني كنت حديث العهد بالزواج وهذا الذي أقعدني لا نفاقا ولا كرها في الجهاد فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا **صدق**. لكن حتى ينزل فيه قرآن. فلما نزل القرآن وأتاه البشير ... من شدّة الفرح نزع ثوبيه وأعطاهما للبشير وهذه عادة العرب يعطون شيئا للمبشر فلما أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان الناس لا يكلمونهم أبشر هذا خير يوم ولدته فيه أمه. فقال يا رسول الله شكرا لله أتصدق بكل مالي، فقال له أترك شيئا فقال لا لأنني ما أنجاني إلا صدقي. هذا هو الأسلوب الذي يجب أن لا يترك أحدا ينكت نكتة في صدقه ولا يترك أحدا يشوش عليه لأنه شياطين الإنس والجن، الجن لنا السلاح " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " فيبتعد أما الإنس فلا، بماذا نواجههم : بقوة جأشنا وعزيمتنا واعتقاد أن ما نحن عليه حق شيطان الجن يُسلمُ لأننا أغلقنا جميع النوافذ. فلا بد الحذر حتى لا يضعف في بعض الحالات تضعف نفسه وتتحل عقده وينسلخ قلبه لأن البشر ضعيف فإذا علمه يكون هذا مركز قوته وأما إذا نسي ضعفه واعتقد قوته فإنه يُأْكَلُ وَيُمَضَّغُ وَيُبَلَّغُ ويسرط. فوسوسة الإنس صعب التخلص منها فإنه يتبسم في وجهك ويعطيك حتى يجلبك إليه حتى يهلكك وما يحصل من الشقاكات بين الفقراء هو يحصل من شياطين الإنس. الإنسان يعتد بعلمه وجاهه وماله أنا عندي كذا وكذا كيف أنا أتبعُ فلان وأصدقته وأقبل يده ؟ إذا أردت أن تهلك أحدا فائتبه من النفس تهلكه، فيسلبك ما عندك فليحذر الإنسان وليفارق الجماعة التي تقدر وتفرق ولا تجمع يجب أن يكون حذرا من السهام المسمومة لأن هذا الرياسة هو باب الله ليس باب الدنيا إنما نحن عبيد الله مهما كان الإنسان هو عبد حقير ضعيف في نفسه تحت

قهر الله، أنبياء الله ومرتبته العاليا كانوا لا يخرجون عن العبودية. نبي الله موسى لما سقى لِبِنْتِي شعيب ثم ذهب إلى ظل شجرة وشكر (أي شكر الله) على أن وفقه لذلك «ربي إني لما أنزلت إلي من خير فقير» وليس عمل بطولي بل يعترف بفقره وذلك لا قوته. الإنسان لا يظهر ولا يحب الظهور، الدين ليس فيه ظهور بل تعليم الإنسان أن يكون دائما محتاج فقير وذليل لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْعَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾¹

عرفنا قدوتنا وعرفنا أمرنا فنقصر همتنا على هذا كله ونتكلف بما أمرنا به ولا يختل حق بحق ونعطي لكل ذي حق حقه.. الإنسان إذا عظمه الناس فإنما هي حسن ظن به فقط ولا يعرف هل هو ناج أو لا أو عمله مقبول أم لا إنما النجاة بالختم «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه، أو قال ساقاه، فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا؟»². غفر لي الله ذنبي ما قدمت وما أخرت هل نقف؟ هذا عزوف عن هذه النعمة بل يجب أن يزيد في طريقه لأن ما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وأحسن كما أحسن الله إليك، الإحسان الذي يحبه الله منك ميلا وشوقا وأدبا ومحبة و... فالطريقة ليس فيها رئاسة ولا ظهور ولا لا.. وكل من أحب هذا فهو يتخبط عشواء ولم يعرف العبودية أبدا "واعلم بأن أصل ذي الآفات حب الرياسة وترك الآتي". إذا ادعى الإنسان نعلم أنه مسخر وأنه مجاري الأقدار الإلهية إذا ادعى شيئا فإنه يبطل عمله، كل شيء ننسبه لشيخنا ببركته حصل التنوير والوصول و و... كل ما حصل له يقول لولاه ما كنت لولاه ما عرفت ما اجتمعت بهؤلاء الإخوان و و... فيسلم الكل ونضع المسؤولية على واحد فنرتاح فلا أملك لنفسي شيئا. ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ

¹ سورة الأعراف الآية 188

² أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب

فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿١﴾ ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾² هذا كلام الرسول فكيف ندعي نحن شيء، أن ننفذ أو نضر أو أو ... بل نعمل بحسب استطاعتنا ونصنف الحقوق « إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَأَلْهَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ »³ صنف أمورك ترتاح، وقت الصلاة، وقت العمل، وقت القفّة الخ ؛ الوسط المعتدل الذي لا إدعاء فيه ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾⁴ إذا شاكتنا شوكة حوت لا تقدر عليها فكيف تقول أنا أنا؟! ذبابة كذلك .. الحمق! ما يغلبك إلا الذي قال لك اخرج من داري أو أعطني حاجتي، اما يقول لك اخرج من دارك وأنا أسكنها فهذا حتى الشريعة الشيطانية لا تقبله. الفقراء الذين لا يقدموا حتى سنتيم (centime) من خير للزاوية ولا لأهل الزاوية هم الذين يشوشون يهّمهم القيل والقال والتشويش والتشكيك ونقول لهم ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾⁵ واعرض عن الجاهلين وأما الذين أقامهم فإن الله هو الذي أقامهم ويعملوا بها ولا يتركوها لأي شخص فإن تخلوا عنها فإنهم يعاقبوا على ذلك فإن تركوها حولها الله منهم إلى غيرهم وتصيبهم الحسرة، ولذا أهل الدار لا بد يتمسكوا بدارهم وأهل الزاوية يتمسكوا بزوايتهم ولا يتركوا من يشوش عليهم لأن أهل الدار أعلم بها ولذا نحن لما بلغنا نعي سيدي محمد القماري ونعرف محبته وغيرته .. لا بد أن يكون من يخلفه كما كان السلف الصالح مع التجديد لا بد من جديد حتى البناء أن يبني يزيد على ما كان لا أن يبني على حدة وإلا كان الخراب ولذا كان أولاد الفقيه الذين هم علماء عارفين سلموا أمرهم له بحسن ضنهم به ولذا نرى العمل يسير من حسن إلى أحسن والمقامات تزيد ولا بد أن يكون في ازدياد وكل شيء هي مسؤوليته دينية ليس فيها رياسة ماذا تريد أن

1 سورة النساء الآية 78

2 سورة النساء الآية 79

3 أخرجه البخاري والترمذي

4 سورة التوبة الآية 51

5 سورة الأعراف الآية 199

تكون مكانه كيف يقول الإنسان هو غير مؤهل؟؟ لا بد من الأسباب يكون كذلك قادرا على الإطعام والإنفاق لا بد الله يجعل يجمع العلم والدنيا لأجل نفع الناس (لا بد من المال) الدنيا هي محطة لا نبني للآخرة إلا إذا بنينا من هنا فنجد كل شيء مهياً فلا بد أن يجمع الورع الترفع بما في أيدي الناس يغنيك الله وهو الأهم ثم اللقمة لا بد منها الزاوية لا بد من اللقمة وفاقد الشيء لا يعطيه كيف...؟ هو يستحق من يعطيه ليس له شيء ليس عنده ما ينفق!.. لولا الأغنياء لا تكون زاوية ولا مؤذن ولا ولا... لا بد تجتمع الأمور ورع وتقوى وعلم ومال بهذا تقوم الدنيا. الفقير قابله بالرفق ولا تقابله بالعلم فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه إذا هو جيعان وأنت تقول له انكر كذا!! وهو جائع! لا بد أن نراعي الناس. الزوية تقوم هكذا، لا بد الاحتراس، اللي هنَّاك من المسؤولية رفع عليك حرج كبير، الإمامة، الزاوية، الوقوف.. إذا لم يكن (أي هذا الذي هنَّاك) فكيف تكون الزوية؟؟

قال لي واحد في الزاوية، المؤذن ما يعرفش يؤذن والذي يقيم الصلاة لا يعرف إقامتها... قلت له أنت تقدر تؤذن؟ قال لا لا أنا عندي العمل!! فقلت له إذا لماذا تتكلم إلزم نفسك. الفضولي لا بد يكون بشكارتو!! قلت له احمد الله على ذلك هؤلاء الضعفاء هم الذين قامت بهم الزاوية «سهام المؤذنين عند الله يوم القيامة كسهام المجاهدين وهم فيما بين الأذان والإقامة كالمتشحط في دمه في سبيل الله، وقال عبد الله بن مسعود: لو كنت مؤذنا ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد، قال: وقال عمر بن الخطاب: لو كنت مؤذنا لكمل أمري وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا صيام النهار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم اغفر للمؤذنين اللهم اغفر للمؤذنين، فقلت: تركتتا يا رسول الله ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف؟ قال: كلا يا عمر إنه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم، وتلك لحوم حرمها الله على النار لحوم المؤذنين، قال: وقالت عائشة لهم هذه الآية: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } قالت: هو المؤذن، فإذا قال حي على الصلاة، فقد دعا إلى الله، وإذا صلى فقد عمل

صالحاً، وإذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله فهو من المسلمين »¹ !! لولا هؤلاء الضعفاء لم تعمر المساجد كأنه قال له تهتئى (يا عمر) الضعفاء هم اللي يهنيونا في هذا الشيء ...

ما نسمعوش من هذا الناس اللي بغاوا يفرقوا لا نجادلهم ولا لا .. وهؤلئك هم أهل الكتاب ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾² .. لأن الذي أراد أن يدخل في هذا الأمر، أمر الأولياء ...

الخير كله في الجمع والشر كله في الفرقة.

انتهى ما نقلته من قوله رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين ثم صلينا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا الظهر بعد أن توظأ للصلاة رضي الله عنه ولم نفق إلا والساعة الثالثة أتت ثم صلينا ثم طلبت منه للاً كلثوم أن يقرأ على رأسها فقراً طويلاً على رأسها رضي الله عنه آمين ثم سلم على الحاضرين واستأذنا أمي جميلة وكان تعباً كثيراً فرجعنا إلى المنزل مع الساعة الثالثة و20 أو 30 دقيقة - الغذاء ثم رجع مع العصر ليرتاح على عادته وكنا سنذهب لقراءة الوظيفة بجامع الزيتونة المعمور مع سيدي خالد رضي الله عنه لكن شاءت الأقدار إلا أن نؤجلها ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾³

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

¹ البيهقي في شعب الإيمان والسيوطي في جامع الأحاديث عن أبي الوفاص

² سورة العنكبوت الآية 46

³ سورة الإنسان الآية 30

نقله الحاج الحبيب بن حامد
أواخر رجب 1430
أمنه الله ولطف به في الدارين

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

رضي الله عنه إلى تونس



اليوم الخامس

الاثنين 27 رجب 1430

القرص - 1 -

لقاء مساء اليوم الخامس

بفقراء تونس

في منزل الفقير حسن

الزيّاني

سيدي عندي سؤال، لو تتكرمون علينا وتفسرون لنا معنى قول سيدي الحسين اليفريني رضي الله عنه : من مكّة تقدم الناس لترانا والله الحمد

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، هذا كلامُ العارفين، المرموقين في الحضرة الإلهية، هذا كلام أهل التّصريف، في هذا العالم الذي هو عالم الملك، وهو فيه إشارة عظيمة ورمز واضح على مرتبة القائل، مرتبة عظيمة من المراتب، التي ليس فوقها إلا مرتبة النبوة، وهي مرتبة القطبانية والخلافة عن الله، لأنّ القطب أينما كان، فهو خليفة عن الله، أينما كان الله إلهاً كان القطب خليفة، والخلافة العظمى عن الله تقتضي من صاحبها أن يكون سهم الرحمة لعباد الله، كلّ عباد الله، وفي إشارة أخرى، وهو أنّه يشير إلى أنّه قطب كامل، وأنّ العالم كلّه بما فيه موقع الكعبة أهله، بغضّ النظر لأنّهم يأتون إليه، ليس الإتيان بالرجل، لكن يساقون قهراً منهم إلى الاستمداد منه، وهو الممدّد لكلّ من كان ولياً لله، يأتي إليه ويستمدّ منه، أو كما قال قبل هذا الكلام، قال كلام آخر، قال أنا حجر المغناطيس، وكلّ من عنده رزق يأتي إليه، فهو الذي يوزّع الأرزاق الإلهية على عباد الله وخلقه، إن كانت هذه الأرزاق معنوية أو كانت أرزاقاً مادية، وهذا هو الخليفة عن الله، وهي بالوراثة النبوية المصطفوية، لأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم قال، لحديثه الله المعطي وأنا القاسم، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال « لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي الله المعطي وأنا أقسم »¹ الله المعطي وهو الذي دبّر الأمور، وصرّفها كيف يشاء، ووضعها في يد من يشاء، ليتصرّف بالله، فيما هو من الله، لخلق الله، فالوراثة النبوية أنّ القطب الكامل الجامع عندما يقول مثل هذا الكلام يكون القطب الجامع، فمراتب الأقطاب الأخرى كلّها تحت جناحه،

¹ تخريج ابن عساكر في كتاب تاريخ دمشق عن أبي هريرة رضي الله عنه

وتحت تصريفه، فهو الذي يُفيض، وهو الذي يعزل، وهو الذي يتصرّف، وكلّ مدد يأتي على يده، وهذا الشيء ترتيب إلهي، وليس هو الذي جعله لنفسه أو إكتسبه بنفسه، هذا لا إكتساب فيه، هذه الأمور ليست من المكتسبات، وإنما هي مفاضة على عبد من عباد الله، فهذا يُشعر بأنّ الأقطاب في العالم كلّه، في عالم الملك، حتّى من كان في مكّة، هو محتاج إليه وإلى مدده، فلا يصل له شيء إلاّ عن طريقه

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

قال : كلّ من كان عنده سرّ في المشرق أو المغرب، فلا بدّ أن يأتينا، أنا حجر مغناطيس كل رزق حسّي أو معنوي فلا بدّ أن أكون فيه واسطة

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

فلا بدّ أن أكون فيه واسطة، أي واسطة، لا يقول "أنا"، ولكن يقول واسطة، أي من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، هذا هو القطب، لأنّ كلّ زمان له قطب، ومن الأقطاب من يجلس على كرسيّ القطبانيّة سنة، ومن يجلس تسع سنوات، ومن يجلس سبعة عشر عاما، ومن يجلس من بلوغه إلى مماته، والقطب الجامع هو الذي قاله في تصريفه في حياته وبعد مماته، ولا بدّ للأقطاب الأحياء أن يأتون إليه ولا يصل إليهم سرّ إلاّ على يده، وهذه إشارة منه، لم يقلها صراحة، لكن هذه إشارة، إشارة ورموز، ولم يقلها لكلّ أحد، ولكن قالها لمن علم أنّه سيكون خليفة عنه، أي سيحمل نفس ما حمّله، ويكلّف بما كُلف به هو، هذا معنى الخلافة عن الله، والأغوات الذين بهم ينبت الثّبات، وبهم ينزل المطر، وبهم يغاث النّاس وبهم يعسرون، فهذه إشارة منه إلى بلوغه القطبانيّة العظمى، القطبانيّة العظمى هي الجلوس على كرسيّ القطبانيّة مع الصّناديق، القطبانيّة التي على اليمين وعلى اليسار والتي جمع الله له فيها كلّ ما سيكون، من أسرار وفهوم ...، أي الأرزاق كما نقول معنّى حسّيّا، فهّم يتصرّفون فيها ويوزعونها، سواء علم أولئك النّاس أو لم يعلموا، بالوراثة المصطفويّة،

لذلك يقول : أنا واسطة، أي بين الخليفة الأعظم عن الله هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الخليفة، وصفة الخليفة الأعظم ستجدون أوصافها في الإراءة، في الصفحات 140 فما فوق، تجدون هذا في الجزء الأول، وتعلمون معنى المرّبي ومعنى الخليفة، وهي الأوصاف والتّعوت التي يُعرف بها، أو يعرف بها هو نفسه، لذلك فعندما ينطق بهذا الكلام فهو ينطق بلسان الحقّ، لا بلسانه، لأنّ الله متصرّف فيه، وليس المتصرّف في نفسه، وهذا هو المعنى الذي يريد أن يفصح عنه لمن يفهم إشارة الأكابر، ورموز الأصفياء، لأهله لا لكلّ النّاس، لذلك قال كلاماً معمّماً، ليس بفصيح، ولا بمشكّل، لا هو فصيح ولا هو مشكّل، فيفهم هذا الكلام من يفهم معنى الحقائق، عن الله وبالله، وهذا هو ما يمكن أن نقوله الآن، بهذه العجالة، حتّى نعترف ونقرّ لأهل الله بما منحوا، من الله تبارك وتعالى، منه إليهم، سبحانه وتعالى، إذاً هذا ما يمكن أن نقوله الآن، ومن أراد الإيضاح في هذا الأمر، فليرجع للإراءة الجزء الأوّل فسيجد نعوت كاملة ومدقّقة، إلّا أنّ صاحب هذا الأمر ينبغي أن يكون مصدّقاً مسلّماً، وإذا أراد أن يقرأ فليقرأ بهمة، والمرتبة لصاحبها، مع التّسليم له، والتّصديق بما يقول، وهنا يكون الفتح والتّنوير لصاحبه، ويعلمه الله ما لا يعلم، بواسطة هؤلاء الذين جعل الله لهم هذه الميزة العظيمة، التي هي ميزة التّصريف، تصريف من المصرّف والمدبّر مع ملاحظة الوسطة، الذي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

قد قرؤوها في الإراءة، مرتبة المقدّم والمرّبي والخليفة والخليفة العامّ

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

هذا ودائماً كما نقول، العلم هو دائماً من أفواه الرّجال، سيقراً الكثير ولكنّه سينسى الكثير، لكن إذا سمع الكثير يبقى له الكثير، وينسى القليل، بخلاف القراءة، تقرّ الكثير ويبقى لك القليل، في السّمع يكون العكس، السّمع مع الإصغاء، مع الأدب

المَعرفي، تسمع الكثير وتنسى القليل، مع الإصغاء، والتدبّر، والسّكون، والسّكوت، والنّظر بعين الإنصاف، وعين الرّضا، إذ ذاك يكون الإنسان أن يُدرك في لحظة ما لا يُدركه في عمره كلّهُ، بهذه الأدب كما قلنا

الفقير حسن الزيّاني

سيدي اسمح لي، نحن عندما نقرأ الإراءة أو الشّرب الصّافي أو سوق الأسرار، نقرأه بلغة عربيّة فصحي، بشكل معيّن، فلماذا لا تسمح لنا بإعادة كتابة كتب سيدي الحاج الأحسن البعقلي بصيغة جديدة، مع إضافة الهمزة والضمّة والشّدّة، والفواصل والنّقاط، وما إلى غير ذلك ...

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

عندما تقول الشّكل، أي شكل الكتاب، الشّكل ممكن، لكنّ الشّكل، ينبغي أن يتعاقد على الشّكل عالم في اللّغة وعالم في النّحو وعالم في معنى اللفظ، حتّى يكون ذلك الشّكل يسير على هذه المناهج الثلاث، اللّغة والنّحو والمعنى، قد يكون الشّكل يغيّر المعنى، وقد يكون مناسب، لكنّه لا يأتي بالمعنى الحقيقي، يغيّر المعنى

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

ويقيده، سيّدي

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

نعم، ويصبح ربّما خطأ، ويصبح النّاس يسيرون على هذا الخطأ، لكن إذا كان النّاس تعودوا على هذا الأمر، ودرسوا كلّ فقرة فقرة، وشكلوها، هذا النّحوي ماذا يقول فيها، اللّغوي ماذا يقول فيها، هذا المعنى ماذا يؤدّي، لأنّ الشّكل صعب، لو بقي الكتاب مطلقا بدون شكل، يقرأه كلّ واحد ويلحن فيمكن تجاوزها، لكن اللّحن بالشّكل يكون هذا الشيء صعبا، فالقرآن لم يشكلوه حتّى تضافرت عليه علماء كثيرون واستخاروا الله، وخشوا من الله، وأقدموا على شكل القرآن، وكلّ شكل يغيّر معنى الشّكل الثّاني،

تتغيّر فيه بعض المعاني وتتغيّر بعض الدلالات، مثلاً لو أخذنا مثلاً القرآن نجد فيه الكثير، لو أخذنا مثلاً قول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾¹، تقديم المعمول على العامل، يُدلّ بالحصْر، كما هو معروف، الذي يخشى الله منهم؟ العلماء، فاعل مؤخّر، والعلماء مفعول مقدّم، هذا في النحو لا في المعنى، فمفهوم أنّ الذي يخشى الله هم العلماء، لكن القراءة الأخرى التي تقول إنّما يخشى الله من عباده العلماء، وهذه قراءة موجودة، كيف سيكون تفسيرها، إذا لم يكن اللغويون وأصحاب المعنى، يكون الشكّل صعباً، الشكّل بالنحو، أهل النحو عندهم السلاسة، فلا يُغلبون، والذي ليس عنده النحو يصعب عليه، لذلك شكّل الكتب صعب، يمكن الشكّل لكن أين أهل الدراية وأهل الرواية وأهل العلم، عند ذلك يمكن شكّله، وإلاّ ربّما يتجنّبون على صاحب الكتاب، بعض الكتب تكون مشكولة، مثلاً ككتاب الشفاء، شكّله، لأنّ الكلام فيه واضح، الكلام منقول، سهل أن تشكّله، كلام منقول وموجودة أحاديث هنا وأحاديث هناك، لكن أن تأتي لمثل هذه الكتب وتشكّلها، ربّما الذي قصده المؤلّف من المعنى يتغيّر، يتغيّر بالشكّل، ذلك من أراد أن يشكّل فله ذلك، لكن يجب أن تكون عنده أشياء عظيمة من الله

سيدي الحسن أحد مرافقي سيدي الحاج محمّد الكبير

نعم سيدي، الشّطر الثّاني من السّؤال هو حتّى الفواصل والنّقاط

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

حتّى الفواصل والنّقاط، لا بدّ من تصحيحها، سيما كتب أهل الله، نحن أخذنا كتب وقرّناها، الذين قاموا بعضهم فيها بالتحقيقات، لكنّهم لم يوفّقوا، اشتريناهم وقرّناهم، شكّلوا بعض الكتب، شكّلوا بعضهم مثل كتاب سيدي العربي بالسّائح، البغية، لكنّ لم نطمئن لهذا الشكّل، يا ليتهم لو تركوهم كما هم، كلّ واحد منّا يتصرّف ويقرأ كما

¹ سورة فاطر الآية 28

يحبّ، ولا ننتقيّد نحن بذلك الشّكل المغلوط، ليس في محلّه، وكذلك الفواصل والنّقاط ليست في محلّها

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

خاصّة وأنّ سيدي الحاج الأحسن رضي الله عنه أوصى بترك كلامه على ما هو عليه

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

لأنّه قال أنّه صادر هكذا، عن حاله، لذلك من الصعب على الإنسان أن يضع يده في هذا الأمر، ما عدى إذا كان له ...، أو يكون الشّكل فقط في بعض الكلمات، مثل مفعول أو فاعل، فعل مضارع أن يكون مرفوعا، أو منصوبا، ضرب يضرب أو ذهب يذهب، أو نصر ينصر، تكون على هذه الأبواب، هذه الكلمة يغيّرها، هذه واضحة، هذه هي اللّغة، ليس فيها أيّ مشكل، لكن أن يشكّل كلّ الكلام صعب أن يُوفّق في هذا الإنسان

سيدي الحاج خالد القمار

هو عنده جوامع الكلم، مقاصد كثيرة، والكلمة إذا شكّلتها حدّدتها، فيصبح مقصدا واحدا

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

يكون مقصدا واحدا، وربّما الكلمة مازالت تشير إلى جهة أخرى، فتضع عليها أنت نقطة، وتفصلها عن بقية الكلام، وقال لي بعض النّاس أريد أن أشكّل، قبل أن تشكّل اذهب وتعلّم النّحو جيّدا، اذهب وتعلّم جدّا سنة كاملة حتّى أن تصبح لك طبيعة، على السّليقة لا تحتاج، ولذلك يخشى الإنسان أن ...، قصيدة شعريّة غير مضبوطة، تتركها على السّليقة ولا تضبطها، إذا ضبطتها وشكّلتها فقد قيّدتها، وإذا قيّدتها ربّما يكون صاحب الأمانة لم يقصد بها ذلك المعنى، وأنت أعطيتها معنى آخر، يمكن

للناس الذين يكونون أقوىاء، وأكثر من ذلك، الخوف من الله، لا يقدمون على هذا الأمر حتى يتحققوا منه، كثيري التحقق

سيدي الحسن أحد مرافقي سيدي الكبير

في المؤلفات، قلتم لنا ذات مرّة في كلام العارفين، أنّه من سوء الأدب أن يتدخّل الواحد فيه، ويحاول أن يعدّل

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

نعم، سوء أدب، بل أكثر من هذا فهو التّجنيّ على الناس، بعض الناس، في بعض الكتب، وبدؤوا يشكلونهم، وهم على غير علم، بل إنهم غيّروا من لفظ إلى لفظ آخر، بدون حياء وبدون خجل، ولا يغيّر بقلم الرصاص بل يغيّر بقلم المداد لا يمكن فسخه، فتأخذ ذلك كلّه وتحرقه كي لا يبقى يتداول، هذا الشيء وقفت عليه بنفسي، وكما هو معلوم العالم أو النحوي أو اللّغوي عندما يرى اللّحن كأنّك طعنته بسكّين، إطعنه بالسكّين أهون عنده من أن يسمعك تلحن، سيّما إذا تكاثر، لذلك يبقى الإنسان على السّليقة، يقرأ الكتب كما هي، هي كتب كثيرة فيها كتب الفقه وكتب الأصول هي غير مشكولة، متروكة لعربيّة الإنسان، وسليقته ونحوه، ويقرأ الناس بالسّليقة، إذا كانت مسائل بسيطة يمكن تصحيحها، فلا يبقى لك ما تضيف، تبارك الله، الله يتقبّل، كما جمعنا فالله يجمعك على خير، ويجمع فيك الخير، ويعمّر داركم بالخير، ويصلح أحوالكم كلّها بالخير

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

اللّهم اغفر لنا وارحمنا واسترنا واجبرنا وارزقنا وارفعنا ولا تضعنا،

اللّهم اجمع القلوب يا أرحم الرّاحمين يا ربّ العالمين

اللّهم إنّنا نسألك من خير ما سألك منه سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم ونعوذ بك

من الشرِّ ما استعاذ بك منه سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلّم
اللهم إنا نسألك من الخير كلّه عاجله وآجله ونجّنا من الشرِّ كلّه عاجله وآجله
اللهم أرضِ عنّا سيِّدنا ومولانا أحمد التّجاني رضي الله عنه وأرضاه وأرضِ عنّا جميع
أشياخنا يا أرحم الرّاحمين يا أرحم الرّاحمين يا ربّ العالمين آمين.

بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين * الرّحمن
الرّحيم * ملك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا
الصّراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم * غير
المغضوب عليهم ولا الضّالّين *

آمِين

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ
نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ
حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

رضي الله عنه إلى تونس



اليوم السادس

الثلاثاء 28 رجب 1430

القرص - 2 -

لقاء مساء اليوم السادس

بمنزل الفقير فوزي

بالقيروان

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

سيدي نحن نعرف أن العارف إذا حل ببلد يعني تنفست أنفاسه في البلاد كلها من جميع مخلوقات الله سواء بشر أو غيره من مسلمي الجن والنبات وغيره من مخلوقات الله التي نعلم والتي لا نعلم، ونعرف أن البلدان كذلك هي كالقلوب تُفتح بفتوحات شتى وأنت سيدي كان تقول لنا الله يجازيك بخير، الفرق بين الفتوحات بالإمدادات الروحية والدعاء والتصريف البعيد ولما يجمع الله سبحانه وتعالى بين الحضور بالجسد والروح العارف في مكان ما، لابد أن يكون شيئا آخر يعني شيئا خاص أي الحكمة الإلهية متاع الله في مجيء عارف ما بمكان ما

سيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه سُداً ولا عبثاً وإنما خلق خلقه ليقوم شرعه في جميع ما خَلَقَ الله وخصّ الأولياء الكُمَّل من جنس الإنس فقط، ومن جنس الإنس قدر الله ما قدر في أزله أن يكون الرسل والخلفاء، خلفاء الله في الأرض، أن يكون المبلغون عن الله من صفوة خلقه ترتيباً لمملكته وإظهاراً لحكمته في خلقه، وكل شيء قدرناه تقديراً، كل شيء خلق بقدر وتقديراً وتدبيراً محكماً ونظاماً بديعاً، يقول الله تبارك وتعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾¹، وأن يجعل رسالته في ما هو علم الله منه وكان في أزله أن يكون حاملاً لرسالته فكان من حمل هذه الرسالة في علم الله وجعل منه الإمدادات وحياة المخلوقات كلها هو الحقيقة المحمدية، الحقيقة المحمدية هو أول تعلق وبروز الأسماء، برز منها الحقيقة المحمدية ثم من الحقيقة المحمدية برز منها أيضاً ما خلقه الله تبارك وتعالى ما يكون وما سيكون إلى يوم القيامة ومن هؤلاء المخلوقات أيضاً المصطفون من خلق الله

¹ سورة الأنعام الآية 124

ليكونوا نُؤَابًا وخلفاء عن صاحب الحقيقة المحمدية عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالكون كله هو ألم على بيضة وقشرتها هي الحقيقة المحمدية وما فيها هو ما برز عن الحقيقة المحمدية وما سيبرز فالرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعله اللهُ تبارك وتعالى هو الممدّ لجميع الأنبياء والرّسل وكذلك المدد الحسيّ والمعنويّ لمن خلقه اللهُ تبارك وتعالى من نور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحتى يبقى النظام الكونيّ يسير على نمط معلوم لله والتبليغ، خُلقت رسالات الله، أرسل الرّسل وهم نُؤَاب عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرسل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو آخر الأنبياء وخاتمهم وممدّهم وقَدّر على الخلق أنّ كلّ نفس ذائقة الموت فلم يميّز اللهُ تبارك وتعالى بمن اصطفاه أو من لم يصطفيه، وعند الموت من كُلف بأنّه لا يظهر اللهُ تبارك وتعالى ببركة ذلك الذي أقامه اللهُ، يظهر اللهُ على يده من يخلفه في أداء رسالته بتأييد من الله وهكذا كما قال اللهُ تبارك وتعالى على « لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله »¹ وفي الحديث « لا تزال هذه الطائفة في المغرب » قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لا تزال طائفة من أهل المغرب قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » هذه الطائفة التي تكون على مرّ الزمان وعلى مرّ العصور كلما مات واحد أبدله اللهُ بغيره ليقيم المعوجّ من دين الله ويبقى هذا الأمر ينتقل وينتقل وينتقل حتى النفخة الأولى وإذ ذاك تُقبض جميع أرواح المؤمنين ولا يبقى بعد ذلك إلا شرار الخلق أي الذي لا

¹ إن الله زوّى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتى سيئلُ ما زوّى لى منها وإنى أُعطيْتُ الكُنزَيْنِ الأحمر والأبيض وإنى سألت ربي لأمتى أن لا يهلكوا بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوّاً من سِوى أنفسهم فَيَسْتَبِيحَ بِيَصْتَهُمْ وإن ربي قال يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يردُّ وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوّاً من سِوى أنفسهم فَيَسْتَبِيحَ بِيَصْتَهُمْ ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يفتنى بعضاً وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين وإذا وُضع فى أمتى السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين حتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان وإنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدى ولا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله (أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذى عن ثوبان، والسيوطي في جامع الأحاديث)

يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولذا فالعارف أنفاسه هي كأريج المسك أو كالعطر أو كدخان العود يتضوّع¹ في أي مكان حلّ ويشمل كلّ من كان في مكانه وزمانه سواء انتفع أو لم ينتفع فتلك بركته، فبركة العارف هي بركة من الله حتى يُغيّر الله بأنفاسه ما فسد في زمانه وهذه البركة هي تسري في الدنيا، إذا حلّ محبوب من الله في بلدٍ فإنّ أرواح المؤمنين في تلك البلد تنتعش وتفرح وتتادي « يا لسعادة من أسعده الله به ويا شقاوة من شقي به » حتى في الجنة كلّ من عبد الله لغرض نفسي، وأشرك مع الله أغراضه يُقال له « ما عبدتني لذاتي ولكن عبدتني لغرضك » فلا ينفعه إذ ذاك إلا بركة العارف عندما تأتي كل أمة بإمامها فأئمتهم شفعاءهم عند الله وبالبركة التي أمد الله بها ذلك العارف ليشفع في أهل عصره وزيادة من أهل عصره، فبركة العارفين هي التي تكون شفعاء للعابدين بأغراض لأنّ الصفاء في العبادة لله تبارك وتعالى لا يقدر عليها إلا من صقّاه الله ورعاه وأقامه خليفة عليه وأشهده حضرته وجذبه جذباً قوياً إليه بحيث جرّده من كلّ ما يُشغله ولو نفساً واحداً عن شهود حضرة الله، ذلك هو العارف، بهم يفتح الله بلدانا وبهم يفتح الله قلوباً من سعدوا في الأزل وبهم أيضاً يمحو الله ويتجاوز عن كثير من مساوئ خلقه ببركة العارفين ودخول الجنة أيضاً لمن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ويعبد الله بطريق الإخلاص مع نسبة العمل إليه وانتظار الأجر من الله أو يعبده لمخافة من عقابه، فهؤلاء ذلك فضل الله الذي يدخلون به هي بركة العارفين الذين يشفعون فيهم وكذلك في زمانهم فإن البركة في محلّهم تتضوّع كالمسك في جميع أرجاء ذلك المكان الذي حلّ فيه فينور الله من يشاء ممّن سبق في علم الله أنّه من السعداء ويُقصي من يشاء ممّن سبق في علم الله أنّه من الأشقياء ذلك قال الله في الحديث « إنّ لله رجال إذا

¹ تضوّع الرّيح : تفرّقها وانتشارها وسطوعها

رُؤُوا ذُكْرَ اللَّهِ وَإِنْ لَكُمْ رُؤُوسٌ فَادْعُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ «¹ والرجال هنا هم العارفون بالله الكُمَّل المتجردون بنفوسهم وقلوبهم وأرواحهم وذواتهم من الغير والغيرية ومن كل ما سوى الله وهم مقبلون على الله تبارك وتعالى بحسبهم وبروحهم وقلوبهم وبعيونهم وبأبصارهم وبكل شعرة من شعراتهم وكل نعمة من نعماتهم لله تبارك وتعالى فلا يضيع لهم نفس واحد في عبادة الله تبارك وتعالى أولئك هم الذين إذا رُؤُوا ذُكْرَ اللَّهِ لأن رؤيتهم هي رؤية الحق سبحانه وتعالى في مظهر أسمائه وصفاته، ولذلك جاء في الحديث «² إِنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ الْقَوْمَ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ بَيْنَهُمْ »²، ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ «³ أَنْزَلَ عَلَيَّ أَمَانًا، أَمَانَ مَا بَقِيَتْ فِيكُمْ فَإِذَا قُضِيَ بَقِيَّ الْإِسْتِغْفَارِ »³ والاستغفار، من الذي يُهَيِّئُ الْخَلَائِقَ لِذِكْرِ اللَّهِ ولطلب المغفرة من الله إن لم يكن العارف فلا أحد مهما كان إن لم يُؤذَن له من الحضرة المصطفوية بالإرشاد والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم يكن له الإذن المصطفوي فلا يُسمع كلامه ولا يُقبل عمله لأنه غير مؤهل لأن يكون أهلاً للإرشاد وللتبليغ ولإمامة عباد الله في الأرض لأن هؤلاء كالأنبياء إلا أنهم لا يُوحى إليهم، فهم نُوَابِ اللَّهِ وخلفاؤه في الأرض فيكتب لهم الله القبول في الأرض ويقبل عليهم من أحبَّ الله أن يقبل عليهم ويدفع عنهم من لا يقبل الله أن يقبلهم لأنهم أقبلوا على الله بكليتهم وأدبروا على المخلوقات بكليتهم فجعل الله البركة فيهم كل من أحبهم وكل من تبعهم وكل من رضي بهم إلا ويكون تحت شفاعتهم وتحت بركتهم. فالعارف كما قلنا أين ما حلَّ هو

¹ قيل : يا رسول الله، من أولياء الله ؟ قال : « الذين إذا ذُكروا ذُكِرَ اللَّهُ » وفي حديث : « الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ » وقال : « خياركم من تذكر الله رؤيته، ويزيد في علمك منطقته، ويزهدكم في الدنيا عمله » نظم الدرر للباقي.

أخرج الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً وموقوفاً، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال " هم الذين إذا رُؤُوا يذُكِرُ اللَّهُ لرؤيتهم " - الدر المنثور للسيوطي

² عن ابن عمر أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِيُدْفِعُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ عَنْ مِائَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ جِيرَانِهِ الْبَلَاءَ، ثُمَّ قَرَأَ { وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ } » رواه الطبراني في الكبير والأوسط

³ عن عثمان بن أبي العاصي أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ، أَمَانٌ وَالِاسْتِغْفَارِ أَمَانٌ وَأَنَا مَذْهُوبٌ بِي وَيَبْقَى أَمَانُ الْإِسْتِغْفَارِ فَعَلَيْكُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ عِنْدَ كُلِّ حَدَثٍ وَذَنْبٍ » الديلمي والسيوطي في جامع الأحاديث

مثل المسك يتضوّع، والتضوّع لا يبلغ مرحلة الطيب الكامل إلا من بعيد. دائما عندما نضع مسكا أو نضع عود في المجرم الذي يشمه البعيد، والقريب ينال منه القليل والذين يكونوا بُعداء هم الذين يشموا رائحته و يتذوقوا ويحبون أن يبقوا يشمون تلك الرائحة أما الأقرباء لا تتألمهم إلا رائحة بسيطة فيتضوّع كما يتضوّع المسك وكما تتضوّع رائحة العود وكما يتضوّع الطيب أنّه مُنبتّ في جميع الأركان البعيدة والذين كان عندهم ذلك المسك إنما يشمون منه إلا القليل فقط. لذلك كان الحديث الذي سمعنا البارحة وأن أشدّ الناس بعدا عن العارف هم الأقرباء وأشدّ الناس محاربة هم الأقرب إليه وأشدّ الناس بعدا منه هم الأقرب إليه إلا القليل وقليل ما هم، والذين يقبلون عليه هم الذين أبعدهم الذين يسمعون منه ويحبون أمره كما قال صلّى الله عليه وسلّم « أنتم أصحابي وأولئك أحبائي قالوا نحن أصحابك قال أنتم أصحابي وأحبائي الذين لم يروني وأحبوني واتبعوني »¹، هذه سنّة الله سرّرت في هذا الكون، فالعارف تتضوّع بأنفاسه أرجاء المكان وتتضوّع بأنفاسه حتى الأرواح، حتى الأرواح تفرح وتعرّس وتتشط وتصد وتهبط إلى الصراط فرحا وتهليلا بالعارف لأنّه يذلّ الناس على الله ويحيي به الله تلك البلد أو بعض القلوب في ذلك البلد والرسول صلّى الله عليه وسلّم قال « عسى الله أن يفتح الله عليك برجل واحد يؤمن بك خير من الدنيا وما فيها » لماذا ؟ لأن إيمان واحد خير من آلاف أنها لا تؤمن بالله تبارك وتعالى ولذلك قال الحديث « لموت قبيلة أهون عند الله من موت عالم »²، لأنّ

¹ عن أنس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال « متى ألقى أصحابي متى ألقى أحبائي » فقال بعض الصحابة « أو ليس نحن أحبائك ؟ » قال « أنتم أصحابي، ولكن أحبائي قوم لم يروني وآمنوا بي أنا إليهم بالأشواق » السيوطي في جامع الأحاديث

² عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال « من خرج يريد علما يتعلمه فتح له باب الجنة وفرشته الملائكة أكنافها وصلّت عليه ملائكة السموات وحيّتان البحر وللعالم من الفضل على العابد كفضل القمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السماء إن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذ بالعلم فقد أخذ

العالم والعارف الكامل هو كالمطر تحي به الأرض وتحى به الأنفس وتحى به الأرواح وتكثر الأوقات، أمّا البلد التي ليس فيها عالم يكون الناس مثل الحيوان السائمة الهائمة على وجهها لا وجهة تقصد ولا مكان ترشد فيه وإنما هي تابعة بطنها وشهواتها أينما وجدت فيما تُرضي شهواتها وبطنها ترتع في ذلك المكان بدون عقل، أي عقل ربّاني يُهديها إلى الرشد وإلى الطريق المستقيم بخلاف عندما يكون العالم بين الناس والعارف بين الناس فإنه يُرشد ويُوَجِّه ويُبلِّغ وتتنشط به الأرواح وتنتعش به النفوس وتترقى به القلوب وتحى به الأرواح ويسير ذلك المكان كله يصدع بلا إله إلا الله محمد رسول الله وذلك هو المقصود من قول الله تبارك وتعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾¹ لأن رسالة الله لا تورث وإنما هي هبة من الله يجعلها هو حيث يشاء بحسب علمه وبحسب إرادته وقدرته لا باختيار الناس، قد يقول الإنسان، نحن نعلم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات وكان هناك سيّدنا علي وكان هناك أبناءه الحسن والحسين ولكنه أشار ورمز إلى من يخلفه وهو أبو بكر الصديق، وأن أبا بكر الصديق ليس من ولده ولا من عائلته ولكنه رجل صدّقه وآمن به وعرف العارف مرتبته من الله تبارك وتعالى فخصّه بما سيؤول إليه من خلال الإشارة والرموز، ومات أبا بكر الصديق ولم يجعل لا ولده عبد الرحمان ولا محمد أنهم ينوبونه ويكونان في مكانه لأنه ليست لهم مرتبة، المرتبة كانت لغيرهم وهو سيّدنا عمر بن الخطاب ومات سيّدنا عمر بن الخطاب وجعل مجلس الشورى وجعل بينه ابناه ولكنه فقط له الرأي لا يُخطئ فكان عثمان، مات عثمان فكان علي، فلما أرادوا الناس أن يجعلوا هذا الأمر إرثي وقعت الفتن وصارت الفتن وصار الناس يتحاربون ويتقاتلون على المناصب وعلى الولايات فوقع ما وقع من حروب ومن قتل، الخ ومن

بخطّ موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد وهو نجم طمس موت قبيلة أيسر من موت عالم « أبو يعلى، وابن عساکر، والطبراني، والبيهقي، والسيوطي في الجامع الكبير - ثلمة : خلل ونقصان

¹ سورة الأنعام الآية 124

انقسام في الأسرة الإسلامية بسبب أنهم أرادوا أن ينقلوا هذا السر عن طريق الوراثة لا عن طريق الهبة الإلهية لذلك قال الله ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ وكل شيء هو بمشيئة الله لا بمشيئتنا، الله لما يؤيد إنسان ويجعله في مكان، يكون له التأيد من الله ولو ناوئه كل العالم لابد ذلك أن يظهر لأن الله هو الذي أظهره بقوته وبقدرته وزوده بعلومه وإرشاداته فكان ذلك الشخص هو المؤهل للخلافة عن الله وذلك هذا هو الناس يخلطوا ما بين الدنيا وما بين الآخرة، أمور الآخرة هي مراتب أسرار وأمور الدنيا هي مراتب ظاهرة وشتانا ما بين المراتب الظاهرة وما بين المراتب الباطنة لأن الذي يعرف السر هو صاحب السر ولا غيره أما ما يدعون الناس من أن فلان وفلان هو هذا كله إنما إدعاء وليس منه مقصود فيه إخلاص لله تبارك وتعالى، ولذلك كثير من الناس الذين يتصدرون لأمر ليسوا مؤهلين لها إنما دائما تتألم الخيبة وتتألم الخسران ويطردون من تلك الحضرات وربما يفضحهم الله تبارك وتعالى على رؤوس الإشهاد بشيء يكون له وبأل عليهم مدى حياتهم، لذلك لابد أن نسلم لأهل الله ونعرف للناس حقوقهم وأقدارهم ونقول أن هذا ما شاء الله، وما شاء الله لا يمكن لأحد أن يغيره أو يبدله، إذا العارف في كل مكان هو رحمة وبركة أينما كان لأنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير مما طلعت عليه الشمس « **لأن يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت** »¹، والعارف لا يخاطب نفسه وإنما يخاطب غيره، العارف قد ينسى أبنائه وقد ينسى بناته وقد ينسى أهله ويهتم بالناس، يهتم بالغير، هذا هو دائما من شروط التبليغ ومن شروط الإقامة لرسالة الله ومن شروط العمل لله ومن شروط ابتغاء مرضات الله ودائما التضحية في سبيل الله والتضحية في ما أراد الله تبارك وتعالى، ذلك العارف هو رحمة وهو بركة وهو سر من أسرار الله واسم من أسماء الله ويعطيه الله تبارك وتعالى أكثر مما يتمنى على الله

¹ الطبراني، والحكيم عن أبي رافع، والسيوطي في جامع الأحاديث

فيعطيه الاسم الأعظم، ومع ذلك يستر نفسه ولا يقول ولا يدعي ولا يتظاهر وإنما يكون فرحه عندما يرى إنسانا اتقى الله وصار صالحا معه يراه في بيته يتحدث معه ويستأنسه، ذلك هو سمة العارفين والعارف هو فرحة وسرور وغبطة تحلّ وأمنٌ يحلّ في أي مكان حلّ فيه لذلك قال رسول اله صلى الله عليه وسلم « **تركت فيكم أمانان أمان ما بقيت فيكم فإذا قضيت بقي الاستغفار** » فما من أمة تحافظ على الاستغفار إلا والاستغفار لها أمان، وكيف تحافظ على الاستغفار من غير أن يكون بينها رجل مُهاب، من أن يكون رجل عالم أقامه الله في ذلك الأمر وأحبّه الناس وأقبلوا عليه وآزروه ونصروه وتعاونوا معه، ذلك يكون الأمن فإذا تشتت الناس وإذا كل واحد صار إلى نفسه إذا تحلّ نقمة ويحلّ العذاب في ذلك المكان وبأهله وربما حتى الصالحين يدخلون في ذلك الأمر لأنهم لم يقوموا ولم ينهضوا بالله رأوا ولم ينهضوا فيعاقبون بعقاب العوام، العارف هو رحمة حتى في اليوم الآخر حتى في الجنة هو الذي يشفع في أولئك الذين عبدوا الله بغيره، أولئك الذين لم يُهدوا ويهدوا بكليتهم لله أولئك الذين يُقال لهم ما عبدتني لذاتي وإنما عبدتني لغرضك يا عبد السوء، الذي يشفع فيهم وببركة العارفين يدخلون الجنة وينالوا الحُصوة التي ينالها المؤمنون في جنة الخلد، نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا إلى طريقه المستقيم وأن يعيننا على هذا الأمر وأن يجعل عمل الجميع هو عمل خالص من كل شائب لله تبارك و تعالى أمين إنّه على ما يشاء قدير والحمد لله رب العالمين

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

كما قلنا البارحة، إذا قال العارف بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيّدنا ومولانا محمّد فإنّ جميع أبواب الغيب كلّها تُفتح ويتكلّم مباشرة وبالوسائط، ولكن مباشرة من الحضرة الإلهية فيفهم كلّ واحد على حسب نظره وعلى حسب إقباله، هذا شيء عظيم سيّدنا سيدي محمّد الكبير، لأنّ الذي يظهر لنا ببركاتكم وبركة هذه

الأوقات الطيبة يعني نقول ما هو العارف وكيف هذا السر الأكبر في قدوتنا سيدي الحاج الحسن البعقلي رضي الله عنه وأرضاه وكيف هو متواصل، في أي صورة هو متواصل كيف كنا سمعنا عن الكرامات الكبرى والمراقبة العظمى وعن التصريفات الكونية وغيرها وغيرها، لكن كيف هذا السر الأكبر يتواصل الآن في ذريته وفي خلفائه وهو ظاهر من شدة قربه ومن شدة ظهوره، يعني ظاهر وخفي في نفس الوقت فإذا تفتن له الإنسان المقتدي المحب الصادق، الذي الله سبحانه وتعالى جعله صادقا وجعله سهما لرحمة الاستمداد ليس بنفسه إنما هي هبة وكرامة من الله ففتح الله سبحانه وتعالى قلبه وروحه وجميع مسامه شعرة شعرة إلى محبة ذلك العارف وذلك القدوة فإنه يتراءى له كل ذلك فيفوق بالسر فلو لا تثبيت الله سبحانه وتعالى له ولو لا تثبيت السند له لانهدمت أركانه بالكلية في لحظة واحدة لأنه يتراءى له ذلك السر الخفي أين هو السر في هذا العارف فهو يقول كلام كما يقوله العلماء على المنبر ويقول قال تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ولم يُظهر لنا كرامات حسية ولا تصريفات وربما نهانا مباشرة على حتى أقل قليل من الخطور، خطور عجب أو خطور فرح إنما يُزجنا مباشرة إلى حضرة الله لا يترك لنا أبدا أي ثغرة من هذه فيقول الإنسان كيف هذا العارف أين هو السر؟ وهذا هو عين السر إنما يأخذ بجميع قلبك وروحك و.. و..، ويضعك في حضرة الله سبحانه وتعالى استغراقا تاما مستغفرا حقيقة الاستغفار متوجها حقيقة التوجه معتقدا كلية الضعف والعجز والتقصير فهو حملك من ساعتك إلى مقام المعاينة الكبرى ولكن أنت لا ترى يعني أنت تحت جناحه طار بك وأسرع بك وفتح لك كل شيء وأنت تنتظر إلا ما ظهر لكن لا بد أن تحل بركته ولو بعد حين فيظهر لك شيئا فشيئا ما كان متخفيا في البداية، فالله نحمد والله نحمد والله نحمد على أن وجهنا إليكم وأن وجهكم إلينا بهذه المحبة وهذا الصفاء مع ضعفنا وعجزنا ولا ندعي شيئا أصلا لكن لما نرى هذه الكرامة الكبرى من محبتكم لنا نعلم

يقينا ما قاله سندنا رضي الله عنه قال « **قل لهم لا يخافون فإن الله أحبهم** » لا تكن هذه إلا من محبة الله سبحانه وتعالى ولا نرى هذا الكلام إلا الحقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأننا نجالسه معاينة هو يعني كلام رسول الله حرفا بحرف نفسا لو الإنسان يسمع شيئا من ذلك لراه عيانا يقولون كيف العارف يتكلم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قابلت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ما قال لك إلا هذا الكلام حرفا بحرف مع الإمداد ذاته ومع النفس ذاته ومع الإشارة ذاتها ومع ما أراد العارف أن يوصلك إليه لما يجمع قلبك يضعك في مكان ثم يتفتح لك ما نواه وما ذاقه يتفتح بعد ذلك فيك فيظهر ما هنا وما هنالك ببركته جازاكم الله عنا كل خير سيدي، الله يطيل في أعماركم، فعلا الله يطيل في أعماركم وأنفاسكم للأمة جمعا، حقيقة العارف يغرس الإيمان غرسا كما يغرس الناس الأرض، فالعارف يغرس الإيمان ويغرس المعرفة غرسا حقيقيا إنما أرضه هي القلوب التي سلّمت واستسلمت وشهدت بضعفها وعجزها واحترمت وعظمت ما عظمه الله سبحانه وتعالى من مراتب فعند ذلك كل الخير يأتيها والعكس بالعكس هذا حكمة الله سبحانه وتعالى إن شاء الله ما يكون إلا كل الخير ببركاتكم وأنفاسكم هذا يوم عظيم وأيام عظيمة جدّا، الله سبحانه وتعالى أمدنا بها ومنّ بها علينا ورضي الله عن أشياخنا جميعا ورضي الله عن سيدي الحاج محمد القمار ذلك الرجل كيف خرج من ذلك المكان، جبال بعقيلة وأهل سوس وأتى وصدّق شيخه وأشار إليه فبالوقت ترك الحانوت وترك الأموال، الفلوس في الحانوت في الدّرج وترك الأهل وترك الأب والأم و.. و.. وجاء وحيدا يعني إلى هذه البلاد وأخفى نفسه ولم يظهر حتى أظهره الله، سنين بين العلماء والمقدمين والعارفين وغير ذلك وهو كأيتها الناس سرّه في قلبه الله أعلم به ولكن ظاهره عبّد من عبيد الله يأكل ويشرب ويقضي الخ، حتى أبرزه الله فقام أتم القيام وضحّى أتم التضحية ولم يترك

نفسا واحدا يمرّ إلا في التعليم والإرشاد بحاله ومقاله ووقته وماله وداره وطعامه وكل ما أتاه الله من سره إلا وأفاضه إفاضة كاملة وطلب من الله أن يُعطي من كان معه أكثر مما أعطاه وكان غيبا مُغَيَّباً في ذات الله تعالى ولم يُتعبه سرّه أبدا حتى أظهر الله هؤلاء الأطفال الذين لم يدرسوا في الجامع ولم يدرسوا حديثا ولا قرآنا ولا علموا ما هي الشريعة ولا هو فقه ولا ما هو مقاصد ولم يفهموا شيء فتبرّك بهم وفرح بقدمهم ورآهم ضيوفا من الرحمان ورآهم وفدا من شيخه وتجرّد لهم ثانية وبدأ مرحلة جديدة شيئا فشيئا حتى أصبح الكل يتولّه وعرف ما عرف من هذا الشيخ العظيم سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعرف ما عرف من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن حقوق أهل البيت وما معنى الاستغفار وما معنى الصلاة على رسول الله وما معنى لا إله إلا الله وكيف يكون العبد عبدا وعرفوا هذا الرجل سيدي الحاج الحسن البعقلي وكتاباته وبدءوا يقرؤون الكتابات لا يفهمون شيء ثم فتح الله، كلام عربية يعني إذا أخذته عربية لا تفهم منه شيء ثم فتح الله ببركته فصار يقرأ ويفهم ويأتي العالم المحنّك لا يفهم فيه سطرًا واحدا فيتعجب وظهرت عراجين التجريد ثم ظهرت الأنفاس حتى وجّهنا إليكم ووجهنا هذا التوجه الكامل حتى في آخر لحظة وهو على فراش الموت وهو يُرَبِّي لم تفت له لحظة واحد إلا وهو يربي أبدا على كبر سنّه وتعبه وكان يعطي لكل ذي حقّ حقّه فيذهب إلى المنزل فيعطي حق الزوجة والأولاد ويأتي معي إلى أن يأتي حقي وحق الفقراء ويذهب إلى الزاوية لكي لا تقوته وظيفة واحدة في الزاوية ويصلي جماعة و.. و..، رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين اللهم يا رب أرضي عنا أولنا وآخرنا وجازي أنت بما أنت أهله نحن نعجز ونعجز ونعجز عن ذلك، الله يجعلنا معه ومع أولاده وذرياته أبد الأبدين ومعكم ومع أولادكم أبد الأبدين يا رب العالمين يا رب العالمين، واسمح لي سيدنا محبة فيكم رضي الله عنكم وأرضاكم.

بقدر الصدق تصحح الأعمال وبقدر أيضا العمل، لأن الإنسان كلّ ما يقول شيئا كل كلمة تصدر عنه لا بد أن تُعَصَّد بالعمل الذي يجسم الكدّ وهؤلاء الناس قالوا بأفواههم وعملوا بجوارحهم ليكونوا قدوة لغيرهم لأنّ الله تبارك وتعالى يجعل لنا الأنبياء ليُقتدى بهم ويُهتدى بهم وكذلك العلماء لنقتدى بهم ونهتدي بهم، إذا سِرْنَا معهم وأحسنّا الظن بهم وأردنا أن نتعلم عليهم بصدق ونية خالصة صادقة، يبارك الله تبارك وتعالى في تلك النيات ويوسّع الأعمال ويحقق مقصود ذلك الشخص الذي نوى وقصد وصدق يبارك الله فيه فيصير من المقربين من المحبوبين من العلماء من العارفين بمضغة فقط مضغة الصدق، كثير من جلس مع العارف ولكن لم يستفيد منه كثير من جالسه وسافر معه وصاحبه ولكن لم يستفيد منه شيئا أبدا لماذا لأنه كان ذلك كله على سبيل التجربة منه فقط فلم ينفعه ذلك ومنهم من جالسه لحظة واحدة وكانت بركتهم عمّت كل قلبه وجسمه وروحه وصار من العارفين في لحظة واحدة في نفس واحد إنّما هو الأمر هو الصدق وحسن النية وأن يكون الإنسان أن يجرد نفسه من الأغيار ومما يشوّش عليه ويندفع نحو هدفه لأجل الوصول، والوصول عندنا هو وصول المعرفة وليس وصول لأي شيء آخر إلا ما كتب الله تبارك وتعالى، وتطوى له المسافات وتقتصر له الطريق ويصير الإنسان عارفا برّبّه في لحظة، وهناك من يجالس السنوات والأعوام والدقائق والساعات ولكنه مرآة قلبه بقيت مغمسة مرآة بقيت معتمة آت عليها الأوساخ والرطوبة لم تُجلى عليها تلك الأوساخ ولم تُصقل لذلك بقي دائما هكذا على عتمته ولم ينتفع به لأنه لم يصدقه ولم يقصده الله بل قصده لنفسه وقصده لأغراضه فقد ينال أغراضه الدنيوية ولكن لا ينال الأغراض التي هي منها الأغراض الأخروية فسبحان الذي _____، فكل شيء يرجع إلى الصدق وكل خسران يرجع إلى الشك وإلى الرياء وإلى عدم اطمئنان النفس سيما في أمور التي هي أمور

أخرويّة محضة فنجتمع على الله ونفترق على الله ونتحاب في الله ونتواد في الله ونتزاوروا في الله ونقطعوا المسافات في الله وننفقوا في الله هذا هو العمل الذي يريده الله من جميع مخلوقاته حسن الظن بالله وحسن الظن بعباده، العمل من أجل تبليغ رسالة الله، الصدق في أموره ومن لم يستطع أن يعمل هذا يبقى دائما حيران كالتائه الذي دخل في الشبكة من الطرقات وليس فيها معالم تهديه فبقى ضائعا طول حياته حتى ينقضه عارفا ما، فإذا أنقضه عارف إذا تخلص من كل شيء وإذا لم ينقضه يبقى في تيهانه وضلاله إلى ما شاء الله وذلك ما نقوله للناس، يا إخوة مالكم نحن نعبد الله فقط، هذا الناس الذين سبقونا ما قالوا لكم وعلموكم حتى وضعوا كل شيء رهن إشارتكم، كل وسيلة تبلغكم للغاية المقصودة منكم إلا وضعوها تعلموهما فعلموا قرؤوا فأقرؤوا بنوا المساجد من أجل أن تكون وسيلة للعمل الصالح سهروا أوقاتهم كلها في الإنشاء وفي التبليغ وفي النصح لعباد الله إذا ماذا بقي لكم أنتم؟ فقط أن تقولوا آمنة وصدقنا هذه كلها وسائل مهينة لكم هذا العلم، هذه الكتب، هذه المساجد، هذه الميضآت أين تتوضئون فيها، هذا الماء، هذا الضوء الذي ينير، هذه الزرابي، هذه الأرائك، هذه المصاحف، إذا فقط من نتعاون من أجل أن نعبد الله ونقول بلسان واحد لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يُزيل من قلوبنا ما يبعدنا عن الله من أحقاد ونفوس وغايات وضغينة وحسد ونسلم أمرنا لله تبارك وتعالى، فلماذا النفور ولماذا اللجأ ولماذا الخصام، ولماذا على أي شيء، لو كانت عندنا دنيا نقول متخاصمين عليها ولو كانت عندنا أموال نقول الأموال هي السبب، لو كانت عندنا عمارات نقول العمارات هي السبب، نحن ما لنا سوى لا إله إلا الله، نحن نجتمع على الله ونتفرق على الله فقط، فلماذا هي النفوس؟ ماذا يريد هؤلاء الناس؟ لا شيء، لكن نتحاسب في أمور الله ونتمرد ونخلق الفتن ونعمل الأصحاب كل واحد يعمل كتلة وهذا يعمل كتلة الذي قال فيها الله تبارك وتعالى ﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾

فَتَقَشَّلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ ﴿١﴾¹، فالناس أوجدوا كل شيء، لم يتركوا لك أي شيء، اذهب لدنياك، عندما أقل لك أعطني من عملك، من منتج عملك، أو انفق عليّ كذا من المال أو اشتري لي كذا، يمكن القول في هذه الحالة هذا أمر آخر، لكن نحن نجتمع على الله ونفترق على الله، الحمد لله الزوايا التي هي تابعة لنا، الحمد لله هي مجردة من جميع الحظوظ الدنيوية ليس بها أي شيء ولا نقطة واحدة، نجد الإمام يصلي، يصلي لله، المؤذن يؤذن لله، الذي يدفع النقود لإصلاح الإضاءة لله، الذي يسهر على إصلاح لله، العالم الذي يُدرّس، يُدرّس لله، الخطيب الذي يخطب، يخطب لله، لا شيء أبداً، ليس بها أي شيء خارج عن ..، في أي نفس، ليس لنا صناديق كما يُعمل في زوايا أخرى، ليس لنا علامات، لا يوجد فيها القبور، الحمد لله، هذا كلّهُ حتى نبتعد عن جميع الشبهات، ليس هناك صندوق حتى نتخاصم عليه، من الذي يفتح وكيف يقع الحساب عليه؟ والأمور قائمة بالله، وكذلك بأهل الله الذين هم مُتخفّون ويعملوا لله تبارك وتعالى، ولا يعرفهم أحداً، يعملوا هذا العمل لأنه عمل لله، ومع ذلك هذا العمل كان نجد فيه الأنانية والنفوس والأغراض ولا شيء مع أنّ الذي هو الأهم عند الناس هو الدنيا، أما الآخرة نحن قلنا لا إله إلا الله محمد رسول الله، نحن وجدنا من يُريحنا والذي يصلي بنا والذي يذكر بنا والذي يفتح لنا الزاوية ويُغلقها فهو أراحنا، نحن مُرتاحون من المسؤولية، لو ذهب عنا المؤذن الذي هو متطوع، سنبحث عن مؤذن آخر وكيف سنجده؟ وإذا ذهب عنا الذي يفتح الزاوية من الذي سيسدّ مكانه؟ هذه كلها تطوعات والحمد لله، ومع ذلك نجد "أنا أحسن من هذا" و"أنا ابن فلان وهذا ابن فلان" نحن لسنا ابن فلان ولا ابن فلان، الله هو الذي ينزل الإنسان حيث يشاء لا نحن، وإلاّ أصبحنا نشارك الله في أمره وفي إرادته، ولا نرضى بأمر الله، الله هو الذي أراد، هو الذي خلقنا، وهو الذي يعرفنا، وهو يفعل ما يشاء

بنا، وهو أعلم بالصالح لنا وما هو صلاح لنا، هؤلاء الناس الذين أرادوا هذه المراتب وزادوا عليها وفضحهم الله، فُضحوا بزلات كبيرة، لأن الذي يستره الله ستره والذي لا يستره الله دائما معرض للفضيحة، الناس يلاحظون مثلا الإمام في صلاته، لأن الذي يصلّي بمفرده يفعل ما يشاء، ولكن الإمام يلاحظون فيه الصغيرة والكبيرة، كيف يثني الركبة، كيف يركع، كيف يسجد، كيف يلتفت، كيف يجلس، لأنهم يطبقون عليه الفرض والسنة والمستحب وكل شيء عندما يخطئ في مستحب يتكلمون فيه، فهو عرضة للسهام وهو عمل صعب ليس بالسهل، والذي ليست له قوّة العلم وقوّة المعرفة، كيف يمكن له أن يدخل في وسط الناس، إذا سألك الناس عن فريضة ماذا تفعل، وإذا قالوا لك في الصلاة عندي كذا وكذا يا شيخ وأنت ليس لك علم بهذا الشيء، ماذا تفعل؟ وإذا قال لك هذا القرآن هذه الآية هل هذا الكلام من القرآن أو لا، ماذا ستفعل؟ فلا بد لهم أن يجمع الله لهم بين علم الشريعة وعلم الحقيقة لابد أن يكون عنده الإثنتين حتى يُنزل كل شيء في منزلته، فيستفيد منه الصغير والكبير والشاب والعالم والعامي، كل بحسب ما يراه هو في وقته، لذلك هذه الأمور هي ليست بالأمور السهلة، صعبة جدا، التصدر لهذا الأمر ليس كل إنسان يقدر أن يتصدر، وإلا من تصدّر له بغير إذا لا يُعان عليه، والذي فقد الإعانة من الله ماذا فقد؟ فقد كل شيء، الذي ليس له الإعانة من الله لا يمكن لأي أن يُعيّنه أبدا، أبدا. لذلك نسأل الله تبارك وتعالى الإخوان جميعا أن يجمعوا قلوبهم، ويجمعوا أنفسهم، وفي شغلهم الديني وعلى الذي أعانهم على ذلك الأمر يعظّمونه ويسيروا أمامه ويفرحوا به ويقولوا بأن هذا فرحنا بالله، فرحنا فرح بالله، وفي مسائل الدنيا كل إنسان يعرف كيف يتصرف في دنياه، هذا في السوق، هذا في الوظيفة، هذا هنا، هذا هناك، هذه مسائل أخرى لا يتدخّل بها، إذا سألته على أمر الدنيا لا يُريد أن يسمع منك، إذا سألته على أمر الآخرة يقل لك بسم الله سوف نرى إذا علمنا شيئا سوف نقوله لك وإلا سوف

أبحث في الكتب ونخبرك بها وإلا نقل لك لا ندري وأذهب في البحث عنها، لكن أمور الدنيا كل واحد يعلم ما يعلم، « أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِدُنْيَاكُمْ »¹، والدنيا كل واحد يعمل ولكن نتلاقى في الخير وفي الإكرام وفي الفرح مع بعضنا البعض وأمّا الباقي كلُّ له خصوصياته، لا يتدخّل هذا في هذا ولا هذا في هذا، نعم نسأل بعضنا البعض ونسأل عن بعضنا البعض، ونُعِين بعضنا البعض، ونقوم مع بعضنا، المريض نذهب لزيارته، والمحتاج نعيّنه، هذا واجب علينا، حقوق المسلمين، هذا حق من حقوق المسلمين، لكن التطاول على المراتب إلا لمن لم يُوفّق في دنياه وفي دينه.

نسأل الله أن يكون هذا الاجتماع معكم هذا يكون إن شاء الله فاتحة خير وبركة وإطفاء تأجج النفوس وإطفائها بالماء والبرد والثلج حتى ما يبقى شيء أبداً إلا النبض بلا إله إلا الله وبكلام الله وبكلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يُوسّع الدائرة ويجعل الزوايا في كل مكان ويزيد يكثر العلماء والعارفين سيما في هذه الإيالة التونسية الحمد لله أغلب الناس علماء أغلب الناس بمراتبهم بحولنا الآن أغلب الناس علماء عندهم شهادات، فالحمد لله موجودة البذرة، لكن للسقي، كيف يسقي وكيف يغرس الإنسان وكيف يتمشى الأمر حتى تكون الفلاحة إن شاء الله وتخضرّ وتعطي الثمرة والغلة تكون لنا، وتدّخر لنا عند الله تبارك وتعالى آمين، آمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد.

¹ رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

رضي الله عنه إلى تونس



اليوم السابع

الأربعاء 29 رجب 1430

القرص - 1 -

لقاء مع مجموعة من

الفقراء بتونس

في منزل الفقير

محمد حازم النيفر

بعد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستماع لمجموعة من الصغار من أبناء الفقراء يتلون القرآن العظيم توجه سيدي الحاج محمد الكبير بهذه الكلمة

سيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه

كاد المعلم أن يكون رسولا. قال صلى الله عليه وسلم « **الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَن مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرًا لِلَّهِ** »¹، وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « **هَذِهِ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا** »²، هذا ما في الدنيا من حسن والباقي كله منسي. الحديث ذكر الله، والتعليم ذكر الله والقرآن ذكر الله والاجتماع على طاعة الله ذكر الله والتصافي ذكر الله والأخوة ذكر الله وكل ما يذكرنا بالله فهو ذكر الله سواء كان باللسان أو بالقلب أو بالجوارح، والمؤمن لا يفتر عن ذكر الله إما بلسانه أو بقلبه أو بجوارحه أو بفكره والله الحمد. والدنيا بخير ومن قال هلك الناس فهو أهلكهم « **إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلْكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ** »³، يقول صلى الله عليه وسلم « **الخير فيّ وفي أمّتي إلى قيام الساعة** » الحمد لله. وبلاد المغرب، والحمد لله، يبقى محفوظ ما دام الناس حافظون القرآن، فهذه البلاد تبقى محفوظة. فالיום الناس الذين يحاربون القرآن ويحاربون القراءة الجماعية للقرآن ويحاربون المدائح يحدث لهم بسبب ذلك ما يحدث. ولكن الحمد لله بلاد الغرب محفوظ حتى من الدجال فلا يسلكها ولا يؤمن به أحد من أهلها وهذا من كرامة أهل المغرب. حتى أنهم نسبوا أحاديث في حق المغرب كقوله صلى الله عليه وسلم « **لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم** »⁴، وهم بالمغرب، ونقصد بالمغرب، بكل المنطقة الساحلية. لذلك يجب على الناس أن يحرصوا على

¹ السيوطي في الجامع الصغير

² السيوطي في الجامع الصغير عن أبي هريرة

³ أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبا هريرة

⁴ السيوطي في الجامع الصغير عن عمر ابن الخطاب

القرآن وعلى تعليمه، وتحفيظه لأولادهم منذ الصغر حتى لا يشبوا على الطوق فلا يجد له سبيلا لنهيمهم أو لتعليمهم لأنّ الطفل مادام صغيرا دون سن الثانية عشر يمكنك أن تطوعه كما تشاء مثل العجين ولكن إذا تجاوزوا سنّ الثانية عشر لم يعد للوالدين عليهم سلطة فيصبحون أولاد المدرسة والمجتمع والمقاهي. لذلك يجب على كل واحد أن يحرص على ابنه مادام صغيرا أن يضغط عليه مادام يستجيب له فيحفظه ما تيسر حتى يرفع المسؤولية عنه أمام الله. لأنّ أبناءنا اليوم ليسوا أبناءنا إذا لم نربهم صغارا.

كان هناك سائق تاكسي ركبت معه مرة فبقينا نتحدث قال لي ان عنده ولدا في المدرسة، مدرسة حكومية، فأرسلت المدرسة في طلبه لتتجاوز معه حول الولد، فلما ذهب هذا السائق إلى المدرسة قالت له المعلمة أن ابنه سيطرده من المدرسة لأنه مشاغب ولا يعتني بالدراسة قال لها أين سيطرده فقلت يخرج من المدرسة فقال لها نعم إذا كان سيخرج من المدرسة ويأتي إلى المجتمع الذي كنت قد عشت انا فيه فأنا أريده أن يخرج من المدرسة ولكن إذا كان سيخرج من المدرسة ليذهب إلى هذا المجتمع الموجود اليوم فأنا لا أريده أن يخرج من المدرسة ولا أريده هو نفسه. فقالت له كيف ذلك فقال في زمننا كان الآباء يعلمون والجار يعلم وصاحب الحانوت يعلم والزقاق يعلم والشارع يعلم أما الآن فإذا خرج من المدرسة ذهب إلى المقاهي للعب الورق وما شاكل ذلك من مظاهر اللهو والفساد.

لذلك أقول للناس الآن حاولوا مع أبنائكم الصغار ما دتم تستعطون التحكم فيهم ولو معنويا تعلمونهم شيئا من القرآن وتذكرونهم بالأمجاد على الأقل إذا شب عن الطوق يبقى فيه شعرة من الحياء . فتبقى شعرة الحياء تلك تجذبه دائما إلى أصله وإلى وكره وأما الكيفية الموجودة اليوم فأبناؤنا لم نعد نتحكم فيهم فبمجرد بلوغه سن

الثانية عشر يدخل المرحلة الإعدادية فلم يعد أبناك بل أصبح أبنا المدرسة وأبنا الزقاق الأنترنات ولم تعد فيه رائحة البنوة لك فلا تستطيع التحدث معه ولا الجلوس إليه لأنه إما في المدرسة أو في الزقاق أو أمام التلفزة أو في الأنترنات فلا يبقى لك خيط يربطك به إلا الأكل والشرب واللباس وتلبيتك لرغباته رغما عنك لذلك يحاول الفرد أن ينبت نبتة تترحم عليه.

صادف أن كان لي ابن خالة، كنت أقله معي في السيارة وكان له أولاد درسوا في المدارس دراسة حديثة لكن لم يدرسوا القرآن ولم يحفظوا منه شيئاً فقلت له إنني اتفكر في أحوال هذا الوقت الذي ترى فعلينا أن نترك أولادا يقرؤون علينا سورة يس عندما نموت. ومرت الأيام وذكرني بهذه القولة في مرض موته رحمه الله.

هذا هو الواقع لذلك فالغرس في البداية في أول الأمر حتى ينبت النبات شيئاً فشيئاً حتى إذا اعوج فإنه لا بد أن يعود إلى الإستقامة ولكن إذا اعوج ولم نكن قد اعتنينا به من الأول كأن ندخله في سن مبكرة، سنة أو سنة ونصف إلى مدرسة خاصة فتقوم بفرنسته وتسلب عقله وتفصله عن مجتمعه فتصبح له عقلية فرنسية نتكلم معه في البيت بالفرنسية، وعندما يكبر يتصلب على ما تعلم.

أخبركم عن أحد السادة الفقراء كان من المتفرنسين لكن رده الله إلى الخير عنده إبنان في سن السادسة والسابعة فسألت إحداهن "ما اسمك؟" فلم تفهم السؤال ولم تستطع الإجابة. هؤلاء الناس المسلمين أليسوا مغاربة فكيف يكون هذا الأمر وماذا نريد أن ننتج من هؤلاء الناس؟ لا ننتج منهم شيئاً، لذلك يجب أن نحرص على أبنائنا كما كان آباؤنا يحرص على تربيتنا تربية إسلامية سليمة، وهذا الجيل الكائن الآن سواء في تونس أو الجزائر أو المغرب منهم الأساتذة المبرزون ومنهم آخرون حتى في ال"نازا" (وكالة علم الفضاء الأمريكية) كلهم درسوا في مدارس حكومية والحمد لله

قد برزوا وتميزوا، فهناك أشخاص يدخل أبنه منذ بلوغه سنة من عمره إلى المدارس الخاصة فتعلمه الفرنسية فلا تحيي فيه إلا حب المستعمر ن لأن الإنسان إذا سلبته عقله فإنك تستطيع أن تسلبه كل شيء. فإذا سلب ماله يستطيع إرجاعه وإذا جرح يشفى من جرحه لكن إذا سلبت منه عقله وقلبه فإنه لا يستطيع أن يرجعه عمره وهو ما نحن سائرون فيه.

لذلك يجب علينا تجاه أولادنا على الأقل في تلك السن المبكرة أن نحاول أن نقرّبهم منا فنأخذهم معنا إلى المسجد وندمجه مع رفقة صالحة مثل هؤلاء ونهدي لهم الهدايا ونفرحهم فيبقى على الأقل شيء من التواصل بيننا فيبقى، على الأقل، يناديك يا أبي في أدنى الأحوال ولا يناديك بلقب آخر ويقول أمي ولا يقول شيء آخر. والحمد لله على هذا النشء اللذين رأيتهم الآن فإذا بقي على هذه الكيفية ويبقى يلقي هذه العناية والتربية يكون الانسان قد جمع بين الحُسْنَيْنِ الدنيا والآخرة. أما إذا القينا أبناءنا في النيران والأفران فإنهم لا يخرجون منها ولا نستطيع حيالهم شيئاً.

وللأسف فإننا ندخل اليوم بيوت تساوي مليارين أو ثلاث مليارات ولكن لا تجد فيها مصحفاً ولا كتاباً وتبحث عن شيء يؤنسك فلا تجد، ولكن تجد الأنترنات وتجد التلفاز وتجد جموع صنوف الملاهي وتجد الكتب التي تسلب العقول المتعلقة بالدراسة العصرية ولكن تبحث فيها ولو عن كتاب صغير في الدين أو مصحف فإنكم لا تجد وهذا يسمى الإستلاب¹ بل إن أهلها لا يعرفون حتى إتجاه القبلة. ذهبت مرة لأحد الأشخاص في فاس عنده مناسبة وكانت تربطني به صلة مصاهرة وجدت شخصين من العائلة من الدار البيضاء ولما دخلت قالوا لي أردنا الصلوات لكن لم نعرف القبلة فقلت صاحب الدار لا يعرف القبلة قالوا نعم لا يعرف القبلة وزوجته نعم هي أيضاً

¹ الاستلاب : الخطف

لا تعرف القبلة وهذا الرجل أبناؤه كبار السن، فتعجبت كيف لا يعرفون القبلة وحتى الرجلين الذين يسألاني لا يعرفون الدليل على تحديد القبلة ولا يستطيعون تحديدها بدون دليل. وهذا هو الجهل السائد الآن، ويحز في أنفسنا هذا الأمر صاحب البيت الفخم لا يعرف القبلة وزوجته كذلك والذي يصلي لا يعرف الدليل الذي يدل على القبلة ولا يجد من يدلّه وعليه فقد أصبح الدين تقليدا لا غير مقلدون فقط، في حين أنّ أمور الدين يجب أن تكون منذ الصغر، كانت والدتنا أيام صغرنا تصعد بنا إلى سطح البيت وتقول لنا إذا كان القمر هنا ليلة الرابع عشر فالقبلة من هذه الناحية وإذا كانت الشمس من هنا فإن القبلة تكون من ذا الإتجاه وهذه النجمة إذا رأيتها هنا تكون القبلة في هذا الإتجاه، هذه الوالدة التي لم تكن متعلمة وقد تعلمنا الكثير بهذه الطريقة لم نكن نصلي في صغرنا ولكننا كنا نعرف وعند الحاجة وجدنا عندنا ذلك العلم. الانسان لا يعرف دليلا على القبلة كيف يكون ذلك، فيجب على المسلم إذا جنّ عليه الليل أن يعرف الدليل على القبلة من النجوم وكذلك في النهار يجب عليه أن يعرف الدليل على القبلة كذلك إذا كان في البحر يجب أن تكون عارفا بأدلة تقريبية وليس الدليل الكامل، كل هذه الأمور كانت تُعلّم منذ الصغر يعلمونها أولئك الناس الذين كان أغلبهم أميون مع ذلك كانوا فقهاء وكانوا علماء ويخافون الله والآن الناس المتعلمين كثر ولكنهم جهلة لأن من جهل أصله فهو الجاهل وإن كان يعرف العلم كلها يبقى جاهلا يأكل الخبز ويتمتع بالنعيم ولكنه يجهل المنعم ولا يعرف حق المنعم، لذلك هذه المسائل يجب أن تدخل في ثقافة كل واحد نأخذ أبناءنا نعلمهم ما هي القبلة أين توجد وما هو الدليل الذي نعرف به إتجاه القبلة.

خرجت مرة من العمل فالتقيت بشخص أعرفه أخذني معه في سيارته المرسيديس فطلب مني أن أذهب معه إلى البادية لملاقة أحد الأشخاص فقلت له على بركة الله وذهبنا فعلا للبادية وصلنا إلى فلاح كبير فدخلنا إلى منزله وكان له حصن كبير

فأدخلنا إلى القبّة وهي قاعة جلوس عادة ما تكون لها قبّة لذلك نسميها قبّة دخلنا القبّة وأغلق علينا الباب وأردنا صلاة الظهر فلم نستطع تحديد القبلة في غرفة مغلقة ولا نستطيع الخروج من الغرفة للسؤال لأن من عاداتنا عدم خروج الضيف إلى الحريم إلا بإذن الزوج فانتظرناه حتى قدم علينا رجل له عمامة لحيته إلى نصف صدره طويل ضخم الجثة قلنا له نريد صلاة الظهر فأرنا القبلة وكان هذا الرجل من حجوا إلى البيت فنظر إلى الاتجاه الأول ثم نظر إلى الاتجاه الثاني ثم الثالث ثم الرابع ثم قال صلي في أي اتجاه أردته فكان ذلك السيد الذي اصطحبني معه وكان رجلا كريما أتردد عليه كثيرا كلما رأني أضحك وحدي قال لي تذكرت تلك القضية.

هؤلاء الناس طعامهم حرام ومعرفتهم حرام والدخول إلى بيتهم حرام وكل شيء معهم حرام. علينا أن نعرف هذه المسائل التي تظهر على أنها بسيطة ولكنها أساس في الدين من لا يعرف اتجاه القبلة كيف يؤدي صلاته لا يصلي وإن صلى الدهر كله فلا شيء له لكن يجب أن نعرف ما هي القبلة وكيف هي وأين تجد على الأقل نعرف دليلا بسيط على اتجاهها إذا كنا في النهار كيف نعرف القبلة أو في الليل أو في البحر على الأقل بشكل تقريبي وهذه الأمور تعلم للصغار لأن الأطفال يسجلون كل شيء في أذهانهم أنت تقوله وهو يسجل وهذه الأمور يجب الإعتناء بها ولكن هذه العادات غابت لا سيما عند المتخرجين من المدارس الخاصة لأنها تمسيحية تُقرن الناس وتمسحهم حيث أن المتخرجين منهم يمكن انك إذا قلت لأحدهم لا اله إلا الله لا يعرف قولها أو نطقها وقد يقولها بلكنة أعجمية لذلك فهذا الشيء الذي أنجزتموه مع هؤلاء الأطفال يجزيكم الله عليه خيرا هو من صميم الدين ومن صميم الرسالة النبوية ومن صميم التبليغ ويحرص عليه ويسأل عنه عند الله تبارك وتعالى عن علمه ماذا عمل به، عن أي علم ليس بالضرورة أن يكون عنده كتب أي شيء بُلغ للإنسان وعرفه أصبح عنده العلم ولا ينتضر حتى يقرأ الكتب ويتحصل على

الشهادات ويسأل عن تلك المعرفة « كلمة خير يسمعها الرجل ويُبلغها خير من صلاة مائة ركعة » وفي رواية خير من مائتي ركعة، وهذا حرص منه صلى الله عليه وسلم على التبليغ والتبليغ أعظم عبادة، إذا صليت فقد صليت لنفسك وإذا بلغت فقد بلغت لغيرك فتكون قد سقيت وبعثت الحياة، سقيت أرضا وأنبتت نباتا بكلمة خير وإذا صليت يمكن أن تقبل تلك الصلاة ويمكن ان لا تقبل أما كلمة الخير فينتفع بها الناس وينتفع بها غيره وهذا يبلغها لهذا وهكذا.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقيلي رضي الله عنه إلى
تونس



اليوم السابع

الأربعاء 29 رجب 1430

القرص - 2 -

لقاء مع مجموعة من

الفقراء بتونس

في منزل الفقيرة هادية
القرماسي

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الفقير عبد اللطيف الزرقي

سيّدي نحن تلاميذ نتعلّم منكم ومن سيّدي الحاج الحبيب ونرشف العلم من الماء الذي يقطر من أصابعكم ...

سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

هنالك ناس إن تكلموا فبكلّامهم نعرفهم إن بقي الفم مغلقا، يظلّ القلب مغلقا

الفقير عبد اللطيف الزرقي

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليما، كيف لمثلي أن يتكلّم في مثل هذا المجلس، ولكن "إذا قدّموك فتقدّم" على قول سيّدنا ومولانا الحاج الأحسن البعقلي، نحن فرحون جدّا بما نحن فيه الآن، وكما قلنا سابقا إنّها نفحة من نفحات ربّي سبحانه وتعالى ساقت هذا الرّجل العظيم إلينا لنتمتّع بوجهه وبطلعته، وإنّا بصدق وجلون فرحون بهذه الطّلة البهيّة، إنّنا نرى فيكم جميع سنّنا، من سيّدنا الحاج الحبيب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ما وقر في قلوبنا من تعظيمكم قد وقر في قلوب جميع إخواننا، نسأله سبحانه وتعالى أن يألّف بكم القلوب وأن يجمع عليكم القلوب، وأن يجعلكم منارة للإسلام والمسلمين، وأن يجعل أمّة رسول الله تدخل الطّريقة التّجانيّة جميعا على أيديكم، ولا نستطيع أن نقول أكثر من ذلك سيّدي ومولاي ...

سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم، بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيمِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ

العليم الحكيم، سبحانه لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال الله تبارك وتعالى ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾¹، نحن جميع مخلوقات الله من إنس وجان وكل ما خلق الله تبارك وتعالى هو في حكم الله وفي قبضته، لا يخرج أحدٌ عما سطره الله وقدره له في أزله، وهذا شيء مفروغ منه لأننا نحن نعتقد جميعاً في إله واحد، ورب واحد، ومقدّر واحد، وباسط يده على الكلّ، وهذا من إعتقادنا ومن التّوحيد الذي هو شريعتنا، وما يجب علينا أن نقرّه في أنفسنا ونعتقده بقلوبنا ونعزم عليه من غير شكٍّ ولا ريبٍ وذلك هو الإيمان، الإيمان بالله هو أن نصدّق بما جاء به رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وبما جاءت به الشرائع كلّها، قبل ظهور رسول صلّى الله عليه وسلّم في العالمين، كلّ الشرائع جاءت بكلمة واحدة، ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾²، عبادة الله والتّوحيد، وتوحيده وعدم الإِشراك به شيئاً هو المضمّن لكلمة التّوحيد التي بها خلق الله السّموات والأرض، كلمة التّوحيد كلمة لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، لا إله إلاّ الله، هنا نفني ونثبت، نفني أنّ لا إله أو من جنس إله يُعبد أو يُقصد أو يُحب إلاّ الله، الله الواحد الأحد المتفرّد بالألوهيّة، المتّصف بالرّبوبيّة، ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾³، هذا الإعتقاد هو الذي انضمّ إليه جميع من شهد الله بالألوهيّة وللأنبياء بالرّسالة ولرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم بالنبوة والرّسالة والتبليغ عن الله، « لا إله إلاّ الله حصني ومن دخل حصني أمن عذابي »⁴، « لا إله إلاّ الله مفتاح الجنّة »⁵، « ومن مات على لا إله إلاّ الله

1 سورة التوبة الآية 105

2 سورة النساء الآية 36

3 سورة البقرة الآية 163

4 عن عليّ رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال حدثني جبريل فقال يقول الله تعال ... ابن عساكر

5 قيل لوهب بن منبّه: أليس لا إله إلاّ الله مفتاح الجنّة؟ قال: « بلى، ولكن ليس مفتاح إلاّ له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتّح لك، وإلا لم يفتح لك » أخرجه البخاري في باب ما جاء في الجنائز

دخل الجنة ¹، ولا يعذب ولا يموت أحد من أمة رسول الله بذنوب ما دام يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له²، وهذا الذي يجمعنا، أورد الطريق، أورد الطريق مبنية على أركان ثلاثة، أو أورد ثلاثة، بُني على الورد والوظيفة وهيللة يوم الجمعة، وكل من الأورد هذه ضمنتها ذكر "لا إله إلا الله"، "لا إله إلا الله" هي التي تُدخل إلى الإيمان وتُدخل إلى الإسلام وتُدخل إلى الجنة، وبدونها وبدون اعتقادها ولو عمل المرء ما عمل فلا ينفعه ذلك ويُعتبر خارجاً عن الملة الإسلامية، فـ"لا إله إلا الله" في طريقتنا هي نكر بعد "لا إله إلا الله" التي شهدنا وأقرنا بها وعلمنا منها أن "لا إله إلا الله" الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ثم بعد ذلك صارت ذكراً من الإنكار، من عود نفسه عليها واستمر عليها إلى الممات، لا يموت وعليه ذنب أصلاً، "لا إله إلا الله" لها مقتضى ومقتضاها العمل، العمل بشرع الله، العمل بسنة رسول الله، العمل الدائم المستمر على طاعة الله، ونحن نرددها في أوردنا جميعها لأجل أن تتنور قلوبنا بها وترتاح نفوسنا بذكرها، ونستشعر منها أننا ثابتون ومصممون على إسلامنا وعلى إيماننا وعلى اعتقادنا السليم الجازم بوحداية الله وبربوبيته وبشريعته التي جاء بها رسوله صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله مفتاح الجنة »³، لا إله إلا الله مفتاح الجنة، لا إله إلا الله

¹ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاد الناقة لى جبريل فلما أسهلت التفت إلى فقال أبشر وبشر أمتك أنه من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة فضحكت وكبرت ربي ثم سار رتوة ثم التفت إلى فقال أبشر وبشر أمتك أنه من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة وقد حرم الله عليه النار فضحكت وكبرت ربي وفرحت بذلك لأمت. أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن عساکر عن أنس، والسيوطي في جامع الأحاديث

² أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله صدقاً من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة وقد وعدنى ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب وإنى لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبتوءوا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم ونريانكم مساكن في الجنة - أخرجه الإمام أحمد وابن حبان والبخاري والطبراني عن رفاعة بن عرابة الجهني والسيوطي في جامع الأحاديث

³ قيل لوهب بن منبه: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: « بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان ففتح لك، وإلا لم يفتح لك » أخرجه البخاري في باب ما جاء في الجنائز

مفتاح الجنّة، ولكلّ مفتاح أسنان، وبدون الأسنان لا يُفتح الباب ولو أدخلت المفتاح، فليس له أسنان لا يُفتح الباب، وأسنانه العمل، العمل الصّالح المشرّع لنا من ربّنا الموصّل إلينا برسوله، العمل الذي هو حكم وأحكام، مطلوب ممّن شهد وقال "لا إله إلاّ الله" أن يتقيّد عمره كلّهُ بالمنهج الشّرعي، الطّريق السّليم الذي هو عبادة الله، عبادة الله بالقلب، وعبادة الله باللسان، وعبادة الله بالجوارح، وكلّ هذا يسمّى "إسلام"، لا يستقيم إيمان أحد حتّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتّى تستقيم جوارحه، فطاعة الله هي اعتقاد وتصميم وعزم ثمّ الإشهاد بما في القلب واللسان الذي هو ترجمان الفؤاد، إنّما جعل اللّسان على الفؤاد دليلاً¹، أي دليل ترجمان يشرح ويبين ويوضّح ما هو باطن ومبطّن في قلوبنا، والعمل بالجوارح هو تأكيد لما في القلب، لما صدّق به القلب وما نطق به اللّسان، العمل يقتضي إستمساكاً بأوامر الله طاعةً وأمرًا ونهيًا، لذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أوجز كلّ هذا لصحابي سأل رسول الله فقال له يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، لأنّه يعرف بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سيموت ولكن سيبقى هو مُتمسكاً بإسلامه وإيمانه، لكن يريد شيئاً أن يكون له ركيذة وسندا يستعين به على السّير في الطّريق السّويّ السّليم طريق الهدى والرّشاد، فقال قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال صلّى الله عليه وسلّم « قل ربّي الله ثمّ استقم »²، جمع له الإسلام والأحكام والأعمال كلّهم في كلمتين، أن تشهد وتقرّ بربوبية الله، وأن تعتصم بحبل الله، مدى حياتك، الاستقامة على الطّاعة، قال الله

¹ إنّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنّما ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفؤَادِ دَلِيلًا (من قول الأخطل)

² عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّقْفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ » أَخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ - وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ : عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّقْفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ : قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمَّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْبَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ قَالَ فَأَخَذَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ هَذَا قَالَ يَزِيدُ فِي حَدِيثِهِ بِطَرْفِ لِسَانِ نَفْسِهِ

تبارك وتعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنه إينا ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾¹، أعبد ربك، كن عابدا لربك كما علمك إلى اليقين، إلى أن تفارق روحك جسدك، فلا تهاون ولا تكاسل ولا يقول أنني عبت وعبدت وذكرت فيكفيني هذا، العابد ما دام، وما دامت عينه تطرف، وما دام قلبه ينبض، وما دام الدم يجري في عروقه فهو لا عذر له مع ربه، قال « **قل ربي الله ثم استقم** »، استقم أي سز في الطريق القويم السليم السوي، طريق الأبرار، طريق ﴿ **الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾²، ثم قال له الصحابي، قال لرسول الله : ثم ماذا ؟ أي بعد كل شيء ماذا ؟، الإستقامة عرفناها، والإيمان فنحن مؤمنون، ثم ماذا ؟ وهذا هو أهم ما ينبغي لنا أن ننتبه إليه ونحترس منه ونحتاط منه، قال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « **ثم كفت هذا** »، وأشار بإصبعه هكذا، اللسان، ثم كفت هذا اللسان، قال لسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يا رسول الله، وهل نأخذ على لساننا أو ما ننطق به بلساننا، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهل يكب الناس على وجوههم أو مناخرهم غير حصائد ألسنتهم، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو مناخرهم غير حصائد ألسنتهم، **عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَأَصَابَ النَّاسَ رِيحٌ، فَتَقَطَّعُوا فَضْرَبْتُ بِبَصْرِي، فَإِذَا أَنَا قَرِيبُ النَّاسِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ، لَأَغْتَمَنَّ خَلْوَتَهُ الْيَوْمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ، يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُقَرِّبُنِي (أَوْ قَالَ : يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ)، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ « لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، تَعَبُدُ اللهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِأَبْوَابِ الْخَيْرِ » قُلْتُ أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ « الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ**

¹ سورة الحجر الآية 99

² سورة الفاتحة الآية 7

تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾¹ ثُمَّ قَالَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرُورَةِ سَنَامِهِ « قُلْتُ أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ « أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ فَأَلْسَانُ، وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ، وَأَمَّا ذُرُورَةُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِأَمَلِكِ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ « فَأَقْبَلَ رَجُلَانِ فَخَشِيْتُ أَنْ يَشْغَلَاهُ عَنِّي، قُلْتُ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي وَأُمِّي؟ فَأَشَارَ بِأَصْبُعِهِ إِلَيَّ فِيهِ، فَقُلْتُ، وَإِنَّا لَنُؤَاخِذُ بِكُلِّ مَا نَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ « تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُتُّبُ النَّاسُ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَهَلْ تَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا عَلَيْكَ أَوْ لَكَ »²، وفي رواية، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « احفظ لسانك تكلمت أمك معاذ وهل يكب الناس على وجوههم إلا ألسنتهم »³، فشبه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللسان بالمنجل الذي يحصد به الزرع، المنجل، عندما يكون الحاصد يحصد، فإنه يحصد الزرع والسنبلة وربما الحية، وربما العقرب يحصدها أيضا، وربما يحصد الأشواك، فشبهه بالمنجل، لذلك سلامة الدين هي في المحافظة على اللسان، اللسان الذي يعتبره الناس هو عضلة بين الفكين، بين طقم الأسنان، يظن أنها فقط للهو وللمضغ ولل كلام، فهو الذي يقود إلى النار أو إلى الجنة، قال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَّ هَذَا، اللسان، ولذلك الفقراء في أنكارهم يرددون لا إله إلا الله، والإستغفار، والصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليتعودوا على قول الخير، ليتعودوا لسانهم على أن لا ينطق إلا بما هو خير، « رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم »⁴، ولذلك الإنسان قد يصلي ويصوم ويتصدق ويفعل الخير ولكن لسانه غير محروس، يطلق لسانه بما لا يرضي الله في خلقه كيفما كانوا، ينبغي للإنسان أن يعود لسانه

¹ سورة السجدة الآية 16

² البيهقي في شعب الإيمان، الطبراني في المعجم الكبير، الإمام أحمد في مسنده

³ السيوطي في جامع الأحاديث عن الحسن مرسلا

⁴ السيوطي في جامع الأحاديث عن الحسن مرسلاً

على الخير، فإذا كان اللسان عضلة لا عظم فيها وهي مرنة داخل فَمِنَا ومحفوطة من الأسنان والأضراس الذين بهم نمضغ الطّعام ونلّينته، فعلينا أن نحفظه أيضا من التّرهات والقييل والقال وهذا وذاك، إنّ ذلك من محبّطات الأعمال، وتلك هي الغيبة، الغيبة المنهي عنها والتي تعدّ عند الله من كبائر الذّنوب، الغيبة في الناس، والكلام في الناس، وأولياء الله لحومهم سُمّ، من يتكلّم في أولياء الله فلا ينال إلاّ المقت من غير أن يتوب ولا أن يُجبره عارف بالله، فاللسان آفة عظيمة، إمّا أن يكون سبيلك إلى الله أو أن يكون سبيلك إلى الشّيطان، فلماذا نذكر ؟ لأجل أن نعوّد لساننا على الخير، فنحن نخلط ما بين "نذكر الله" ثمّ "نغتاب أو نتكلّم في خلق الله"، فنخلط عملا صالحا وآخر سيّئا، ولكنّ اللسان سيّئاته عظيمة، « رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم »، « قل ربّي الله ثمّ استقم »، ثمّ استقم على طاعة الله، وطاعة الله هي مبادئ عظيمة كثيرة جدّا، وأعظمها الآداب، آداب في حضرة الله وفي حضرة خلق الله، فمن لم يتأدّب مع النّاس لا يتأدّب مع الله، لأنّ عباد الله هي مظاهر أسماء الله، فمن لم يعظّم خلق الله بالإحترام والتّعظيم، لا يعظّم من خلقهم، ولا من خلقه الله، لذلك قل خيرا أو أصمت، « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »¹، إخواننا جميعا لابدّ أن تتفكّروا في هذا الحديث، الحديث عظيم، لأنّ فيه كلمات، من كان يؤمن بالله، فقط، من كان يؤمن بالله، ووقفنا هنا، يكون الأمر سهلا جدّا، ولكنه فيه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، واليوم الآخر، وماذا في اليوم الآخر، اليوم الآخر ماذا فيه ؟ ماذا فيه من أعمال، وماذا فيه من صلاة، وماذا فيه من صوم، وماذا فيه من صدقات، وماذا فيه من حجّ، كلّ هذا فيه، عنما يموت المرء انقطع عمله بلا إله إلاّ الله، فيبقى بلا تكليف، الآخرة ليس فيها إلاّ الجزاء، الجزاء

¹ أخرجه البخاري في صحيحه باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر عب أبي هريرة رضي الله عنه

على ما قدّمت أو أخّرت، الجزاء على ما أحسنت وعلى ما أسأت، ولذلك كان في هذا الحديث لابدّ أن تنتبهوا له، يقول فيه : من كان يؤمن بالله، واليوم الآخر، لماذا "واليوم الآخر" زيدت، لم تزد عبثا، لأنّ اليوم الآخر فيه المحاسبة وفيه الميزان وفيه الأعمال وفيه الكتاب وفيه الصّحف وفيه آخراً التّمحيص، إمّا إلى اليمين وإمّا إلى الشّمال، الجزاء، الدّنيا دار عمل، الدّنيا للعمل والآخرة للجزاء، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد¹، إذا اللسان هو الآفة العظيمة أو المكرومة العظيمة، لذلك الإخوان ينبغي أن يحتاطوا ويحرصوا على أن لا ينطقوا إلا بما يرضي الله، سيّما الذاكرين الذين أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما²، كان أحد الأنبياء، وهو عيسى عليه وعلى نبينا السّلام، مرّ به خنزير، ومعه الحواريّون، فقال للخنزير مرّ بسلام، فقال له أصحابه، ما لك تقول هذا الكلام لخنزير ؟، قال لهم أخشى أن أعود لساني على الشّر. ذلك اللسان ينبغي أن نعوّده على ذكر الله وطاعة الله، وأن يعمل الإنسان جاهدا على أن لا يترك لسانه يُطاله حتّى يؤديه في النّار، ربّ كلمة لا يُأبه لها تردي صاحبها أربعين خريفا في النّار، لذلك فإخواننا هم ذاكرون، فعليهم أن يشتغلوا فقط بذكر الله ولا يشتغلوا بهذا ولا بهذا، فمن ولّاه الله علينا، علينا أن نسلم له الأمر، وأن نتبعه وأن نرضى به وأن نحمد الله تبارك وتعالى أن جمعنا وإيّاها، وأن جمعنا لأنّ ذلك هو جمع على الله، الجمع على أهل الله هو جمع على الله، وهو جمع القلوب على الله، إنّ الشيوخ ليسوا بأهة وإتّما هم دالّون على الله، فمن عرفهم بهذا فقد عرفهم، ومن لم يعرفهم بهذا فهّم فلان ابن فلان ابن فلان، كما قال صلّى الله عليه وسلّم « من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا ابن امرأة تأكل القديد »³،

1 ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ سورة فصلت الآية 46

2 ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ سورة الأحزاب الآية 35

3 عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعِدُ فَرَأَيْتُهُ فَقَالَ لَهُ « هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِتْمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ » أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط وابن ماجه في سننه

وقال الشيخ رضي الله عنه « من يعرفني يعرفني أنا، أنا رجل مثلكم، يجري في دم ولحم، أكل معكم وأمشي للأسواق... » ، ولكنّ المراتب غير هذا الأمر، قال سيّدنا الحسن « من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني... »¹ ، _____ لَمَّا تُصَقِّل مَرَّةً بَعْد مَرَّةً وَتَجَلَّى الغشاوة الَّتِي فِيهَا أَنَّهَا تسيطر عليها، وتعتَّم وتصير مظلمة، ويكون الإنسان يظنّ أنّه يفعل الخير وهو يفعل الشرّ ولا يحتسب، لأنّه صار جاهلاً بمقامه، جاهلاً بمرتبته، أو ربّما يدّعي لنفسه ما هو من إدّعاء الربوبية، أن يدّعي لنفسه أنّه فوق النّاس، أو أحسن النّاس، أو أفضل النّاس، أو أنّه سيّد النّاس، وهذا هو الربوبية بعينها، كلّما زاد الإنسان علماً ومعرفة وورعاً وتقوى كلّما زاد تواضعاً مع خلق الله ورفعته عند الله، لذلك ننصح الإخوان جميعاً، وإن كان فيكم العلماء والأفاضل، وسيدي الحاج الحبيب هو منكم، ونحن عرفنا جهاده وعمله ودائرته، وتوسيع الدائرة في كلّ مكان، والطريقة تتجدّد على أيديه، وصار الأمر والحمد لله نفرح به، وليس نحن من نفرح به، يفرح الملاء الأعلى، هو الذي يفرح، لأنّه كلّما دخل الإنسان في دائرة الله إلّا ويصير له نور، يكون له نور كالسيدّ عليّ، نور إلى العرش، ويكتب كذلك في سيرة من تسبّب في ذلك الأمر، لذلك يقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لسيدنا عليّ كرّم الله وجهه « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير ممّا طلعت عليه

¹ خطب الحسن بن عليّ الناس حين قتل عليّ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « لقد قبض في هذه الليلة رجل لا يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون ولقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يعطيه دابته فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عليه وما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم أفضلت من عطاياه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، ثم قال، أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ أنا ابن الولي وأنا ابن الوصي وأنا ابن البشير وأنا ابن النذير وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه وأنا ابن السراج المنير وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلماً فقال تبارك وتعالى لنبيه صلّى الله عليه وسلم ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ﴾ فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت « أخرج ابن حبان في صحيحة والحاكم

الشَّمْسِ»¹، أن يهدي بك رجلا واحدا فقط، لو كنت وحدك في العالم كاملا، وواحد فقط هداه الله بك، لكان أفضل لك من الدنيا والآخرة، فكيف والأمر في ازدياد والدائرة في توسع، وإقبال الناس بكليتهم ووجدانهم على عبادة الله بالكيفية السنوية المرادة من الله تبارك وتعالى، كما يقول الناس، كلّ أمر لا ازدياد فيه فهو في نقصان، المَقْوَسُ عظيم الرّوم، لما توصل بكتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقرأ أسلم تسلّم، وصار يسأل الرسول عن الظروف وعن الرجل الذي يدّعي النبوة، فسأله عنه فقال له : هل هذا الرجل الذي بينكم، تزداد دائرته، يعني يقبلُ عليه الناس، يزيد أم ينقص، قال : يزيد، قال : فذلك النبي، إذا كلّما نرى ناس تزداد فذلك مرتبته وذلك القبول من الله، والأمر عندنا هو أننا نلتقي في الدنيا، ونلتقي كذلك في الآخرة، لأنّ أخوة الرّحم لا تنفع ساعتها، أن يكون الإنسان أخوك من رحمك وأمّك، ولكن لا تلتقي معه، لأنّه هو في وادي وأنت في وادي، أنت كنت في وادي الجمع وهو كان في وادي آخر، ولا تلتقي معه، لكن إخوة الرّوح، كما هم في الدنيا، يلتقون كذلك في الآخرة، وقد قال فيهم الله تبارك وتعالى ﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾²، إخواناً في الدنيا وإخواناً في الآخرة، وإخوة الرّحم قد لا تنفع، الذين هم ينازعون الإنسان في أمره وهو أخوه أو ابن الخالة أو العمّ أو العمّة، وهذا شيء طبيعي، ويقول الشاعر

¹ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ «أَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» فَقِيلَ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَسْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ «فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ» فَأَتَى بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَانُ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ،

وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» أَخْرَجَهُ

البخاري في صحيحه باب غزوة خيبر

² سورة الحجر الآية 47

روحه بيننا، ولا زالت بركته بينكم، ونسأل الله تبارك وتعالى له الرّحمة والمغفرة والرّضوان ونسأل لعائلته كذلك البركة في رزقها وسوق البركة في مراتبها، ونسأل لها البركة في علمها ومعرفتها، وأن يهدي الله الجميع، وكلّنا نرجو من الله الهداية.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ

بعد مدح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

هذا السرّ، سرّ الأولياء، ينتقل، أو كما نقول، يسري فيمن شاء الله تبارك وتعالى أن يخلفه، فيسري ذلك السرّ كلّه في الخليفة، في سرّه هو، وكلّ ما عنده يوصله له، أي بسرّ السرّ، الّهي هو من نفس الرّحمن، ينطبع فيه، ويسري في عروقه وفي دمه وفي روحه وفي نظره وفي جسمه، لأنّه لا يكون خليفةً إلّا إذا نبض بكلّ ما كان ينبض به المستخلف، وذلك هو مقامه، انطبع ذلك في هبائتته، الهبائية هنا هي الرّوح، هي السرّ، هي الشّيء الذي لا يقبض باليد، يُرى ويُشاهد ولكن لا يمكن أن تمسكه ولا أن تجمععه، فهبائتته هو سرّه، هو باطنه، هو محلّ التلقّي، الذي يتلقّى فيها الفيوضات والأنوار وكلّ ما يرد من الله تبارك وتعالى من حضراته ومن حضرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن حضرة الشيخ رضي الله عنه، يردّ وتتغرس في الهبائية، أي في سرّ السرّ الذي مُنح لذلك الشّخص بفضل الله تبارك وتعالى، وبما أراد الله له تبارك وتعالى، فذلك الإنطباع كان نقلة سرت وانغرس في باطنه وكيانه ودمه وروحه وعقله ونظره وسمعه وبصره وكلّ شيء فيه فصار كأثّه هو، مع العطاء الآخر، العطاء الإلهي، الذي يُزاد ويُعطى لذلك الشّخص في زمانه، بحسب زمانه وبحسب مكانه الذي ينزل فيه، هذا معناه، لأنّه كما قال الوالد رحمه الله أنّه عندما جدّد الطريق لذلك الشّخص الذي سأل عنه أحد الأشخاص في الرّسالة، وأجابه الوالد في رسالة أخرى، ومنها غنية الأحباب فيما وجب على الأصحاب ويقول هذا لا يُسأل عنه، ثمّ زاد بيّن فقال، ذلك الذي تسأل عنه فقد أذنت له عن طريق الرّوحانيّات قبل أن تخرج روحه، بمحضر فلان، وأجزته لأنّني أنا خليفة عن سيدي الحاج الحسين اليفريني، والخليفة ليس هو كالمربّي ولا كالمقدّم، الخليفة له التّصرّف الذي كان للمستخلف عنه، كلّه ينتقل إليه، يحلّ ما انعقد على يد المستخلف ويعقد ما انحلّ

على يد المستخلف، لأنّه خليفة في كلّ التصرف، في جميع التصرفات، يعزل ويؤلّي، ومن عزله السابق هو يؤلّيه ومن ولاه يمكن أن يعزله بحسب الخلافة، بخلاف غيره، الوكيل لا يخرج عن حدود وكالته، فإذا خرج عن حدود الوكالة خرج عن السداد، أمّا الخليفة فهو عنده الكيد الكامل، يعني أنابه الله تبارك وتعالى نيابة مطلقة، في كلّ ما كان المستخلف عليه صار له هو، بحكم الخلافة التي جعلت فيه

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

سامحني سيدي، فلما صرّح لي بالخلافة عنه مشافهة، أصبح جميع تلاميذه بعده تلاميذي

سيدي الحاج محمّد الكبير البعيلي

هذا هو، أصبح جميع تلاميذه بعده تلاميذي، لأنّه كما نعرف، الذي يُصاحب هو الحيّ، الميّت، الله تبارك وتعالى أحصى عمله في الزمان، وجعل له أجلا معيّنا، وجزاه الله تبارك وتعالى عن ذلك، ومدده يبقى ساري لكن عن طريق الخليفة، عن طريق الحيّ، فمن قصر همّته على الحيّ فإنّه ..، فذلك رضاه بقصر همّته على شيخه، والذي لم يقصر همّته على خليفته فكأنّه نقض العهد مع شيخه، هذا الشيء معروف، حتّى في عملنا الدنيوي، إذا قال مات السلطان فلا بدّ لنا أن نبايع السلطان، فهل نبايع السلطان الذي مات ونبقى معه؟، وإلا نحن لسنا مبايعين، نقضنا العهد، وصرنا خارجين عن الجماعة، فهنا، لذلك نكون نحن ككلّ النّاس، مات الملك عاش الملك، لأنّه لو بقي الملك ونبقى نرى الميّت، يختلّ العدل، وتختلّ الأمانة وتختلّ الأسماء الإلهيّة، الأسماء الإلهيّة يجب أن تظلّ دائما سارية لا تتوقّف، يختلّ إسم الله العدل، لأنّه توقّف، والله لا يريد لذلك أن يتوقّف، فعندما تتمّ رسالة أحد، يأخذها الآخر، ويسير على نهج القديم، مع تعظيم القديم، مع ما يفتح الله على يد ذلك الشخص أيضا من مقامات ومن أجر ومن ثواب ومن، ومن، ومن، أمّا

الذي يقول أنا غير راضي، إذا هذا خان العهد، وخرج عن الجماعة، ولم يُوفَّق أبداً، ولم يوفِّقه الله تبارك وتعالى مدى حياته، يبقى مضطرباً مع نفسه وشاكاً في أمره وإنما في ريب وفي احتمال وعمره لا يحصل له اليقين، لأنَّه خرج عن القاعدة الشرعيَّة، التي هي بايعنا هذا، ذهب هذا، سنبايع الذي سيقوم مقامه وسيسير بنا، هذه سنَّة الله، إذا كنت تصلي وراء إمام ومات ذلك الإمام، فهل أترك الصلاة وراء الأيمَّة، تقول أنا قصرت الهمة على ذلك الإمام ولن أصلي بعده، ماذا تكون إذا لم تصلي، تكون خارجاً عن الشرع، ومفارق الجماعة في النار، هذا هو الأمر الذي يجب أن تفهموه دائماً، الذي يحب هذا (وأشار إلى سيدي الحاج الحبيب)، من يحب الأصل يحب الفرع، ومن قال أنه لا يحب الفرع ويحب الأصل فهو كاذب وليس بصادق، قال صلى الله عليه وسلّم « **أحبوا الله، وأحبوني أحب الله وأحبوا عترتي أحبني** »¹، هكذا الترتيب، فتحبَّ الله لذاته، لأنَّه لا يحبَّ لذاته إلاَّ الله، أيَّ عبد لا يحبَّ لذاته، حتَّى الرسول صلى الله عليه وسلّم، نحبه لمرتبته، ولكونه رسول ولا نحبه لذاته، أحبوا الله، وأحبوني أحبَّ الله، فالذي يحبَّ لذاته واحد، وهو الله، وأحبوا عترتي أحبني، هذا الترتيب، عترتي، المؤمنون كلهم هم عترة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وعترته الخاصَّة، هم الخاصَّة، كما قال سيدنا، كلَّ مؤمن متقي هو من آل البيت، من حيث العموم، لأنَّه قال صلى الله عليه وسلّم « **من آذى المؤمنين فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله** »²، هكذا ينتقل الأمر، من آذى المؤمنين فقد آذاني، آذاني، لأنَّه يحبُّهم، لا يريد أحداً أن يؤذي له أحد أولاده، فإذا تؤدَّى هذا ينتقل الأذى، والعارف إذا تغيَّر، يتغيَّر كلَّ شيء، العارف إذا حصل له تغيَّر فإنَّه يتغيَّر كلَّ ما هو محيط به، الملكوت كلَّه يتغيَّر، بأفلاكها وأملاكها، يتغيَّر العالم، ولو أزال الله الحجاب لرأينا

¹ أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي (أخرجه الترمذي والطبراني والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس)

² من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله (الطبراني في الأوسط والسيوطي في جامع الأحاديث عن أنس)

الصّواعق، الصّواعق تنزل علينا، ولكنّ الله تبارك وتعالى رحيم، إنّنا مرحومون، لذلك قال ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾¹، ولكنّ الله لم يرد أن ينزله عليه، ولو أنّه جبل صلد، ولا يقدر على أن يتحمّل، إلّا الإنسان، الإنسان أعطاه الله القوّة أن يتحمّل الأسرار، هو الإنسان، بعدما يقويه الله تبارك الله وتعالى، ثمّ بعد ذلك يحمله أسراره، الجماد مع قوّته لا يستطيع، لذلك قال ﴿ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾²، لكنّه لم يستقر مكانه، فلا يراه، إلّا في الآخرة، هكذا يجب أن نفهم بعضنا البعض، ونسير على طريقنا وعلى نهجنا، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل من يأخذ بأيدينا، ولا يتركنا همّلاً، النّاس كلّهم هكذا يضيعون، والأيتام إذا لم يجدوا من يأخذ بأيديهم، يضيعون، ولو وجد من يجمع الأيتام، ويحنّ عليهم، ويرحمهم، يرحمه الله تبارك وتعالى، أنا وكافل اليتيم كهاتين، وكلّ هذا ينطبق على جميع علاقاتنا، « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى »³، وكلّ شيء تنطبق عليه هذه القاعدة، إلّا جماعة لم يبق بينهم رجل مهاب، كما قال صلى الله عليه وسلّم، فتودّع منها، إذا كنت في جماعة وفيها عشرون نفراً، أو ثلاثون أو أقلّ أو أكثر، ولم يكن بينهم رجل مهاب، فتودّع منهم، فلا خير فيهم، لأنّ النّاس الذين لا يستطيعون أن يجمعوا أنفسهم على واحد، فلا خير فيهم، لأنّ هذه سنّة الله، لا بدّ لنا من إمام، لا بدّ لنا من مقدّم، لا بدّ لنا من دليل يدلّنا على الطّريق، لا بدّ لبائعي السمك من رئيس، ولا بدّ لبائعي الخضر من رئيس، وإذا لم يكن هنالك رئيس، فتكون الفوضى، ولذلك جعل الله لنا إماماً في الصّلاة، وإماماً في الخطبة، وإماماً واحداً، لا إثنين، ﴿

¹ سورة الحشر الآية 21

² سورة الأعراف الآية 143

³ أخرجه البخاري في الصحيح باب فضل من يعول يتيماً من حديث سهل بن سعد

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ¹ ، هكذا دائما تكون وهكذا ينبغي، أن نفهم ديننا بهذه الكيفية، التي هي من شرعنا، وليس فيها أغراض نفسية، لا، يقول صلى الله عليه وسلم المسافر وحده شيطان، والإثنان ركب، والثلاثة يأمر عليهم واحد، شرع، الثلاثة لابد أن يأمر عليهم واحد، يسلمون له القيادة ويتفقون معه، يتركونه هو يأمر وينهى، وهم تابعون، لابد من هذا وإلا لا يمكن أن يصلح حالهم، عندنا في المغرب يقولون : الجامع الذي تبنيه الجماعة لا يبنى أبدا، فهذا يضع حجرا هنا والآخر هناك، والمحراب هنا، فلا يبنى أبدا، ولكن إذا كلف به واحد، يتبعه الناس، يكون الأمور بخير، يقضى الأمر، ويجعل الله فيه البركة، وهذا يكون في كل شيء، هكذا الحياة، في الدنيا والآخرة، فحتى الآخرة فيها دائما حتى في الأرواح، ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ ² ، يقولون كيف تقولون إمامكم يا الشيخ أحمد التجاني، يا إمامنا، فيقول لبيك لبيك، يا رسول الله، لبيك، ولذلك نسأل الله أن تنتور البصائر، ونسلم من الآفات، آفات اللسان وآفات القلب، ونسأل الله ان يصلح قلوبنا، والمقصود هو الله، الله قبلا والله بعدا، هو الأول وهو الآخر، وهو الظاهر وهو الباطن، وهو معنا، ولنعمل وكل واحد في الطريقة حتى نصل، ونسأل الله أن يكون الوصول خيرا، أن يكون الوصول خيرا إن شاء الله. آمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ
يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ * غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ
بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ

¹ سورة الأنبياء الآية 22

² سورة الاسراء الآية 71

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقيلي رضي الله عنه إلى

تونس



اليوم الثاني عشرة

الاثنين 5 شعبان 1430

لقاء مع مجموعة

من فقراء تونس بمنزل

سيدي الحاج الحبيب بن

حامد

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

جازاكم الله كلَّ خير إن شاء الله، يقرؤكم السَّلام السيد محمَّد الأمزالي، ويقول لكم هنيئاً لكم بسيدي محمَّد الكبير، هنيئاً لتونس بهذه الزيارة المباركة العظيمة، وقال نحن اشتقنا إليك، وكأنَّه أراد أن يقول : لا تقييدوه بجانبكم وتحرمونا منه، وقالها ثلاثاً "والله اشتقنا إلى سيدي محمَّد الكبير، والله اشتقنا إلى سيدي محمَّد الكبير، والله اشتقنا إلى سيدي محمَّد الكبير، فقلت له إن شاء الله غدا يكون عندكم، وسي العَلَمي قال لي المغرب كلّه فارغ

سيدي الحاج محمَّد الكبير رضي الله عنه

الأرواح جنود مُجنّدة، الحمد لله تآلفنا في الأزل، ونحن تآلفنا في الشّاهد، إن شاء الله تبارك وتعالى يديم علينا هذه النّعمة، نعمة عظيمة، نعمة الإسلام، ونعمة الإيمان، ونعمة المحبّة في الله، في ذات الله، نعمة المحبّة في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وفي سيدي أحمد التّجاني رضي الله عنه، اجتمعنا على محبّة الله، ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾¹، والتّأليف من الله، لا من الأسباب والمسائل، وإنّ المحرّك هو الله، والمنسق والمدبّر هو الله، لكن نحن نعمل بالأسباب الشرعيّة، والأسباب الشرعيّة هي التّواصل في الله، والمحبّة في الله، والتّوادد في الله، وجمع القلوب على الله، أينما كانت، تجتمع على الله وعلى كلمة التّوحيد "لا إله إلاّ الله"، ولذلك المسلم هو دائماً له رابط متين روحي قوي لأخيه المسلم أينما كان، وأينما حلّ وأينما أفاض، الإسلام يوحد، والدين يجمع، وهذه الدائرة الفضليّة، دائرة مولاي أحمد التّجاني، تُحقّق لنا هذا كلّه في أنفسنا، حتّى نعلم صلاحنا لأنفسنا ومن نظر بعضنا إلى بعض، المؤمن مرآة المؤمن، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال «المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ، يكفُّ عليه

¹ سورة الأنفال الآية 63

صَيِّعَتُهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ»¹، المؤمن مرآة أخيه المؤمن، إذا صفت مرآة المؤمن من الداخل، تصفو القلوب، وإذا تكدّرت تتكدّر القلوب، المرآة هي لا تُعطي إلا ما أعطيتها، إذا شخّصت نفسك بإزائها بحلّة بهيّة وفي زينة، تعطيك ذلك، وإذا شخّصت نفسك بمقابلتها بحلّة رديئة، وسيمة معبّسة، تعطيك نفس الشيء، فلذلك المؤمن مرآة لأخيه، في الصفاء، وفي العمل الصّالح، وفي النّصح، وما يجمع هو قبول النّصح، إذا كان الإخوان يقبلون النّصح من بعضهم، فذلك علامة تأكيد الإيمان في قلوبهم، وإذا كانوا لا يقبلون النّصح من بعضهم البعض، فذلك سمة الذين لم يتوافقوا، الوفاق هو الذي يجمعنا في هذه الدّار، كلّ في مكان وكلّ يسأل عن أخيه، من ذلك المكان، فيصله سلامه، وتصله المحبّة في المكان الذي هو فيه، وذلك هو المحبّة على الله، والجمع على الله، والمحبّة في ذات الله، إنّ إخوان الصفاء، إخوان التّمكين، إخوان اليقين ليس بينهم حواجز، مهما كانت تلك الحواجز وُضعت، فإنّ تلك الحواجز كشيء كخيال، وكهباء، لأنّ لا حاجز بين القلوب أبداً، لا حاجز بين القلوب إذا صفت، وسلّمت، وارتقت إلى مرتبة الصّالحين، إلى مرتبة المنيبين المتّقين، والحمد لله أنّا نسمع عنكم ما يحدثنا الناس به من قوّة وهمّة عالية، وعمل صالح دءوب مستمر، وتعظيم بعضكم البعض، واحترام الكبير، ورحمة الصغير، والأخذ بيد الضعيف، لأنّ هذه هي السّمة والعلامة التي تميّز الصّالحين، إنّ الإنسان لم يخلقه الله تبارك وتعالى لينفع نفسه فقط، ولكن خلقه لينفع غيره، ونفسه، بل يُؤثر أخاه على نفسه، إذا اشتدّ الأمر، وحزم الأمر، فيكون هنالك تضحية من أجل الأخوّة، والإيمان هو الأخوّة، والصّلاح، وحُسن الظنّ ببعضكم البعض، كما يقول صلّى الله عليه وسلّم «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالَمِنَا

¹ أخرجه أبو داود والبيهقي والسيوطي في الجامع الكبير عن أبي هريرة رضي الله عنه

حَقَّهُ»¹، ويعرف حقَّ عالمِنَا، لأنَّ العلماء هم نبراس ومصباح يضيء في الخُلُكِ
وينور الطَّرِيق في الظلمات، العلماء هم أصفياء الله في الأرض، العلماء، من سار
في طريقهم وصل، ومن أحبَّهم رُفِع، ومن اهتدى بهم هُدي، لأنَّهم هم الطريق إلى
الله، ولأنَّهم لهم الإرث النَّبوي، العلماء ورثة الأنبياء، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه
وسلَّم أنه قال « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا : سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ
الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ
لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ
عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ،
وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ »²
، ورثة من الإرث، علت مرتبتهم وصار لهم مقاما، لأنَّهم يدلُّون النَّاسَ عَلَى اللهِ،
ويجمعون القلوب عَلَى اللهِ، ويؤدِّبون الخلق بالله، ويجاهدون في سبيل الله، لجذب
النَّاسَ إِلَى اللهِ، لذلك فمن لم يعظَّم الكبراء ويقتدي بالعلماء، فليس له في هذا الدِّينِ
نصيب، فإنَّه مخالف لأمر الله، ومخالف لتعاليم رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم،
ومخالف للعهد الَّذِي أعطاه للمقدَّم ليكون ثابتا صابرا متبعا لسنة رسول الله حذو نعل
بنعل، والحمد لله هذا هو الأمر الَّذِي تدور عليه أفلاك، تدور على الجمع لا على
الفرقة، تدور على نقل العبد والفقير والمريد من وادي الفرقة إلى وادي الجمع، الجمع
على الله، فرقة القلوب إلى جمعها في دائرة واحدة، ومن ثَمَّة فإنَّه لا ينبغي للفقير
الَّذِي عاهد الله وعاهد رسوله وباع خليفة رسول الله، أن يبقى له مقدار ذرَّة في قلبه
مما هو يجلب إليه النُّقْطُ الظلامية، لأنَّه في مقام الإحسان، ومقام الإحسان هو مقام
المراقبة، مراقبة الله في السرِّ والعلن، والمراقبة تقتضي الإتيان الكامل لما جاء به

¹ السيوطي في الجامع الصغير أخرج الحاكم وأحمد في مسنده والطبراني، عن عبادة بن الصامت

² أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والبيهقي في شعب الإيمان، والسيوطي في الجامع الكبير

الدين الحنيف، ولما علمنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما عاهدنا إلا لنثبت، ونوفِّي بالعهد، فالتربية في الطريقة هي تربية النفوس، وتربية القلوب، تنقية القلوب مما سوى الله، ثم تنقيتها مما يكدر صفوها، من غير وغيرية ومن علو النفس، ورؤية النفس من النفس، رؤية النفس من النفس هو الكدر، يعني إذا لم يصف الإنسان من داخله وباطنه ويظهر ذلك على ظاهره، ويتجلى الأمر في ظاهره، فإنه لا زال يحتاج إلى إلى إلقاء نفسه بين يدي العارف ليوصله إلى حضرة الله، وينقي طريقه من أشواك النفوس، حتى تصير النفس هباء، _____

_____ لأن القلب هو بيت الرب، به يحصل الاطمئنان، وبه تنزل الواردات، وفيه يتلقى العبد من علوم الله ومعارفه، ما لا يتلقاه بالاكتساب، ولا بالكسب، فإذا صفت القلوب تحررت من رقعة العبودية لغير الله، القلب بيت الرب وعرش الرحمن وعليه تنتزل الرحمات، والبركات، والارتسامات الملكوتية، والانطباعات الحقانية، ما دام الإنسان لم يصف، ما دام لم يصل إلى قول الله تبارك وتعالى ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾¹، ولا يحصل الاطمئنان حتى تكون القلوب صفت، وتنظفت واغتسلت، بماء المزن وبالثلج والبرد، وصار الإنسان عبدا على الحق والحقيقة، قد يكون المرء يعبد الله ويذكره في الصباح وفي المساء، لكن في لحظة واحدة عندما يجد في نفسه ضيقا، وكزازة تجاه غيره، إذ ذاك يذهب كل ذلك الشيء الذي عمل من أجله، لأن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يقول لنا أن أهل الجنة متعممين في حضرة الله وكرامته، نزع من قلوبهم الغل، ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** ﴾²، كذلك أهل هذا الملك وأهل النسوت، سيما أهل الذكر، هم في كثير من أوقاتهم هم من أهل الجنة، بل هم في الجنة إن عرفوا مقامهم، فهم في الجنة صباحا ومساء،

¹ سورة الزعد الآية 28

² سورة الحجر الآية 47

والدليل على ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟، قَالَ حَلَقُ الذِّكْرِ؟¹، إِذَا الْفَقِيرُ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَعْرِفُ حَقَّهَا وَرُؤْيَا اللَّهِ، لِأَنَّهُ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ الْآنَ، مُلْكٌ مِنْ حَيْثُ الْاِكْتِسَابُ، وَمَلَكُوتٌ مِنْ حَيْثُ رَفْعَةُ الْمَقَامِ وَإِنَافَةُ الْمَنْزِلَةِ، وَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَجْرِبُوا هَذَا الْأَمْرَ فَتَمْتُوا عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخِيَّبُ مَا تَتَمَنُّونَ، لِأَنَّكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالْفَقِيرُ إِذَا تَمَنَّى شَيْئًا عَلَى اللَّهِ إِلَّا أَدْرَكَهُ، كَمَا يُدْرِكُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَا يَتَمَنُّونَ، ذَلِكَ مَا دَامَتْ الْقُلُوبُ صَافِيَةً، وَالنَّفُوسُ رَاضِيَةً، وَالْعَمَلُ صَالِحًا، وَالْإِنْسَانُ دَائِبٌ مُسْتَمِرٌّ فِي عَمَلِهِ الصَّالِحِ، لَا يَتْرُكُ مَجَالًا لِنَفْسِهِ، لِلشُّكِّ فِي نَفْسِهِ أَوْ فِي غَيْرِهِ، وَلَا رِيْبَةَ وَلَا تَسَاؤُلًا، وَلَكِنَّهُ سَلَّمَ أَمْرَهُ، وَسَلَّمَ قِيَادَهُ وَرَضِيَ بِحَالِهِ وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ذَلِكَ كُلُّ فَقِيرٍ صَارَ عَالِمًا، صَارَ فَقِيرًا حَقًّا، إِنَّمَا سُمِّيَ الْفَقِيرَ فَقِيرًا بِهَذَا الْاسْمِ عِنْدَ أَهْلِ الطَّرِيقِ، إِلَّا لِأَنَّهُ عَرَفَ نَفْسَهُ بِفَقْرِهَا وَعَجْزِهَا، وَعَرَفَ رَبَّهُ بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ وَمَقَامِهِ الْكَرِيمِ، فَانْحَاشَ إِلَى رَبِّهِ بِكَلِّيَّتِهِ وَافْتَقَرَ إِلَيْهِ بِكَلِّهِ، فَصَارَ فَقِيرًا وَلَوْ كَانَ يَمْلِكُ الْكُنُوزَ كُلَّهَا، أَوْ يَمْلِكُ الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَلَكِنَّهُ عِلْمَ بَأَنَّ الْكُلَّ لَهُ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ إِلَى رَبِّهِ، مُحْتَاجٌ إِلَى إِعَانَتِهِ، إِلَى تَوْفِيقِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ، إِنَّمَا الْمُنْتَصِرَفُ هُوَ اللَّهُ، وَقَدْ اخْتَارَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَكُونَ عَبْدًا صَالِحًا، فَلِيَحْمَدَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَلِيَحْمَدَ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ بَيْنَ أَهْلِهِ، يُحِبُّونَهُ وَيُحِبُّهُمْ، وَيَجْتَمِعُ بِهِمْ فِي صَفَاءِ الْقَلْبِ، لَا عَلَى دُنْيَا يِقْتَسِمُونَهَا، وَلَا عَلَى ثَرْوَةٍ يَتَنَازَعُونَهَا، وَلَا عَلَى شَرِكَةٍ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ، وَلَكِنْ عَلَى شَيْءٍ هُوَ مُحِبَّةُ اللَّهِ وَمُحِبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ، الْحُبُّ فِي اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ »²، فَنَحْنُ لَا نَكْرَهُ أَحَدًا مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَلَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِنَا دَخْلٌ لِأَحَدِ الْمَخْلُوقَاتِ أَبَدًا، فَمَا أَقَامَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي بَابِهِ، فَذَلِكَ هُوَ

¹ السيوطي في الجامع الصغير عن أنس

² رواه أحمد وذكره الإمام الغزالي في الإحياء عن البراء بن عازب

العبد الفقير المحتاج إليه للتوصل به إلى ربّ الأرباب، وسيّد السّادات، لذلك نقول للإخوان جميعاً، لا تقولوا هذا أخذ عن هذا وهذا أخذ عن هذا، ويجب أن نحترم هذا دون هذا، هذا ليس هو الأمر الذي عاهدنا عليه، نحن عاهدنا الله على أن نقصّر همّتنا على ما أردناه واحد، عاهدنا رسولنا فاتّبعناه، وعاهدنا شيخنا فقبلنا ما جاء به، وعاهدنا بعضنا البعض على أن لا نفرّق ما بين هذا عن هذا وهذا عن هذا، وهؤلاء النّاس هم إنّما يدلّون عن الله، والله أقامهم هكذا، أمّة واحدة، وعملنا واحد، فنحن ذات واحدة، لا فرق بين هذا وبين هذا ولا من أخذ عن هذا ولا من أخذ عن هذا، وإنّما كلّهم جعلهم الله في باب، يدلّون النّاس على الله وعلى الخير، فمن أخذ عن هذا، جعله الله له سبباً ليكون سعيداً، ومن أخذ عن هذا جعله الله له سبباً ليكون سعيداً، فنحمد الله تبارك وتعالى، ولا نتنافس في هذا الأمر، وإنّما نقول ما قاله الله لنا ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾¹، وكذلك خلفاء رسول الله جاؤوا بالحقّ، ومقدّمى الشيخ جاؤوا بالحقّ، وكلّهم على حقّ لأنّهم يدعون إلّا على الحقّ، فلا يمكن لنا أن نقابل الحقّ بغير الحقّ،

وكلّهم من رسول الله ملتمس *** عرفا من البحر أو رشفا من الدّيم

كلّهم من رسول الله، وكلّهم يدلّون على الله، المقدّم يدلك على الله، فيضعك في حجر شيخك، وشيخك يضعك في حجر رسول الله، ورسول الله يضعك في حجر الله، فهذا هو الأمر الذي نمشي إليه ونسير عليه ونحترم جميع مقدّمينا، وجميع شيوخنا، ونُعظّم الكلّ، ولا نتنافس في هذا ولا نتنازع، فإنّ الأمر جدّ، جدّ مهمّ، لا مُشاحّة في هذا الأمر، إنّما نحن إخوة في الله، نحبّ علماءنا، ونحبّ مقدّمنا، ونحبّ السّابقين الذين سبقونا، وكانوا سبباً في وصول الحضرة إلينا، فعلينا أن نحبّهم ونحترمهم

وندعو لهم جميعا ولا نقول هذا كذا وهذا كذا، ولا يمكن للإنسان أن يكون في بلد والآخر في بلد، وهو بعيد، فلا بد له من يدلّه على الله، فإذا ذلك على الله قَرَبِكِ إِلَى الله، وَقَرَّبَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، هذا هو الَّذِي يَنْبَغِي، أن نحترم بعضنا البعض، ولا نتنافس على هذا الأمر، لأنّ المسلم لا يكره أحدا أبدا، ولا ينتقص من أحد أبدا، إنّنا نحبّ ما أحبّ الله ونكره ما كرهه، حتّى الكافر نحن لا نكرهه، بل هو محبوب، فإذا كرهنا، نكره الشرّ، نكره عمله، ولا نكره الكافر، نكره عمله فقط، فهو محبوب، فالكفر ليس ذاتيا فيه، وإنّما هو صفة عارضة، قد تزول بقول "لا إله إلاّ الله محمد رسول الله"، لا نستنقص من أحد، ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ ﴾¹، والكفر هنا مصدر، كَفَرَ يَكْفُرُ كُفْرًا، مصدر، ليس بإسم، الكافر إسم، ولكنّه منسوب إلى هذا الكفر، وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ، فنحن نحبّ خلق الله كلّهم، ونسأل الله الهداية للجميع، ونسأل الهداية لأنفسنا أيضا، إذا نقول ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾²، اعملوا وتوكلوا على الله، والله ناصر من تمسك بحبله، ومؤيّد من سار في طريقه، وحسن البدايات هي علامة على حسن النّهيات، ترى الإنسان بدايته يقول "لا إله إلاّ الله محمد رسول الله" وقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويقوم بشرع الله، ثمّ اجتمع بالإخوان، وصاروا يجتمعون على الله، ويتذاكرون في الله، ويذكرون الله، فذلك بداية وعلامة عن حسن الخاتمة، فلا يعمل الإنسان في طريقه شيء يعيقه عن حسن الخاتمة _____

_____ نتذكّر بعضنا البعض، اجتمعنا على الله، والذّكرين لله، إنّما لا بدّ أن نوصي أنفسنا، نقول لغيرنا وننصح أنفسنا أيضا، فتكون النّصيحة لنا، من ذلك على الله فقد نصحك، ومن ذلك على العمل فقد أتعبك، ومن ذلك على نفسه فقد غشّك، والَّذِي

¹ سورة الحجرات الآية 7

² سورة الأعراف الآية 43

دَلَّكَ عَلَى اللَّهِ نَصْحَكَ اللَّهُ، وَلَا بَدَّ أَنْ نَقُولَهَا لِأَنْفُسِنَا أَيْضًا، وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى كَثْرَةِ الْعَمَلِ
إِنَّمَا أَتَعْبَكَ فَقَطْ، وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى نَفْسِهِ، يَقُولُ لَكَ قَصْرَ هِمَّتِكَ عَلَيَّ، وَإِيَّاكَ مِنْ فُلَانٍ،
وَإِيَّاكَ مِنْ فُلَانٍ، هَذَا نَقُولُ أَنَّهُ غَشَّكَ، لَمْ يَنْصَحَكَ، لِأَنَّهُ أَرَادَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَرِدِ اللَّهُ، فَقَدْ
غَشَّكَ، فَلَنْحَذِرُ أَنَّهُ مِنْ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ وَلَوْ نِسْبَةَ صَغِيرَةٍ مِنَ النَّفْسِ فَلَنْحَذِرُ مِنْهُ، يَجِبُ
أَنْ نَتَنَاصَحَ لِلَّهِ، لَا أَنْ نَنْصَحَ النَّاسَ لِأَنْفُسِنَا، وَنَقُولُ لَهُمْ إِيَّاكُمْ وَنَقُولُ لَهُمْ قَصْرَ هِمَّتِكَ
عَلَيَّ، إِنَّمَا الشَّيْطَانُ يَلْعَبُ بِالنَّفُوسِ، وَيُغَرِّرُهَا، وَيَسْلُخُ جُلْدَهَا، وَيَسِيرُ عَلَى الْجِلْدِ
وَيَتَرَنَّحُ تَحْتَ تَأْثِيرِ الشَّمْسِ وَالْمَلْحِ، عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مَتَّقِينَ بِأَنَّ طَرِيقَتَنَا طَرِيقَةُ تَوْحُّدٍ،
وَالْجَمْعُ لِأَجْلِ الْجَمْعِ، لَا الْجَمْعُ لِأَجْلِ الدَّلَالَةِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ، لِذَلِكَ نَقُولُ دَائِمًا، نَعْظَمُ
بَعْضُنَا الْبَعْضَ، وَنَحْتَرِمُ بَعْضُنَا الْبَعْضَ، وَنَوْقِرُ بَعْضُنَا الْبَعْضَ، وَكَلَّ مَنْ رَأَيْنَاهُ مِنْ
الْفُقَرَاءِ نَتَوَسَّمُ فِيهِ الصَّلَاحَ وَالْوَلَايَةَ، كَلَّنَا عَلَيْنَا أَنْ نَتَوَسَّمُ فِيهِ الصَّلَاحَ وَالْوَلَايَةَ، بَلْ
أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، أَنْ نَتَوَسَّمُ فِيهِمْ نُورَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
فَكَيْفَ نُعِزُّ أَنْفُسَنَا بِعِزَّةِ النَّفْسِ لَا بِعِزَّةِ اللَّهِ، مِمَّنْ رَأَيْنَاهُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، أَنْ تَتَوَسَّمُوا فِيهِ
لِلَّهِ، وَنَحْبَهُ لِلَّهِ، وَنَنْصَحَهُ لِلَّهِ، وَنَدَلَّ عَلَى اللَّهِ بِحَسَبِ اسْتَطَاعَتِنَا، بِحَسَبِ الْاسْتَطَاعَةِ،
مَا كَانَ لِلَّهِ فَإِنَّهُ دَائِمًا مَتَّصِلٌ وَمَا كَانَ لِغَيْرِهِ انْقَطَعَ وَانْفَصَلَ، فَتَسْعَى إِلَى تَرْبِيَةِ النَّفُوسِ
وَتَحْسِنُ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ، وَتَتَوَجَّهَ لَهُ وَحْدَهُ، دُونَ غَيْرِهِ، عَابِدَةٌ رَاضِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ مُسَلِّمَةٌ، لَا
تَرْجُو مِنْ وَرَاءِ عَمَلِهَا إِلَّا أَنْ يَرْضَى عَنْهَا السَّيِّدُ، وَيَرْضَى بِخِدْمَتِهَا، لَا أَنْ يَرْضَى
عَلَى أَنْفُسِنَا، لِخِدْمَةِ السَّيِّدِ، فَالسَّيِّدُ سَيِّدٌ وَالْعَبْدُ عَبْدٌ، وَلَا شَيْءَ غَيْرَ ذَلِكَ، أَنْكَارِنَا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا تَعْلَمُونَ هِيَ أَنْكَارٌ قَلِيلَةٌ مِنْ حَيْثُ الْعَدَدِ، لَيْسَ فِيهَا تَعَبٌ، وَلَا مَشَقَّةٌ،
وَلَا خُلُوعٌ، إِنَّمَا أَنْكَارٌ نَلْتَزِمُهَا، كُلُّهَا مُسْتَنْبَطَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَمِنْ الشَّرْعِ، وَلَيْسَتْ بِالْكَثِيرَةِ،
وَلَا تَأْخُذُ وَقْتًا كَثِيرًا، وَلَكِنَّهَا لَهَا مَوْئِنَةٌ عَظِيمَةٌ، لِلضَّمَانَاتِ الَّتِي ضَمِنَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ مَنْ أَخَذَ هَذَا الْوَرْدَ وَتَمَسَّكَ بِهِ إِلَى نَهَائِهِ، وَعَمَلُ عَمَلًا
صَالِحًا وَتَأَدَّبَ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ، وَفِي حَضْرَةِ رَسُولِهِ وَفِي حَضْرَةِ شَيْخِهِ، وَفِي حَضْرَةِ

بعضنا البعض وفي حضرة المقدمين، ليس الشيء بالكثير، كما يقول الوالد رحمه الله، كلُّ في سوقه، كلُّ فقراء وكلُّ في سوقه، الحمد لله أغناهم الله بغناه، وبهجهم ببهجته، وزيتهم بخُلُقِه، وهم دائما ترى عليهم النور وأثر النعمة، حتّى أنّهم كانوا في إتقاع، ولا فقر، وإنّما في إتقاع والحمد لله، الفقراء كلّهم أغنياء بالله، ومستوري الحال، وهذا هو الأمر والحمد لله، لا يتذلّلون لغير الله، ولا يتسوّلون أحدا، ولا يمدّون أيديهم لأحد، وهم كرماء في أنفسهم، عظماء بانتسابهم إلى العظيم، العبد يزهو بسيّده، العبد يكون عظيما إذا كان في دائرة العظماء، فهو عظيم بما أنّه انتسب إلى العظماء،

وَإِذَا سَخَّرَ إِلَهُ أَنَا سَا *** لَسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سَعْدَاءُ

فإنّهم سعداء بذلك السعيد، الحمد لله أولا وآخرا، لقد جاء وقت العشاء، نصليّ العشاء، ثمّ بعد ذلك نستمع للأسئلة، لمن عنده أسئلة، سي الحبيب معنا نستمعه، يسمح لنا في هذا الأمر، ولكن عندنا أمانة نسلمها له، الأمانة ملقاة على عاتقه، إذا لم يبلغها الإنسان يحاسب عليها، والله من وراء القصد، والله الموفّق سبحانه وتعالى، آمين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ

سيدي الحاج الحبيب بن حامد يقرأ مقتطفات من كتاب سيدي الحاج محمد
القمار رضي الله عنه وأرضاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ
وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ
وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ.

الحمد لله الذي منح لأوليائه الوصول ۞ إلى مشاهدة أنواره في سائر الدهور ۞
وأجتباهم لإرشاد خلقه وأبعدهم عن الوهوم ۞ وجعلهم أبوابا لمن يريد الوصول للحي
القيوم ۞ وأسرج فيهم الحكمة التي أعجز عنها الفهوم ۞ وأهبت لهم الشفاعة يوم
العرض عند الحي القيوم ۞ وقسمهم أقساما لإقتداء حكمته يوم ينادى يوم الوقوف أين
الواصلون ۞ إشفعوا في كل من أردتم وأسقوه بكؤوس المنون ۞ وشققوا عند خطابه
وناشطوا بكثرة شفاعتهم لأمة خير رسول ۞ ونودوا عند ذلك بقول الغفور الرحيم ۞
أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبّرون ۞ يطاف عليهم بصحن من ذهب وأكواب وفيها
ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ۞ وقال ألا إنّ أولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ۞ والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين ۞ سيّدنا محمد
الرّسول المصطفى الكريم ۞ وعلى آله وذريته الأكرمين ۞ وعن الصحابة أجمعين ۞
وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ۞ والرّضى عن شيخنا التجاني خاتم
الأولياء والأقطاب أجمعين ۞ وعلى أولاده وأصحابه وأحبابه وفقرائه أفضل الرّضاء
عليهم أجمعين ۞ وأهد اللهمّ أمة الرّسول ۞ إلى طريق أهل الوصول ۞ وأغفر لنا
ولهم أجمعين والحمد لله ربّ العالمين.

فهذا الكناش مملوك لعبد ربّه تعالى الرّاجي عفو مولاه الغنيّ محمّد بن إبراهيم بن الطّيب التّيجاني السّوسي البعقلي القماري أراد بحول الله وقوّته أن يذكر بعض مناقب شيخه وبعض أسراره وبعض إشاراتهِ العلوّية وبعض أخلاقهِ الكريمة وزهده وورعه ومعاشرته مع الخلق رضي الله عنه ومتّعنا ونفعنا ببركته دنيا وأخرى وعاشرنا اللّهمّ معه ومع أولاده وأصحابه فيما بقى من عمرنا في الدّنيا والآخرة آمين آمين يا ربّ العالمين وهو رضي الله عنه العارف المعرّف إليه الواصل الموصِلُ إليه والرّاسخ الدّي من تمسّك بعهدهِ وصل إليه قُطْبُ عَوَالِمِ رَحَى حَيْثُ مَا كَانَ اللهُ إِلَهًا فهو رضي الله عنه خليفته فيه أمّنا الله بوصول الوصول على يديه آمين. هو شيخنا في كلّ شيء وأسمه هو ذا **سَيِّدُنَا الْحَاجُّ الْأَحْسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَمَاعَةِ الْبَعْقَلِيِّ التّيجاني الشّريف** سمعت منه رضي الله عنه قال ما سمّوني الأحسن حتّى صرّْتُ أحسن وقال : « قال لي صلّى الله عليه وسلّم أنت شريف » وقال : « حلف لي صلّى الله عليه وسلّم قال له لا يوجد مثلك على وجه الأرض في هذا الزّمان بالقسم منه صلّى الله عليه وسلّم » وقد كان رضي الله عنه يرعى الغنم ستّة سنين في صغره قبل قراءة القرآن ومع ذلك يتلو رضي الله عنه ثمانين ألفاً (80.000) من الصلاة على الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وفُتِحَ عليه وقال « عملت الفقراء في غنمي » يعني كان يقول : « هذه شاة قد فُتِحَ عليها وهؤلاء عن قريب والآخرين سيتبعونهم » يعني همّته رضي الله عنه سرَّتْ إلى الفقراء رغم صغره.

وقد كان الأولياء الكبار، أي الأموات رضي الله عنهم، في البعقلين يأتونه عيانا من جملتهم سيدي أحمد بن موسى وسيدي أحمد البعقلي وغيرهم رضي الله عنهم وعن شيخنا أفضل الرّضي وذلك في بعض الجبال في بلدة مسمّاة « بأفّض »، ينصحونه ويحرّضونه على القراءة وصار رضي الله عنه يقرأ القرآن حتى خرّج السّلّكة ورجع مع الأخرى إلى أن وصل إلى سورة السّجدة وقد كان ذلك العام جذب لم ينزل المطر فيه

لمدة طويلة، وكان اليوم الذي كتَبَ فيه سورة السجدة شديد الحرِّ ومُشمِسٌ ولمَّا فرغ من كتابها وعلّقها في شجرة كانت في الجامع وحلف رضي الله عنه أن لا يقرأها ولا يُعيدها إلى مكانها إلاّ إذا أتى الغيث، ثمّ خرج ليقضي حاجته وعاد منها مسرعا لأنّ المطر القويّ ينزل في الحين.

قال صلّى الله عليه وسلّم: « إنّ لله رجالاً لو أقسموا على الله لأبرّهم » فشكر الله وأعاد لوحته إلى أن ختم السِّلْكَةَ إلى أن وصل السّورة المذكورة وحلف أن لا يقرأها إلاّ إذا نظرها في اللّوح المحفوظ، في الحين أتاه اللّوح وقرأها فيه وقال : « كما كانت في اللّوحة كذلك في اللّوح لا زيادة ولا نقصان » لمّا قرأ القرآن رجع لقراءة العلم إثر تحريض الأولياء لأنّهم كانوا يأتونه في الجبل المذكور يوم الجمعة والله أعلم قال حتى يوم الاثنين ورُزق الفهم الكثير وكان في بعض المدارس في قبيلة أهل أُشْتُكْ وكانت أمّه للاً عائشة من أهل الخطوة تأتيه في عصر كلّ يوم بالأكل وكان بينها وبينه مسافة أيام رضي الله عنها لمّا قرأ رضي الله عنه أراد أن يقدّم إلى البلد وذهب إلى قباب بعض الأولياء مرارا، فكان بمجرد أن يدخل يقول له، أي الولي المدفون، ارجع اقرأ عيانا. وذات مرّة في مسجدهم بينما كان في المحراب دخلت عليه ثعلب في المقصورة وسمعها حين أتت تمشي بالبلغة لمّا دخلت صارت ثعلب وقالت له السلام عليك فردّ عليها السلام فقالت أتحسب أنك قرأت؟ ارجع اقرأ « شتى ما يبغيو فيك الناس » لمّا أتمّ القراءة رضي الله عنه أتى إلى داره واجتمع أيضا بالأولياء المذكورين ونطق سيدي أحمد بن موسى وقال له أتريد أن نبين لك ماذا تفعل فقال نعم وقال إمضي إلى موضع كذا وكذا وذلك الموضع في بلده وفيه كذا وكذا (أي من المال) فخذ وأبني به مدرسة ودرّس فيها وتتقوتُ أنت وطلبُكُ بذلك المال وأسترح.

وقلق منه وغضب سيدي الحاج الأحسن رضي الله عنه وقال له إمضي فلا أراك بعد هذا اليوم حين صارت الصحبة التي بيننا طمع فلا حاجة لي بك ولا بما قلت لي ومضى سيدي أحمد بن موسى وطال ما بينهم وقال شيخنا رضي الله عنه كيف أغضب على رجل توفي وأنا في الدنيا وورده المعلوم يتلوه كل يوم، أي الصلاة الأمية، يتلو فيه شيخنا البعقلي كل يوم دائما وهو (80.000) من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولما أيقن وتهيا إلى زيارة سيدي أحمد بن موسى لأنه كان صاحبه أكثر من الآخرين وخرج رضي الله عنه ولبس بُرنسه الأسود وخرج إلى أن وصل إلى وسط البلد أو الدار وأتاه شيطان مريد لعنه الله ولبس أيضا بُرنس أسود ممزق معلوم في ذلك البلد ووجهه قبيح المنظر وله عين واحدة خارجة كحبة العنب المفقوءة وتسيل بالدموع ولحيته فيها شعرات مثل القَطِّ وقال له أين تذهب ؟ فقال له رضي الله عنه إلى سيدي أحمد بن موسى فقال له لم يكن هناك فقال له ما سألتك هل هو هناك أصلاً ومضى إلى حاله ومضى سيدي الحاج الأحسن ودائماً لا يفتر عن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى ما شاء الله في الطريق أتاه اللعين أيضا وقال إلى أين وقال إلى فلان وقال ما قاله أولاً لم يكن هناك وقال له ما سألتك وأخذ يتهكّم منه ويقول " ضغ ضغ غ غ " يريد أن يثقل لسانه عن الذكر لأنه لا يزيد معه الكلمة بأختها ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى في حال سبيله لما وصل رضي الله عنه بعض الأودية في الطريق أو شعبة كبيرة في المرتع وأتاه اللعين في وسط الوادي وشده وشنقه من رقبتة وقال له إلى أين وقال إلى فلان فقال له أما قلت لك لم يكن هناك وقال له أما قلت لك ما سألتك وشنقه الشيطان حتى احمرت عيناه (أي سيدي الأحسن) رضي الله عنه وقال له لا بد أن ترجع وإلا فعلت بك كذا وكذا وقال له أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقال الشيطان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقال له أنت شيطان قال أنا شيطان وقال أيضا أعوذ

بالله من الشيطان الرجيم فقله أيضا وقال رضي الله عنه وتحيرت في أمري ولا يزيدني إلا تشنيقاً ودفعته وزدت وزاد لي تشنيقاً ويقول لا بد أن ترجع وإلا أهلكتك وبقينا ما شاء الله في ذلك الوادي وإن لعنته يقول مثل ما قلت وإن قلت له أنت شيطان يقول أنا شيطان وتحيرت لما عرف همّتي قويت على القدوم لا على الانصراف ولو فعل ما فعل وقبض على جبل يقال له بنكر ووضعه لي في الطريق وهو جبل لا طريق فيه وأطلقني بعد ذلك وقال اذهب وأين الطريق الآن وزادني حيرة ولا أرى منفذا أبدا وبقينا واقفين ما شاء الله ويقول مثل ما أقول أولاً وأنا ألعنه ويزيد في لعنه أيضا ولما قويت همّتي وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وتبدل لونه لعنه الله وكرزتها ثانية، وزادت فيه الصفرة وكرزتها الثالثة وأضحل فلا رأيته لا هو ولا الجبل ومضيت إلى أن وصلت إلى سيدي أحمد بن موسى ولقاني في مدخل القبة أو المركع لقد نسيت في أيهما لقيته وتحاكيا بينهما وصار صاحبه وزاره ويأتيه مرارا بعد مرار (هذا كله قبل أن يتلاقى مع الشيخ، هذا في ضغره) ويتحدثون إلى أن يحين وقت الصلاة ويرمون أقدامهم إلى مكة ولا يرمونها إلا إذا وقف الصف ويقول بيني وبين المدينة في تلك المدة أربعة أصابع لا جبل عندي ولا مسافة وذلك كله قبل دخولي في الطريقة التجانية وسافر إلى بلد أيت بعمران إلى بعض السادات وسمعهم يتحدثون ويقولون أن قراءة طه أو الكهف (والله أعلم) ليلة الجمعة أو ليلة الخميس يحضر فيها النبي صلى الله عليه وسلم، لما أدركنا ذات الليلة وقرأناها جماعة من الطلبة وأنا أبكي تشوقا إليه صلى الله عليه وسلم ها هو صلى الله عليه وسلم حاضر فيها من أولها إلى آخرها وقال لي بعضهم ما يبكيك يا ولدي وقلت له ها ما سمعت ها ما رأيت وبكوا رضوان الله عليهم أجمعين وكان رضي الله عنه يسمع الأولياء يذكرون القطب ويقولون هو سيدي الحاج الحسين الأفراني هو القطب وهو يعطي الطريقة التجانية ويقول في نفسه، أي

سيدي الحاج الأحسن، لم أعرف هذا القطب هل هو مثل الناس أم كيف هذا القطب ؟ (لا يعرف ما معنى القطب هل هو إنسان مثلنا أم كيف) ويقولون ويسمع أن من تلاقي مع القطب هو يوصله إلى الله وتحيرت وأين ما ذهبت يقولون لي شتّى ما يريد منك الناس وقال له بعض الأولياء كان يقرأ عليه العلم أعطيت مقام أويس القرني وزاد عليه عشرين مقاما أو أربعين قال رضي الله عنه سببه أنه كان سيدي الأحسن يكتب مناقبه بنفسه ويذخرهم تحت الأرض ورآه شيخه وطالعهم وقرأهم وقال له ذلك من حين عرفه وخرج من عنده وقال في نفسه إحسب أنك لم تعرفني (هذا فراق لَمَّا رأى عليه تلك المناقب) وحين عرفتنني فلا مكوث عندك ولم يرد رضي الله عنه الظهور وأشتهر رضي عنه وكلّ ذلك في صغره ويأتونه أهل البلاد لزيارته وأشتاق في بعض الأيام إلى زيارة القطب الجامع سيدي الحاج الحسين الأفراني رضي الله عنه وقال ها أنا أريد أن أمشي إليه فما الذي أزوره به لم يكن عندي شيء وكان رضي الله عنه له إخوة وكانوا ذو مال وقال لا يجوز لي أن أزور بمال الورثاء وذهب إليه بيديه خاوية بنيّة أن يوصله إلى الله وقال في نفسه إنني متوجّه إليه فإن كان قطبا فهو سيبحث عني وأنا أقف على باب داره لا غير وكان رضي الله عنه ساكنا في مدينة تزنييت وأتاه رضي الله عنه وكان المطر يهطل وأمتأ الوادي بعدما وصل رضي الله عنه عاد حمل الوادي وسأل عن داره فَوُورِيَتْ له ووقف على بابها بعيدا ولم يرى أحدا ووقف ثانية كذلك وكان رضي الله عنه عنده خبر به (أي سيدي الحاج الحسين الأفراني) ومضى إلى المدرسة عند بعض الطلبة بات فيه إلى الصّباح وأخرج سيدي الحاج الحسين رضي الله عنه أصحابه يبحثون عنه في اللّيل وكان المطر غزيرا وخرج بضع وعشرة من أصحابه وأعطى لكل واحد منهم برنس أسود وفانوس (ليستضاء به) ويقول لهم أمضوا كل واحد منكم إلى فلان وفلان وفلان أكابر أهل تزنييت إلى أن كاد بعضهم أن يغرق في الوادي وأتوا في وسط اللّيل ولم

يعرفوا أين هو وآخر الليل لما أصبح الصّباح وأتى سيدي الحاج الأحسن رضي الله عنه وقال أيضا لا بدّ أن أقف على باب داره بعيدا ولا أطرقه وإن كان قطبا فهو يبحث عني ليوصلني إلى الله لما أتى إلى أن وصل أمام الباب أخرج القطب سيدي الحاج الحسين الأفراني يده الشريفة من الفتحة التي يدخلون منها أيديهم ليفتحون الباب وأخرجها مشيرا له وينظر الآخر رضي الله عنه اليد تشير ولا يرى شخصا ومضى إلى الباب وفتح القطب الباب من غير أن يراه وأدخله رضي الله عنه وأغلق الباب وسلّم عليه وأعتذر منه وقال له ما سألتنا شيئا البارحة ؟ (هو يسمع في قلبه، قال رضي الله عنه عندي الخواطر كلّها كالرعد القاصف ولا يشغلني خاطر عن خاطر، كلّها أسمعها وأفهم ما يقول فلان وفلان، حتّى الحيوانات وكلّ شيء) قد مضى أصحابي وفتّشوا عنك عند أكابر تزنيّت مضوا إليهم وسألوهم عنك ولم يرك أحد حتى كاد الوادي أن يذهب ببعضهم لغزارة المطر وحمل الوادي ومضى به إلى بعض البيوت وقال أنظر ما علّق فيه ونظر رضي الله عنه فوجد فيه البرانس كلّهم مبللين وكل واحد معلق ومعه الفانوس ويقول له هاهو واحد وهذا الآخر ثمّ الآخر إلى أن عدّهم له رضي الله عنه وقال له أين بتّ البارحة فقال له في مدرسة كذا عند الطالب فلان (فرح به جدّا) وقال له سبحان الله أنا قلت لا تقصد إلا أكابر تزنيّت وفرح به ثمّ بعد ذلك فرّش له أنواع الفراش وأتى له بشتّى الكتب ووضعهم بين يديه وقال له اطّلع عليهم ومضى. وأمّسك رضي الله عنه كتابا وفتحته وقرأ فيه مسألة واحدة وذكرها لنا قد نسيتها ثمّ أغلقه ووضعها فوق الكتب ومكث الشيخ ما شاء الله ثمّ أتاه فوجده يصلّي على النّبي صلّى الله عليه وسلّم وقال له أقرأت الكتب ؟ فأجابته لا حاجة لي بها وإنّما أتيتك لوجه الله لتوصلني إليه جلّ وعلا وذلك كلّه رضي الله عنه إختبارا له وفرح به أيّما فرح وأعطاه الطّريقة التّجانية رضي الله عنهما وقدمه فيها ومن جملة ما قال له بعد الورد والوظيفة اللاّزمة، أذنتك في جميع أورد الشيخ رضي

لله عنه وفي الأسماء والمسمّيات والأسرار والإرشاد والترقية والأحوال وفي تدريس العلوم والتفسير لكتاب الله والحديث والخواص وأذنتك في جميع ما يُعبد به الله على الإطلاق سرُّ أنت خليفتي أنت خليفتي أنت خليفتي لا تطيلُ الغياب عني ...

رجال إذا رُؤوا نُكِرَ اللهُ، رجال إذا سمع المرأ خبرهم، عبدَ اللهُ، لأنَّهم كلَّهم أسماء من أسماء الله، هؤلاء الرجال إنّما هم اسم من أسماء الله، فبالاسم يتصرّفون، وبه تنزل البركات كما قلنا، وبه ينبت الزّرع، وبه ينزل المطر، وبه يغاث النّاس، وبه يعسرون، رجال لو أقسموا على الله لأبرّهم، قال صلّى الله عليه وسلّم « **إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ** »¹، هذا الأمر هو الذي ينبغي لنا أن نعتقده، وأن نصدّقه، وأن نسلم لأهله، لأنّ الأحاديث كثيرة في هذا الشّأن عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يُظهر دينه جعل سببا لذلك من الرّجال، لأنّ المعاشرة هي للأحياء، الحيّ يصاحب الحيّ، الميّت قضي نحبّه، وانتهى عمله بلا إله إلاّ الله، وترك من بعده، من يرثه ومن يحمل المسؤوليّة بعده، ليلقنها إلى الأحياء، والأموات جاهدوا ونصروا الله، فنصرهم، وأحياهم الله حياة طيّبة، في الدّنيا وفي الآخرة، إنّ ما يفرحهم ويسرّهم أن تُعرّض أعمال فقرائهم، وأصحابهم، وهم راضون عن أعمالهم، بعد أن تمسّكوا بالخليفة، الذي ورث سرّه ورصيّته بعده، فالذي يترك الوسائط، ويجعل من نفسه أنّه وصل، إنّما تكذب عليه نفسه، فهو لا بالواصل، ولا بالآتي، ولا بالزّابح، لأنّه خرق الشّرع، الذي يقول لنا صلّى الله عليه وسلّم « **مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ** »²، ومن لم يحمد النّاس لا يحمد الله، فبحمد الوسيط تحمد الموسوط، فالرسول صلّى الله عليه وسلّم مات وخرجت وروحه، ولكن مرتبته بقيت سارية، كسريان الماء في الأوراق وفي الأشجار وفي النّباتات، إنّما تظهر تلك الأوراق في الخلفاء، الذين يحملون السرّ، ويسري فيهم السرّ، فإذا ما انتقلوا إلى ربّهم خَلَفَهُمْ أيضا، خَلَفُ صالح، يحمل نفس الأمر إلى الأحياء، وهكذا أيّها الإخوة، من أراد أن يتمسّك بدينه

¹ رواه البخاري عن الأنصاري

² أخرجه أحمد في مسنده والترمذي عن أبي سعيد الخدري

ويتمسك بطريقته، فعليه أن يمثل أمر الشرع، الشرع هو الحاكم، وهو الغطاء، وهو العرش، وهو الذي لا يمكن لعقولنا أن تنفذ منه، فعقولنا محكومة بالشرع، ومن أراد أن يحكم الشرع بعقله إنما ضلّ، وهام في وسط الأدغال، فلا هو بالناجي ولا هو بالغارق، فهو ضالّ، لذلك أيها الإخوة سنّة الله هكذا، سنّة الله في الأرض، المصاحبة، التعظيم، التبجيل لمن سبقنا، والتقدير والاحترام لمن تحمّل المسؤولية، وسار على الدرب يدلّ الناس على الله، لابدّ من الاجتماع عليه، والاهتداء بما يوصله للقلوب، وحسن الظنّ، وتنقية القلوب وتصفيها ممّا يكدر مرآتها ويعتم نورها، فإننا لم نبقى واقفين ننظر، لأنّ الانتظار مع وجود الذي ننتظره، ونتنكر إليه، فهو غرور النفس وضلال وبهتان، لأنّ الله تبارك وتعالى يكون مع المتقين المحسنين، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾¹، والمتقين المحسنين هم الأحياء، أمّا الأموات فقد ساروا إلى ربّهم، وخلفوا ورائهم من يرضون عنه، وتعرض أعماله عليهم، يقول الله تبارك وتعالى ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾²، سيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون، فالمؤمنون هم أيضا يرون أعمالنا، الذين فارقونا تعرض أعمالنا عليهم، الشيوخ والمشايع تعرض أعمالنا عليهم، الوالدين تعرض أعمال أبنائهم عليهم، فإن رأوا ما يرضون عنه شكروا الله، وإن علموا غير ذلك سألوا الله تبارك وتعالى الهداية والتوفيق لهم، قال صلى الله عليه وسلّم « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد

¹ سورة النقرة الآية 194 و 195

² سورة التوبة الآية 105

وجوههم بياضا وإشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم»¹، إذا فالأعمال تُعرض، ومن شدَّ شدَّ لنفسه، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾²، لذا أيها الأخوة شدُّوا أحزمتكم واحرصوا على دينكم، وارعوا حرمة ربِّكم، وسيروا على النهج، نهج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»³، والمسلم لا يُسمَّى مسلما حتَّى يسلم أخاه المسلم من يده وأذاه، من يده ولسانه، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من أمانه الناس على دمائهم وأموالهم والمهاجر من هجر السوء فاجتنبه»⁴، لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من نفسه وماله ووالده ووالديه والنَّاس أجمعين، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول «لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من ماله وأهله والناس أجمعين»⁵، كذلك إذا أحبَّ الإنسان عملا يجب أن يكون اعتباره فوق كلِّ شيء، «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَىٰ»⁶، ونسأل الله لنا ولكم جميعا أن يثبتنا على هذا الأمر الذي نحن فيه، وأن يبصِّرنا وأن ينور بصائرنا حتَّى تتفتَّح جميع مسامنا فنرى الحقَّ حقًا فننتبعه والباطل باطلا فنجتنبه، ونقول للإخوان إنَّ هذه الزيارة التي كانت مقررة في علم الله، ولا يفعل ربِّك إلاَّ خيرا، رأيناكم وزرناكم وشاهدنا ما يسرنا فيكم، فاعملوا وسيروا الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وسنحمل هذا الانطباع وهذا الارتسام الذي هو كلُّه بشرى إلى إخوانكم في الدار البيضاء وفي المغرب، لنقول لهم أننا كُنَّا بين إخوان وأصدقاء ورفقاء وأصحاب وكرماء، كُنَّا بينهم فلم نرى فيهم إلاَّ الصَّالحُ والصَّالح،

1 السيوطي في الجامع الكبير

2 سورة الفتح الآية 10

3 البخاري ومسلم عن أبي بردة عن أبي موسى

4 السيوطي في جامع الأحاديث عن أنس رضي الله عنه

5 أخرجه النسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه

6 أبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عمر ابن الخطاب

والصّالحة أيضا والصّالحة، وسنكون بعد فراقكم نحسّ في نفسنا أنّنا لم نفارقكم بأرواحنا وإنّما بأجسامنا فقط، والأجسام لا بدّ أن تفارق الأجسام، إنّما الأرواح هي الجنود المجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تتاكر منها اختلف، « الأرواحُ جنود مُجنّدة فما تعارفَ منها ائتلفَ وما تتاكرَ منها اختلفَ »¹، ولا نقول شكرا لكم وشكرا لسي الحبيب وشكرا لإخوانه جميعا، لأنّنا لا نشكر أنفسنا، لأنّنا إذا شكرناكم فقد شكرنا أنفسنا لأنّنا نحن ذات واحدة، ما يجري على المثل يجري على المماثل، ولكن من باب الأدب والمجاملة لا بدّ لنا أن نشكركم، ونشكر سي الحبيب، ونشكر الإخوان، لأنّ من لم يشكر النَّاس لا يشكر الله، وقد أثرتم فينا بأدبكم وبعملكم وبانضمامكم وانطوائكم وبجمعكم وبذكركم وبهيلتكم وبالوظيفة، سيبقى ذلك كلّ شيء منقوشا في نفوسنا وفي أرواحنا، وسيروا على أعمالكم وبلغوا إخوانكم، وتضافروا مع بعضكم، وصقّوا نفوسكم، لأنّه إن لم تصفّ النفس فإنّ الإيمان لا يسلم لصاحبه، والعمل للجميع هو لأجل تحصين إيماننا وعقيدتنا، ومحبتنا في الله وفي رسولنا وفي شيخكم، ونسأل الله أن يُديم عليكم وعلينا جميعا هذا الوفاق وهذا الوئام وهذا الوداد وهذا التودّد الذي هو كلّه خالص لوجه الله، جمعنا، إطعامنا، إكرامنا، الخروج بنا هنا وهنا، وتقديم مساكنكم لنا، كلّ هذا من باب الإكرام أو التّكريم، الذي هو من سمة المؤمنين الصّالحين، فجازاكم الله خيرا، جازاكم الله خيرا، هذا ما نقول لكم إن شاء الله، ولي كلمة كتبتها سنقولها لتكون هي خاتمة هذا المجلس، حتّى نتفرّغ لما هو لا بدّ لنا منه، وهو السفر إن شاء الله، غدا إن شاء الله.

بشرى لنا معشر الإسلام إنّ لنا *** من العناية ركننا غير منهمد

الكلمة الختامية لسيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

¹ البخارى عن عائشة. أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة. والسيوطي في جامع الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين

أعزّ الله سعادة إخواننا في الله المتحابّين في ذات الله أهل الدائرة الفضليّة السالكين مسلك المقرّبين المخصوصين المتقّانين في محبّة الله ومحبة رسوله صلّى الله عليه وسلّم من أحبّهم الله وكتبهم في أزله من السعداء المنيبين إليه المعتمدين على فضله المدرجين فضلا ومحبة في دائرة المأذون له في تربية خلقه خليفة رسول الله سيّد الكائنات ومعدن السعادات عين الحقيقة محمّد أشرف المخلوقات محطّ العناية الإلهيّة باب الله البرزخ بين بحر الألوهيّة وبحر الخليقة أعني به القطب الجامع الكامل المكمل من ربّه المعتنى به من رسوله خليفته ودرّة أسراره وفيوضات معارفه وعلومه مولانا أحمد بن محمّد أبو العباس التيجاني رضي الله عنه وأرضاه في الأولين والآخرين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعمّم وأهلكم ومن انتسب إلى القطر التّونسي سلامها وأمنها وتحفّم بركتها بالخيرات والألطف الإلهيّة.

وبعد، شاهدناكم بالله وزرناكم في عالم الأرواح وسماء الألفاف قبل زيارتكم بالأقدام والفعل فعائنا منكم بالعين المجرّدة ما شاهدناه بالبصائر وعين المحبّة. أفاض الله على إخواننا خير الدّنيا والآخرة ورزقنا وإياكم الإنابة إليه والاستقامة على طريقه واتّباع حبيبه والافتداء الأمثل بكمال التّصديق وعين المحبّة لطريقه شيخنا وقدوتنا ومن عاهدناه على ملازمة أوراده والانطباع بأخلاقه التي هي أحوال خلفائه الكمل من بعده الشاربيين من فيض بحره الغرقى في محبّة طريقه تصديقا بما ذاقوا ولمسوا وعانينا. فافهم نورك الله بنور الفهم وأعادنا وإياكم من ظلام أودية الشّكوك والرّيب، وليعلم إخواننا أنّ الطريقة التجانيّة الأحمدية طريقة السنّة والشّكر والعمل الدّائب

المتحقق به بالشرع فالشرع أحكام الله والحقائق ثمرة أنوار الشرع فلا فتح ولا سرّ إلاّ بهدي الشرع فالشرع أمّ والحقيقة فرع فمن يبحث عن الأسرار دون الاهتداء بطرائق الشرع وأحكامه وأصوله وفروعه فلا يجني إلاّ التعب والنصب والدوران في دائرة مفرغة لا بالبداية اهتدى ولا بالنهاية حقّ ما رجي. فالخير في معاينة الحقّ بعين بصيرة الحقّ قال تعالى ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾¹ لا تقربوا الأسرار وتطلّعوا على الحقائق حتى تطهروا من كدورات النفوس وتعلموا من الشرع ومن صاحب الشرع ما تقولون لأنفسكم وما تحدّثون به من ترّضون عنه من حق زَيْن في الأنفس وأثمر أخلاقاً وآداباً مرضيةً وسلوكاً حسناً حسنه الشرع وأقره العمل الذي هو عين ما اقتبس من معين الشريعة ؛ فلا تلتبس الطرق الميسرة بإذن الله بطرق الأهواء فأهل الطريقة التجانية عاهدوا الله ورسولهم وعاهدوا شيخهم على أن يحاربوا النفس والهوى وقمع الشيطان وأعوانه حتى أسلم شيطانهم بقوة نور بصائرهم وعقدتهم العزم بالله على متابعة شيخهم المتّبع نبييهم متابعة تامّة عبادة وأخلاقاً واقتداء ؛ فجرّدوا من الأهواء فلم يدانيهم أحد في صلاحهم ولا يعلو عليهم أحد في صلابة ما تمسّكوا به من يقين برّبهم والعمل بشريعة نبييهم والسير على منوال حال شيخهم الذي هو تجريد القلوب ممّا سوى معبودهم الله وإمحاض العبوديّة الخالصة من الأغراض والنزوعات النفسية منقادين بمحض الفضل وحسن الاقتداء إلى ما يرضي ربّهم فلا حال يميّزهم عن خلق الله ولا طمع لهم إلاّ في إجابة دعائهم في الاستقامة على طاعة مولاهم ؛ راضين بما رضي عنهم مولاهم ؛ فلا ميل لغيره ولا شكوى إلاّ إليه هائمين في حضرة الرّضى قائمين بالحق لا يعدلون عنه أبداً.

إخواننا ؛ شמוש المعارف وكنوز الأسرار وسرّ المجادات ؛ عرفتم ما عرفتم إلاّ بمصاحبة من صاحب الله بالعلم والمعرفة والإتباع فاعرفوا حقّ علمائكم ومن اقتديتم

¹ سورة النساء الآية 43

منهم بهم فذلك من الهدى الإلهي والآداب المصطفوي وقد جمعكم الله بمن دلكم على الله أو سمعتم بهم بما تركوا من آثار تدلّ على صدقهم والوفاء لرّبهم بإرشادهم عباد الله وتوجيههم إلى الوجهة الصّالحة المرضيّة وجهة تنقية القلوب وتطهيرها ممّا يكدر عليها صفاء عبادة ربّها فكانوا بحقّ رجالا وفوا بما عاهدوا وصدّقوا وصادقوا فبالصدق والتّصديق والكلمة الصّادقة من الصّادق مع ربّه فتح الله بهم قلوبا حيرى ونفوسا تائهة فاهتدى من هدى إلى الطّريق المستقيم ونال خير الدارين وكتب في الصّالحين ؛ والسّيد الجليل العالم العارف برّبّه القدوة الأمثل الوفي بما عاهد عليه ذو الفيوضات الإلهيّة العظيمة والكرامات المبهرة للعقول الخارقة لعوائد النّفس الّذي أفنى حياته داعيا إلى الله معلّما مرشداً موجهاً مُشرفاً مُعطى من نفسه القدوة في العمل الدؤوب والاستقامة الظّاهرة والباطنة أعني به الوليّ الصّالح الّذي لا يبارى في صلاحه ولا يجارى في ورعه واستقامته الحاج محمّد الكماري قدّس الله سرّه ورفع ذكره في الآخريّن أخلص عمله لله وخدم شيخه بالتربية بطريقته فهان عليه لمعرفته طريق ما قصد ؛ ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد فيها هو آثاره يظهر في محبّيه ومريديه هدياً وعملاً صالحاً وآداباً سنياً وعلماً ينتفع به وفقراء مقتدين به متخلقين بالأخلاق الحقية والسنن المرضيّة فنعم العالم والمتعلّم والمرشد والرّاشد به وإذا قضى نحبّه ولحق برّبّه فإنّ سرّه ظهر في وارث سرّه وخليفته من بعده بلا جدال السّيد المبارك فيه الحيّ النّفاع من ظهرت عليه النّجابه في حياة مربّيه الفاضل التقي النقي دُرّة أفندتنا ومحلّ عنايتنا وقرّة أعيننا الحاج الحبيب بن حامد الصّافي في محبّته البار بوليّ نعمته عليه. فهو أهل لما حُمِّلَ به فاتّبعوه وأحسنوا الظنّ فيه ومعه فقد شرب من عين شيخه وارثشف من بحر سرّه ؛ وقد أفيض عليه من حضرة ربّه وحضرة نبيّه وتلقى بالإقبال والرّضى من دائرة شيخه فتعاونوا معه وعظّموا حضرته فإنّه يلقّن الحكمة فاقتربوا منه. فإنّه بالله صالح مصلح يُقتدى به في الظاهر والباطن

؛ فلا تنسوا حقَّ الإخاء والتعظيم والإقرار بالجميل في ذريّة الشيخ الكماري فإنهم جميعاً ذكوراً وإناثاً شاربون من حوض أبيهم وكلّهم صلحاء فأحسنوا الظنّ فيهم وأعينوهم على أنفسهم بالتقدير لهم فإنّ الولد سرّ أبيه لكنّ العناية هي السائق فالله هو الْمُفْضِلُ من يشاء على من يشاء ولا حسد على الفضل ؛ فالكلّ دلالة على الله فعظّموا ما عظم الشّرع لا ما عظم بالهوى. فلا حسد إلاّ في إثنتين : رجُلٌ أتاه الله القرآن فهو به قائم معلماً وتالياً آناء اللّيل وأطراف النّهار ورجل رزق الله مالاً من دنيا صالحة فهو ينفقه في خير عباد الله سرّاً وعلانية. فارعوا إخواني حق الله عليكم وحق علمائكم فإنهم النبراس المضيء الهاتك لظلام الجهل والغفلات.

وفق الله الجميع وبصّرنا بعيوبنا وألهمنا رشدنا. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
كتبه بخطّ يده خادم الأعتاب التّجانيّة والحضرة الشّريفة في يوم السبت ثالث شعبان عام 1430 الموافق 25 جويلية 2009 الحاج محمّد الكبير أبو عقيل بن الحاج الأحسن بن محمّد البعقلي آمنه الله وحفظه من كلّ مكروه.

شكراً جزيلاً والشّكر لله

والسلام عليكم ورحمة الله

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ
بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَاللَّهُ بِمَا نَعْمَدُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 أَغْنَى اللَّهُ سَعَادَةَ أَخْوَانِنَا فِي اللَّهِ الْإِطْحَاقِينَ بِمِنْ تَرَاتِ اللَّهُ
 أَهْلِ الدَّائِرَةِ الْفَصْلِيَّةِ الْمَسَالِكِينَ بِسَلْدِ الْمَقْرَبِينَ الْمَخْصُومِينَ
 الْمُنْقَاتِينَ فِي حَيْبِ اللَّهِ وَمَكِينِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مِنْ أَهْلِكُمْ إِلَيْهِ وَكَتَبْتُمْ لَهُ أَنْزَلَهُ هُوَ السَّعْدَاءُ الْمُنْبِيِّ إِلَيْهِ
 الْمَعْتَدِينَ عَلَى فَضْلِهِ الْمُدْرَجِينَ فِيهِ وَفَضْلِهِ فِي دَائِرَةِ الْمُنَافِقِينَ
 لَهُ فِي قَرِيْبَةِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ رَسُوْلُ اللَّهِ سَيِّدُ الْكَائِنَاتِ وَمَعْدِنُ السَّعَادَاتِ
 عَيْبِ الْحَقِيْقَةِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ الْمَخْلُوقَاتِ بِحُطُو الْعِيَاةِ الْإِلَهِيَّةِ بَابِ الْبَلَاغِ الْمَرْزُوقِ
 بِسْمِ اللَّهِ الْمَلَكِيِّ وَخَرِ الْحَقِيْقَةِ الْعَلِيِّ بِهِ الْقَبْلُ الْجَمْعُ الْكَامِلُ الْمَكْمُلُ
 مَعْرَبُهُ الْمَعْتَقِيُّ بِهِ مِنْ رَسُولِهِ عَلَيْهِ وَحِزْنَةُ أَسْرَارِهِ وَفِي صِفَاتِ مَعَارِفِهِ
 وَعَلَيْهِمْ مَوْلَانَا مُحَمَّدٌ أَبُو الْعَبَّاسِ الْخَافِي رَحِمَهُ اللَّهُ خَلْقَهُ وَارْضَاهُ
 فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَعْلِيمُكُمْ وَأَهْلِكُمْ وَمَدَانَتُسِبِ
 الْمَسْأَلَةِ التَّوَسُّلِيَّةِ سَلَامُهُمْ وَأَمْنُهُمْ وَحُفَّتُمْ بِرُكْنَيْهَا بِالْخَيْرَاتِ وَالْإِطْحَاقِ
 الْإِلَهِيَّةِ

وَبِعَدَدِ مَا لَقُونَا بِكُمْ بِاللَّهِ وَزُرْنَاكُمْ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ وَسَيِّدِ الْأَطْنِاقِ
 خَيْرِ بَارِئَاتِكُمْ بِالْإِقْدَامِ وَالْفِعْلِ وَصَائِنَا مِنْكُمْ بِالْحَبِيبِ الْجُرُودَةِ مَا مَنَّا قَدْرَانَا
 بِالْبَصَائِرِ وَعَيْنِ الْمَخْتِ. أَضَاحِي اللَّهِ عَلَى أَخْوَانِنَا حَمِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَرُزْقِنَا وَإِيَّاكُمْ الْإِنْبَاءَ إِلَيْهِ وَالْإِسْتِغَامَةَ عَلَى طَرِيقِهِ وَأَتْبَاعِ حَمِيمِيهِ
 وَالْإِقْتِدَاءِ الْأَمْتِلِ بِكَمَالِ الصُّلُوقِ وَعَيْنِ الْمِحْمَةِ لِنُظَرِّقَهُ سُبْحَانَا وَقُدْرَتَنَا
 وَمَدَانَتَنَا عَلَى مَلَازِمَتِهِ أَوْرَادَهُ وَالْإِنْبِيَاءِ بِأَخْلَاقِهِ النَّبِيِّ أَحْوَالِ خَلْقَانَهُ
 الْكَمَلِ مَدْرَجَةً الشَّارِبِ مِنْ قِنَصِ حَمْرِهِ الْعَرَقِيِّ وَبِحُجَّةِ طَرِيقِهِ تَعْدِيْقَنَا

لصديقا

لما ذاقوا ما طعموا وعابوا فاجروهم نورك الله بنور الفهم
 وبعادنا وراياكم من ظلام اودية الشكوك والريث
 وليعلم اخواننا ان الطريقة التجانية الا مهدية طريقة السنة
 والشكر والعمل الذائب المتيقن به بالمشروع فالمشروع احكام
 الله والحقايق لمرة ابواب المشروع فلا فتح ولا يسر الا بهدي
 المشروع فالمشروع اتم والحقيقة فرع فمن يبحث عن الاسرار دون
 الاهتداء بطرائق المشروع واحكامه واهوله وفروعه فلا تجني
 الا التقي والنسب والدوزان في دائرة مفرقة لا بلداية امتدى
 ولا بالشهارة حرق ما رجسى فالخير في مفيد الحقايق
 بصيرة الحق قال تعالى: لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
 حتى تعلموا ما تقولون لا تقربوا الاسرار وتظنوا ان الحقائق
 حتى تصهروا من كدورات النفوس وتعلموا من الشرع ومن حاشية
 المشروع ما تقولون لا تفكروا وما تحدثون به من شؤون بجملة
 من خوف ودين في النفوس وانما اخلاقات اديانهم وسلوكها
 حسنة قبلت منه المشروع وافره العمل الذي للوعين ما قد نسي من معين
 الشريعة فلا تلتزموا الاطيسرة بلذخ الله بطرق الانوار
 فاحل الطريقة التجانية عابوا الله ورسوله وعابوا
 بشيخهم عابوا ان عابوا النفوس والهمسوى بفتح الشيطان وللوانه
 حتى اسلم شيطانهم بقوه نور يصاغرهم وعقد هم الغزم بالله
 على منارهم الشيطان اطمئنع فيصاغر منارهم عبادته واخلاقا
 من اوقنوا في جزوا من الانوار فلم يواينهم احد من هلاكهم ولا يعلوا
 عليهم احد من الهالكه ما لم يسكوا به من يقين برهم والعمل بشريعة

فيهم والصبير على منوال حال شجرهم الذي لم يمت بعد القلوب
 مما سوى محمود لهم (الله والحق والجمودية الخالصة من الاشرار
 والغزوات الدينية منقادين لمحسن الفضل وحسن الاقتدار الى ما يريهم
 ربه) فالحال طينتهم عن حرفة الله ولا جمع لهم الا في رحمة وعافيتهم
 في الاستقامة على جماعة مولا لهم، واليه من صهي عندهم مولا لهم، ولا ميل
 لغيره ولا يتكوى الا اليه فانهم في حصة الرضى قائلين يا حي يا قيوم
 عه ليدرا.

احواننا، سمعنا المعارف ولنوز الاسرار وشرا ما جاد ان، غيرهم ما عرفتم
 الا طاعة من جاهد الله بالمقام والمعرفة والاتباع فاعرفوا حق علمانكم
 ومن اقتدواكم بهم فذلك من الهدي والهدى والارباب المصطفى وتوجهكم
 الله على ذلكم على الله او سمعتم بهم مما تركوا من آثار قول غيبي هديهم والوفاء
 لربهم يا رسا دلتهم عماد الله وتوحيدهم الى الوجه الصالح المرحمة وجملة
 تدبير القلوب ونظيرهم هاهنا يذكر عليها صفات عبادتها فكلوا بحسب
 رجا لا تفرحوا بما عاهدوا او هددوا وهاذقوا بالصدي والصدق والاكلمة
 الصادقة من الصادق مع ربه فتح الله بهم قلوبا خيرة ونفوسا
 تائهة فما هتدي من هدي الى انظره المستقيم ونال عبي الدارين وكتب
 في الصالحين، والسيد الخليل والعالم العارف من به الدعوة الاعمل للوفي ما عاهد
 عليه ذو العيوشات الانبية المصطفية والكريمات المشهورة للقول الخارقة
 لهو انما الذي افضى افضى حياته - انما الى الله معك ما من شرا موجها
 منسقا منسقا من روضة القدرة في العمل الذوق والاستقامة القابرة
 والباقية التي به للولاه الاحسان الذي لا يبارى في صلاحه ولا يبارى في ورعه
 واستقامته، الحق مع محمود انما حري قدس الله سره وورع ذكره في الاخرين
 اخلص عمله لله عز وجل شجرة بالبرية مطروحة في حصار عليا

سيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه

هذا ما جاد به الوقت والزمان، وما أراد الله أن نقول في هذا المكان، فلا تتسونا من صالح دعائكم لنا ولأبنائنا ولذريتنا ولكل من تعلق بنا وأحبنا وأكل طعامنا ونظر إلينا، فلا تتسونا من دعائكم الصالح، فهو العهد الذي بيننا وبينكم، فلا طمع لنا في شيء إلا في هذا الودّ والوداد الذي يكون عن طريق الدعاء الصالح، قال الله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾¹، إلا المودّة في القربى فقط، فأحسنوا واعملوا وقاربوا وسدّدوا والله معكم يُصلح أعمالكم ويؤتاكم أعمالكم، إنّه قدير عليم رؤوف رحيم، ونستودعكم الله، ولا تتسونا من دعائكم الصالح، نعم،

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

الله يحفظكم سيدنا، ويطوّل في عمركم جميعا مع الصّحة والعافية، هذا دائما دعائنا لكم، جميع الفقراء يدعون لكم بالصّحة والعافية وطول العمر، وأن يبارك لنا فيكم وفي أنفاسكم لجميع الأمّة والله الحمد، كأننا وُلدنا من جديد، وهذه شهادة الناس، لله، كلّ من حضر مجالسكم، وسمع بذكركم، وسمع كلماتكم، إلا وانتعش قلبه ورجع مباشرة للمقام التاسع، الحمد لله، الفقير يكون هكذا وهكذا، ويأتي أخ صالح وشيخ واصل ومن يرجعه إلى الله ويبثّ فيه هذه الهمم البعيدة البعيدة، التي كلّ الفقراء يشعرون بها ويفهمونها لكن يعزّ ويصعب التعبير عنها، وإنما كلّ ما بلّغتموه بقلوبكم نهنتكم سيدي أنّه وصل وصل وصل، بتمام الوصول، ووقر في القلوب، لكن الكلام لا يجدي فيه كما تعلمون، إنّما وقر، وأصبحت تلك الأنوار التي شربناها، أصبحت حالا، لربّما مقاما من قبل أن ترجعوا إلى المغرب إن شاء الله، نحسّ أنّها تغلغت والله الحمد، وأثمرت فينا من اليوم، ومن البارحة، زيادة في الخير وزيادة في الثّبات وزيادة في التّوجّه إلى هذا المشرب الصّافي الصّافي الصّافي، الذي ليس فيه

¹ سورة الشورى الآية 23

إِلَّا مَحَبَّةَ اللَّهِ لذاته سبحانه وتعالى وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نهتأكم إن شاء الله، سيدنا لا تسمعون عتًا إِلَّا الخير، وزيادة الخير ظاهرا وباطنا، في أنفسنا، هذا عهد منِّي وإن شاء الله من جميع الإخوان مع بعضنا البعض إِلَّا المحبَّة الصافية إن شاء الله، والقلوب الصافية، وفي ذرية شيخنا سيدي محمد القماري، الذين هم إخواننا وكبرائنا، وهم أكابر الأولياء كلَّهم، لا تسمع منَّا ومنهم إِلَّا الخير في بعضنا البعض إن شاء الله، ونحن لبعضنا البعض لا نمضي إِلَّا في التَّنَزُّلِ لبعضنا البعض وفي حضيض العموم حتَّى نكون لإخواننا حصيرا يمشون عليه كما يحبُّون، ومن لم يصبر للعب أولاده في حجره فإنَّه ما عرف الطريقة وما عرف قدرهم، الله يثبِّتنا على هذا الشيء، حتَّى نكون نصبر للعب جميع أحبائنا في حجورنا مهما فعلوا، وإن شاء الله لا يكون إِلَّا الصفاء التَّام ببركاتكم وبدعائكم سيدي.

وهذا سي المنجي الرِّياحي، يقرأ لنا قليلا من التَّرجسة العنبريَّة في الصَّلَاة على خير البرية لسيدي إبراهيم الرِّياحي، ولا نطيل إن شاء الله، تبرِّكا وجزاكم الله كلَّ خير.

سيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه

هذا كلام العارفين، وكلام العارفين فَيُضُّ من فَيُضِّ الرِّحْمَن، فهو من الله إليهم، وتكلِّموا بلسان الحقِّ، الَّذِي أفاض عليهم ذلك الأمر بواسطة البرزخ بيننا وبين الله، سيِّدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك خليفته، شيخنا أحمد التَّجاني رضي الله عنه وأرضاه، هذا كلام يقال لكنَّه سرٌّ من أسرار الله، وعمل يُهْتَدَى به، ويُقْتَدَى به، جازاهم الله خيرا، ورضي الله عنهم، ورضي الله عن الشيخ سيدي إبراهيم الرِّياحي، رضاء تَمَّا كاملا شاملا من الله ومن رسوله ومن شيخه، ورحمه الله وجدِّد عليه سحائب الرِّحْمَةِ، ونفعنا به وبأسراره وبعلومه، ورضي الله عن شيخنا ومولانا الشيخ أحمد التَّجاني رضي الله عنه، معدن المعارف وسرِّ الأسرار، نسأل الله تبارك وتعالى أن نحقق رجائه، ويؤتينا سؤلنا، ويجيب دعائنا، إنَّنا متعلِّقون به وببابه واقفون فارحمنا

يا ربّنا، أرحمنا يا ربّنا، أرحمنا يا ربّنا، وارحم جميع المسلمين والمسلمات قاطبة أينما كانوا، وادفع عنّا كيد الأعداء، ومكر الماكرين، وكيد الحاسدين، اللهمّ بجاه رسولك المصطفى أصلح ولاّة أمورنا، أصلح ولاّة أمورنا، واربط قلوبهم برباط المحبّة والإخلاص، واهدّم جميعا إلى ما يُرضي الله، ويُرضي رسوله، ونحن في هذه الإيالة التونسية، لابدّ أن ندعو كذلك لوليّ الأمر فيها، نسأل الله له أن يعينه، وأن يعينه وأن ينوّر قلبه، وأن يجعله رحمة للفقراء والمساكين، وعونا للأغنياء على صلاحهم وصلاح أموالهم لخير هذا البلد، ويديم عليها الرّحمت والبركات والسعادة، بجاه من دُفن فيها، من هؤلاء الصالحين والمصلحين، أمثال الشيخ إبراهيم الرياحي رضي الله عنه، السبّاق إلى هذا البلد، الذي به أحيا الله طريقته، في بدئها وفي نشوؤها، رضي الله عنه، ورضي الله عن إخواننا جميعا، وعن شيخنا، وعن سيّدي محمّد بن إبراهيم القماري، وعن جميع الصالحين إن شاء الله، والدعاء نختم به،

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

اللهمّ اغفر لنا وارحمنا واسترنا واجبرنا وارزقنا وارفعنا ولا تضعنا، اللهمّ يا ربّ آدم علينا هذه المحبّة تامّة كاملة شاملة لجميع أنواع الخيرات الظاهرة والباطنة وباطن الباطنة، أنفاس الدنيا والآخرة لنا ولجميع أحبّابنا وأولادنا وجميع المسلمين يا ربّ العالمين يا أرحم الرّاحمين، اللهمّ طوّل في عمر سيّدنا ومولانا محمّد الكبير مع الصّحة والعافية، وزد لنا من إمداداته، فإنّه رجل ربّاني ربّاني ربّاني، ليس لوجوده في الوجود إلاّ غيب الغيب، اللهمّ لك الحمد على معرفته وعلى إتّباعه وعلى السّماع منه وعلى التّعلم منه، الحمد لله الذي نظر فينا بعين الرّضا وتمام الرضا وكمال الرضا وغيض بصيرته عن نقصنا وعن ضعفنا وعن عجزنا ولم يترك فينا إلاّ فرحا وسرورا وحبورا إن شاء الله، وشجاعة على تملك النفوس إلى المولى الحيّ القيوم سبحانه وتعالى، اللهمّ إحفظه لنا هو وذريّته وجميع من انتسب إليه ومن انحاش إليه من

الأحباب والفقراء والتلاميذ، آمين يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك
من خير ما سألك منه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ونعوذ بك من الشرِّ
ما استعاذ بك منه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم إنا نسألك من
الخير كله عاجله وآجله، ونجنا من الشرِّ كله، عاجله وآجله.
وبأنوار الفاتحة، آمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ
يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ * غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ
بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ

وإن شاء الله نراكم العام المقبل.

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

رضي الله عنه إلى تونس



اليوم الثالث عشرة

الثلاثاء 6 شعبان 1430

رجوع سيدي الحاج

محمد الكبير

إلى المغرب الشقيق

ولحظات مؤثرة

بمطار تونس قرطاج

سيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه

جازاكم الله خيرا

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْدَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾¹

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

هذه نجيبها في الصبح سيدي

سيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه

هذا دليل على أنه هناك قوة والحمد لله ونحن معكم نساعدكم فسيروا على بركة الله وتفاءلوا بهذه الآية ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

سيدي أعظم حاجة من أعظم الأمور التي شاهدناها في قلوبنا هو يعني كمال التوجه، نحب نقول عدم الغفلة عن الله أحيا فينا تلك النظرة الأولى الأصلية التي وجَّهنا فيها سيدي محمد القمار رضي الله عنه هي ذاتها وأنه لا توجد الغفلة عن الله تعالى يعني مع الإنسان الذي هو دائما في حضرة الله في كل نفس وهو أنواره تتلَوَّن بهذه كلما خرجت فكرا أو عقلا أو لحظا إلا وأنواره تزج بك إلى الحضرة مباشرة هذا هو الذي نفتخر به وأنا شاهدناه مع سيادتكم دائما وفي هذه المرة الحمد لله كل يوم مع بعضنا إلى آخره وهذا نفتخر به وهذا مفتخر عجيب يعني نحن في قلب القضية

وهو التوجّه التام إلى الله وهو أن يلقي الإنسان من يعوّضه ومن ينهضه إلى الله بحاله، وبهذا الحال وبهذا المقال، والحال لربما أعظم وأبلغ لربّما في بعض الأحيان حتى من المقال لأنّه يسري مباشرة في القلوب التي هي متوجهة وليست غافلة وهذا شيء عظيم إن شاء الله، نطلب من الله سبحانه وتعالى كل يوم مزيدا في هذا المنهاج شيئا فشيئا، ونعرف ما هي المسؤولية وما هي النيابة عن الله سبحانه وتعالى هي لما يكون الإنسان في تمام الاستقامة مع شرع الله ظاهرا وباطنا وفي تمام الإقبال على الله سبحانه وتعالى بكلّيته وبكل شعرة من شعراته يعني هذه النهاية في تربية الشيخ رضي الله عنه هذا الذي نفتخر به

سيدي الحاج محمّد الكبير رضي الله عنه

وتلك هي الأمانة التي حمّلها ليُمْتَحَنَ بها، إما أن يؤديها كما هي وإما أن يُعَذَّبَ عليها إن شاء الله، هذه هي الأمانة ليس بها التلوينات، الألوان هي واحدة إما أن تحملها وإما تتركها، إمّا السير إلى الطريق المستقيم وإلا رجعت هكذا نعرف، اللهم تكون معوجّ وتتوب إلى الله وترجع وإلا تكون في الطريق المستقيم ثمّ تعوجّ عن الله هذا أصعب من الأولى ولذلك هي أمانة والذي هو التوجهات الحمد لله الذي نحن توجهنا بها إلى الآن والحمد لله، نسأل الله تبارك وتعالى أن يثبتنا وأن يرفع عنا الموانع وأن يزيل عنا الموانع وما يكدر أنفسنا وأن تبقى صافية بصفاء كلمة الله العليا.

هذه هي المسألة، الدنيا والآخرة هما توأمان لا يفارقان بعضهما البعض ولكن لكلّ وسيلة، طريق الدنيا من أرادها بمفردها هكذا يسلكها، وطريق الآخرة هي سالكة مهما تكون غالطة، لا بدّ أن يُشَمَّرَ للجدّ والجهاد ويعتقد اعتقاد جازم ويؤمن بالله ورسوله ولا يخلط العمل الصالح بآخر سيّء ويعمل العمل الصالح. الدنيا لها أساليبها ولها عملها كل واحدة كيف يتوجه لها ولكن مع ذلك تقوى الله هي الجامع القاسم المشترك

هو تقوى الله، اتقى الله ترى العجب، اتقى الله حيث ما كنت والذي يخرج عن هذا فلا يلومنّ إلا نفسه، مثل ذلك الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم المسافر الذي عنده دين « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهر أبقى »¹ ، يبقى الإنسان حياته كله في ترقب وفي تمهل ومالنا ولهذا ما دمنا نؤمن بالغيب وبالله منصورون ونعرف كلمات الله هي العليا فإننا نتبع ومادما نحن نؤمن بالغيب لماذا نشك في أنفسنا ونعذب أنفسنا، ونرفع أيدينا نقول يا رب، نحن نؤمن بالغيب، ما لهذه الكلمة أين ذهبت ومن أخذها منا ومن سجّلها إنّما نقل هكذا بعض البركة، اعملها لي وفسرها لي وجسمها لي ومثلها لي، لا، إذا كنا نحن نؤمن بالغيب. الغيب هو الاستقامة على طاعة الله، فإذا استقمنا على طاعة الله فلنا مُرادنا وإن لم نستقم نبقى نُعذب أنفسنا، وتوجّهنا هو هذا، وتوجيه الرسول إلى الصحابة هو هذا، ﴿ فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ ﴾²

كل واحد لما يخرج في الصباح كي يدخل القوت لأولاده، بالطريقة التي يؤمن بها فيعمل هذا وهذا، كل يعمل على شاكلته فربك أعلم بما هو آت، ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾³ ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾⁴ الذي يريد أن يتأدّب فيستطيع، لكن التأخر مثل الحديد يبقى يصدأ حتى يتآكل، سر على بركة الله ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾⁵، ولا عليك إنما الإنسان يقول ويكون يُقتدي به في كل ما يقول ويكون ظاهره وباطنه سواء والشيء الذي يعمله مع نفسه يعمله مع أولاده داخل

¹ أخرجه البخاري وأحمد

² سورة هود الآية 112

³ سورة الإسراء الآية 84

⁴ سورة البقرة الآية 148

⁵ سورة النحل الآية 125

أسرته يعمله كذلك مع العموم. والإقتداء وهذا لكل إنسان دائما همّة يرتاح ويطمئن، يجد حياة طيبة، لماذا نحن نسأل منع الزيارة؟ هي لكي لا يبقى الإنسان مشوش، منع الزيارة لغاية حكمية لغاية جمع القلب وعدم التشويش عنه، لأن الطرق كثيرة إذا أردت أن تأخذها كلها لا تستطيع وإذا اتبعت واحدة تنجو ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾¹ لذلك نحن منعنا الزيارة لأنه الإنسان اليوم هنا وغدا هناك، هذا أحسن من هذا، هذا أبرك من هذا، فيُعذّب نفسه، إذا التزم بلا إله إلا الله إذا عرف معناها وسار على منوالها وعلى منهجها واستقام عليها طول حياته تكفيه، كما قال صلى الله عليه وسلم: أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرِ الرَّأْسِ نَسَمِعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلَا نَفْهَمُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا فَاذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ قَالَ لَا إِلَّا أَنْ تَطَّوَعَ قَالَ وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ قَالَ لَا إِلَّا أَنْ تَطَّوَعَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا قَالَ لَا إِلَّا أَنْ تَطَّوَعَ فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَيَّ هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ²، يعني لو قام بهم كلهم قام بالدين كله ولكن لا يستطيع لذلك جاءتنا النوافل وجاءتنا التطوعات والمستحبات وغيرها لأجل أن تقومنا وتسد لنا الخلل لأنه لا يستطيع الإنسان أن يستقيم أتم الاستقامة على كذا، على صلاته، على إخلاصه، على ولادته لا يمكن، الإنسان دائما ضعيف، في أوقات يضعف وفي أوقات يتقوى ولذلك جاءت « أفلح إن صدق

¹ سورة النحل الآية 128

² أخرجه البخاري ومسلم والبيهقي

« إذا استطاع، قال صلى الله عليه وسلم « شيبتي هود وأخواتها »¹، استقم كما أمرت هذا الرسول صلى الله عليه وسلم وماذا عنا نحن لا نصل إلى استقامته حتى الربع حتى العشر حتى النفس، ومع ذلك قال « شيبتي هود وأخواتها »، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ ﴾²، ذلك الإنسان يصفي قلبه ويقوم بالفرائض كما هي ويخلص عمله وينقي أمره، انعس الليل كامل لا تقوم انعس النهار كامل لا تقوم وأنت بخير كما قال الشيخ « لأجلنا » ثم قيل له ننام ونحن رقاد. نعم إذا رقدت على إخلاص، ما في قلب غلّ على أحد على نكر الله انكر الله ارقد والدرجة تقطع، كان رقدت قلت باسم الله كان رقدت على وضوء قلت باسم الله وكان نعست ذكرت الأذكار أنت مع الله، وإذا سعدت الروح فتصعد طاهرة وإذا تلقت تتلقى الطهر، وإذا رجعت للجسم ترجع أمامه طاهرة، ذلك القول « لأجلنا » هذا العمل كل ما فيه صغير هو لأجله نحن أوزن لنا فيه ونحن أذنا لكم بالإذن الصحيح الأول فاعملوا به وتدركون ما هنالك، كما قال صلى الله عليه وسلم « بَلِ انْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَزَادَنِي غَيْرُ عْتَبَةَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ قَالَ لَا بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ »³ وفي رواية أخرجه أبو داود والترمذي « لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا » وهذا نحن الذي فيه، نحن _____ الدنيا آيات الغنى والفقر الإنسان يطلع على هذه يأخذ هذه

سيدي الحاج الحبيب بن حامد

¹ الترمذي

² سورة هود الآية 112

³ أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان عن أبي ثعلبة الخشني والسيوطي في جامع الأحاديث

سيدي الحاج محمد الكبير رضي الله عنه

ولكن الذي يعاونه على الخير قليل.

سيروا على بركة الله، الله معكم، والحمد لله، العلم، المذاكرة، هذا الذي ينفع المؤمنين
ويزيد في البركة وفي الأنوار والعلم والعمل والتقوى والمثابرة.

الحمد لله، نسلم عليكم، _____ دينكم وذمتكم وخواتم أعمالكم، نسلم خيرا إن شاء
الله على الوالدة. السلام عليكم.

مذاكرة يوم

5 ذو القعدة 1430 هـ

بالمغرب

زيارة سيدي الحاج محمد

الكبير البعقلي

رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا

به آمين

لتونس

رجب – شعبان 1430 هـ

مذاكرة يوم 5 ذو القعدة 1430 هـ بالمغرب

زيارة سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين

لتونس رجب – شعبان 1430 هـ

سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، نعم

الفقير الحسن كمالى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الظاهر في علوه بقهره عن غير بُعدٍ والباطن في
دُنُوهِ بقربه من دون مسّ شهد أنه لا إله إلا هو خلق خلقه ليعرفه فأنعم عليه بالإيجاد
والإمداد فضلا منه وتكرّما، وصلى الله وسلّم على من جعل من نوره أصل كلّ
موجودٍ بدأ به الخلق وختم به النبوة والرسالة سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه،

أمّا بعد ؛

فالمعلوم أنه من علامات التّوفيق دُخول أعمال البرّ على المرء من غير قصد لها، هذا وقد أنعم علينا الله سبحانه وتعالى برحلة مباركة ميمونة رُفقة العارف بالله حقّ المعرفة والوارث لسرّ والده سيّدي الحاج الأحسن البعقلي رضي الله عنه حقّ الوراثة، عارف تحقّقت لديه العبوديّة في الظّاهر فعظّم عنده شهود الرّبوبيّة في الباطن، سيّدي وسندي وقُدوتي الحاج محمّد الكبير البعقلي بارك لنا الله في عمره وأفاض علينا من سرّ سرّه أمين ؛

بهذه الرّحلة جعل الله تبارك وتعالى يوم الخميس 23 رجب 1430 هـ- موافق 16 يوليوز 2009 يومّ ذاعت أخباره في جميع العوالم والحضرات إذ منّ الله على إخواننا في الإسلام والطريقة الأحمدية الفضلية المباركة بزيارة المرّي بميزان الشريعة وفصّ الطريقة وعين الحقيقة للديار التونسية رُفقة ابنه البارّ الحسن الخلق والخلق سيّدي عبد الغني وزوجته الفقيرة الواصلة والمقدّم الحامل لكتاب الله السيّد شكري الحاج عمّال والعبد الفقير إلى عفو الله الحسن كمال، كان يوما صرف الله فيه جميع الموانع والتعسير وسخّر فيه جميع أسباب اليُسّر والتيسير حيث وصل رضي الله عنه ومن معه من الذين أسعدهم الله برفقته إلى المطار التونسي فكان في استقباله وفد من الفقراء على رأسهم المقدّم البركة سيّدي الحبيب بن حامد، هذا الرّجل كُنّا نراه بيننا في المغرب لما يأتي في مهمّة يحضر مجلس الشيخ سيدي محمّد الكبير بكلّ تواضع ولهفة للعلم الذي أفاضه الله على الشيخ فيكتب كلّ ما يتلفّظ به الفقيه رضي الله عنه ولا يتصدّر لشيء بتاتا، حتّى الكلام لا ينطق إلّا بإذن الشيخ، يستنّز بحجاب الأدب إلى نهاية المجلس، أمّا من رآه وعينه وسط فقرائه وتلاميذه بتونس يتّضح له جليّا أنّه رجل فاضل زواجره وأسرعت مواجره وتتابعته مفاخره إذ نال بدون مُجاهدة أقصى الآمال وبلغ أكمل مقامات الرّجال، رجل خدم من غير كَلٍ ولا تعب شيخه بتونس

سيّد محمد أقمار رحمه الله ورضي عنه وألقى كلّه بكّله في حجره فأحبّه سيّد محمد أقمار وأفاض عليه جزيل ما يُفيض المرّبي على المرّيد فأغمسه وأغطسه في البحر التجاني البعقلي فغاص فيه سيّد الحبيب بتوفيق ربّاني ووصل بقدر التّخلي على مقامات الترقية فكان أحقّ بها وأهلها ؛

أمّا أفراد وفد الاستقبال أغلبهم سبق له أن زار الفقيه في المغرب بعد التحيّة الحارّة منهم من يعطّر الفقيه ومن معه ومنهم من يصوّر كلّ أطوار الوصول وكلّهم ينظر إلى جناب الفقيه بفائق الشغف والفرح والشوق، هكذا كان وصولنا الكلّ مُلتفّ حول الفقيه في موكب مذهل تعجّب له الحاضرون في المطار حتّى رجل من رجال الشرطة يسّر لنا الخروج ونحن في سيّارة سيّد الحبيب، وصلنا إلى منزل سيّد الحبيب حيث كانت ثلّة أخرى من الفقراء في انتظار الفقيه فزاد ذلك من ذهولنا وحين دخلنا البيت المبارك اهتزت جدرانه بزغاريد النساء الفقيرات إذ لم يكتمن فرحتهنّ بقدم وارث سيّد الحاج الأحسن البعقلي، فأدفأت هتافاتهنّ على فرح الرّجال جوّا ربّاني روحاني يرقى بالروح ليخرجها من مطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان ؛

قمنا لصلاة الظهر فرأينا تعظيم التلميذ للشيخ وتقديم الشيخ للتلميذ إذ أبى سيّد الحبيب أن يتقدّم للإمامة حتّى أذن له الشيخ ليبقى مقدّم وإمام الإقليم، بعد الصّلاة كانت وجبة الغذاء على قدر فرح وترحاب أهل هذا البيت المبارك التجاني وقد كلّها بكلمة استقبال سيّد الحاج خالد ابن سيّد الحاج محمد أقمار وتلاها سيّد الحبيب، صلّينا العصر بنفس البيت المبارك وذكرنا أورادنا ثمّ اتجهنا إلى الزاوية في باب الخضراء بالمدينة العتيقة التونسيّة التي يوجد فيها ضريح سيّد عمّار الخضّاري أحد أحفاد سيّد الحاج علي التماسيني خليفة سيّدنا ومولانا أحمد التجاني ؛

كانت وفود أخرى من الفقراء تنتظر الفقيه بنفس الشوق واللهفة، نفس الملامح على كل الوجوه كأنك بفرحة رجل واحد رحم الله الإمام البصيري لما قال

وذهلنا عند اللقاء وكم أذهل صبأً من الحبيب اللقاء

بإشارة من سيدي الفقيه افتتح سيدي الحبيب الوظيفة التي سرعان ما انطلقت سُمع لها زفير صادر من الصدور حتى ظنّ الحاضر أنّ الجدران وكلّ ما في الزاوية يهتزّ لما يخرج من أفواه الذاكرين، بعد انتهاء الوظيفة جرت عندهم العادة أن يتلو أحد الفقراء بعض الأحاديث الشريفة بدون تفسير قصد التبرّك بكلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وملئ الوقت في انتظار آذان المغرب ؛

في اليوم الثاني حضرنا الجمعة، كان موضوع خطبة سيدي الحبيب الإسراء والمعراج ومن التوفيق الإلهي تُقام في نفس الزاوية كأنها بنت من بنات زاوية درب غلف المباركة، كان أغلب المصلّين فقراء تجانّيين ومما يُتّلع الصّدر أنّ جلّ الفقراء في قوّة العمر وعنفوان الشباب ذوي مستوى ثقافي مرموق، أناس دخلوا بيت الحضرة من باب الشريعة وحفظوا الإراءة والشرب الصافي وسوق الأسرار واطّلعوا على الكثير من مؤلّفات ورسائل سيدي الحاج الأحسن البعقلي رضي الله عنه، رجال كأنهم حديثوا العهد بسيدي الحاج الأحسن البعقلي وكان سيدي القمار لازال بين أظهرهم وكان سيدي الحاج محمّد الكبير يسكن في حيّهم، إنّ ورود الأمداد بحسب الاستعداد، فهم على أتمّ الاستعداد بأدبهم وطاعتهم وانكسارهم وامتثالهم للقُدوة رضي الله عنهم ووقّهم، ومن علامات رضا الله عنهم وتوفيقه أن طوى عنهم شرود بشرية سيدي محمّد الكبير وأشهدهم وجود خصوصيته، علموا بقدمه، كلّمهم بدون استثناء، فغيّروا برامجهم الحياتية، من عقد العزم على السفر خارج تونس العاصمة لم يسافر ومن

كان في فترة عمل طلب إجازة، ما من فقيرٍ فقيرٍ إلا ورتّب أمره على حسب مدّة إقامة الفقيه بتونس ؛

من لم يكن في زيادة فهو في نقصان، ولقد زادنا الله من أفضاله بوجود سيّدي زين العابدين حفيد سيّدي محمود التجاني حفيد الشيخ رضي الله عنهم جميعا بالزاوية لأداء صلاة العصر والوظيفة والهيللة وصلاة المغرب، هذا الشريف المبروك يقطن بعين ماضي، خرج لزيارة تونس والمغرب جازاه الله خيرا، كان من المدعوّين لمؤدبة العشاء عند شخص جليل القدر بقدمه الراسخ في الطريقة التجانيّة اسمه سيّدي محمّد فهمي القرماسي بمناسبة زفاف ابنه الشاب أكثر الله من أمثاله في الإسلام فأثر على نفسه أن يستقبل الفقيه بكلمة ترحاب يُدرك من سمعها مدى التقدير الذي يكتّنه أحفاد سيّدي محمود التجاني لسيدي الحاج الأحسن البعقلي وأبنائه وأحفاده ومؤلفاته وسنده ؛

لما كانت صبيحة يوم السّبت خرجنا رفقة سيّدي الحبيب لزيارة ضريح سيّدي محمّد أقمار الموجود بقرب الشريف سيّدي علاّل التجاني حفيد الشيخ رضي الله عنه، تلى سيّدنا الفقيه ما تيسّر من الذكر الحكيم على كلّ ضريح ودعا لهم وفي النهاية دعا لجميع أهل القبور وقبل المغادرة كانت هناك سيّارة أخرى نزل منها نساء فقيرات التحقن بالفقيه قصد الاستمداد والتبرّك، نساء لا يفوتهنّ الرّجال إلا بما فضّلهم الله، لقد قلن في حقّ الفقيه قولاً لا ينطق به إلا عارف لا تعوقه حجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهيّة عينياً وتحقيقيّاً ويقينيّاً، تتوّعت أقوالهنّ بتتوّع واردات أحوالهنّ، دعا لهنّ الفقيه وأثنى عليهنّ ونصح لهنّ ؛

ثم استأنفنا الطّريق لزيارة ضريح سيدي إبراهيم الرّياحي بزوايته رحمه الله ورضي عنه، بعد إنهاء أداء الزيارة والترحم صلينا الظهر بنفس الزاوية، رجعنا إلى بيت سيدي الحاج الحبيب للغذاء والتحق بنا أحد أحفاد سيّدنا إبراهيم الرّياحي سيّدي منجي الرّياحي جلس بجانبني وقال لي فرحتنا جميعا لا توصف وسعادتنا لا تُقدّر لكنّ لما أفيق من نشوتي وأفكر في يوم رجوع سيّدي محمّد الكبير إلى المغرب أشعر بزلزال داخل قلبي ومُهجتي فأقعد مهموم الوجدان والله لقد أنعم عليكم الله نعمة لا مثيل لها بوجود الفقيه بالمغرب وهذا إشكال كبير لأنّ الفقيه لجميع الفقراء أينما وُجدوا ؛

قبل صلاة المغرب ذهبنا لبيت سيّدي نبيل الطنّوبي لنُحيي جميعا ليلة حفل ختان ابنه الصغير، صلينا خلف الفقيه رضي الله عنه بطلب من ثلّة من الفقراء ليتبرّكوا بصوته أثناء قراءة القرآن الكريم، في انتظار صلاة العشاء كالعادة منذ أن حلّ الفقيه بتونس يتقدّم الفقراء بأسئلتهم كي يغرف كلّ واحد ما يستطيع من العلوم التي يُفيضها عليهم، كان رضي الله عنه يطفئ شغف كلّ سائل ولما حضرت صلاة العشاء ألح عليّ جماعة من الفقراء أن أطلب من الفقيه ليؤمّ بنا صلاة العشاء وذلك لأنّ ما بين المغرب والعشاء تضاعف عدد الحاضرين فسمعوا خبر إمامة الفقيه في صلاة المغرب، في ذلك فليتنافس المتنافسون، فأبوا إلّا أن ينالهم ما نال إخوانهم من خير وإكرام لأنّ الصّلاة وراء العارف لا يعلم حقيقة فضلها إلّا الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، جازاه الله عنّا خيرا لبّي الرّجاء وأدفى على الليلة خصوصيّة أخرى وبالجميع كمل فضل الجماعة عند آخر حضرة الصّلاة، كانت مؤدبة العشاء مُتعة ومرتعا للجميع في رياض الصالحين مُكلّلة في النهاية بالأمداح النبويّة والتجانيّة، جازاه الله خيرا سيّدي نبيل الطنّوبي وبارك له في ليلته وزوجته الفقيرة الفاضلة وجميع ذريته لقد وضع رهن إشارتنا شقّة من الصّنّف الرّفيع طيلة مقامنا بتونس ؛

يوم الأحد قبل الزّوال ذهبنا لزيارة بيت الحاج محمّد أقمار ، هناك وجدنا زوجته الفقيرة البركة، كانت تنتظر رؤية الفقيه بفارغ الشوق، ولن تقوتني المناسبة كي أنكر إحدى بناته وليّة صالحة قال في حقّها رحمه الله لسانها على لساني لا ينطق عن الهوى أبدأ، هذا ونحن دوما في جوّ تجاني كلّما دخلنا بيتا من بيوت الفقراء إلّا وصاحب البيت وزوجه وأبناءه وبناته وأصحابه كلّهم تجانيون نشعر فعلا بالنهضة التجانية التي حقّقها رضي الله عنه الحاج محمّد أقمار وحمل مشعلها بعده الحاج الحبيب بن حامد فضلا على قابليّة الفقراء وفهمهم عن الله سمعوا ووعوا واتبعوا راسخين طائعين، تلك آثارنا تدلّ علينا انظروا بعدنا إلى الآثار، _____ الأحسن البعقلي ننظرها بعده ونعيشها في أبنائه وتلاميذه وتربيته التي جعلت من سنده ومشربه في الطريقة سلسلة من ذهب كما شهد بها سيّدنا الحاج محمّد الحبيب البعقلي رحمه الله ورضي عنه ؛

بالمساء ذهبنا عند فقير يُسمّى الحاج الحسين قطاط بحيّ البكري، في بيت كلّ فقراء وفقيرات وعظّم قدر تلك الليلة قدوم نفر من فقراء مدينة القصرين، مدينة تبعد من تونس بحوالي 300 كلم، ولكثرة عددهم استأجروا حافلة لتستوعبهم جميعا، لكلّ واحد قصده وفرحته ومرتبته ومقامه وكان الوجدان أقوى من العيان وما عايناه هو أنّ المرّبي الأستاذ مظهر سرّ الربوبيّة للمريد كما عاينا المرید واقف عند أمر أستاذه لا يلتفت عن أسراره يمينا أو شمالا هذا ما يشعر به من رأى فقراء تونس وسيدي محمّد الكبير البعقلي، كلّ من تحقّق بحالة لم يخلُ حاضره منها ولقد اتّضح ذلك في كلمة الاستقبال التي ألقاها الشاب المفتوح عليه سيدي عبد اللطيف الزرقي صاحب الماجستير في الحضارة الإسلامية بعنوان الأحسن البعقلي مذهب وتصوّفه في ضوء المقاصد تحت إشراف الدّكتور نور الدّين الخادمي جامع الزيتونة المعهد الأعلى لأصول الدّين السنّة الدّراسيّة 1425 - 1426 هـ الموافق سنة 2005 ميلادي، بعدها

تكلّم الفقيه كعادته كلاماً شافياً يجلّ القلوب وتصفو عند سماعه النّفوس، صلّينا العشاء وراءه رضي الله عنه وقبل وجبة الأكل أنشدنا السيّد الزّجّال سيّدي علي الربيعي قصيدة يروي فيها رؤية الفقيه سيّدي الحاج الأحسن البعقلي للنبيّ صلى الله عليه وسلّم لما كان بالكتاب حيث وضع جبهته على لوحته، والرؤية مشهورة ؛

يوم الاثنين بعد الزوال زرنا جامع الزيتونة، معلمة إسلامية تاريخية أسّسها سيّدي عبد الله بن الحباب سنة 114 هـ الموافق 738 ميلادي في المكان الذي أقام به سيّدنا حسّان بن النعمان الصلاة عند فتح تونس سنة 77 هـ الموافق سنة 698 ميلادي وأعاد بناءها على الشكل الحالي زيادة الله الثاني في سنة 250 هـ الموافق سنة 864 ميلادي بأمر من الخليفة العبّاسي المستعين بالله، كنّا في وفد من الفقراء على رأسهم سيّدي خالد أقمار ابن سيّدي محمّد أقمار رحمه الله ورغم تعدّد التيارات علّمنا أنّ سيّدي خالد أقمار يفتح الوظيفة كلّ يوم في جامع الزيتونة بعد صلاة العصر بتزكية من السلطة، أثناء زيارتنا للجامع كنّا ننتبّع أنفاس سيّدي الحاج محمّد أقمار أين كان يُصلّي وأين كان يفصل بين العلماء فإذا قطع برأي بينهم لا يُردّ أبداً وأين كان يقعد للحديث والذكر، كان له مقعداً كذلك أمام مكان الوضوء ليُصحّح للناس وضوؤهم ورأينا أيضاً أين كان يجلس سيّدي إبراهيم الرّياحي رحمه الله والمكان الذي قعد فيه الشيخ أثناء مروره بتونس، جامع الزيتونة كان مرجعاً لعلماء أجلاء وعدد كبير من الصّوفيّة الأولياء ؛ (بالمساء) لبيّ الفقيه رضي الله عنه دعوة عشاء عند السيّد حسن الزيّاني، هذا السيّد من خاصيته نقل كتب سيّدي الحاج الأحسن البعقلي حيث هناك من المؤلّفات ما نسخ 26 مرّة، كان يتحمّل نفقة طبعها لتوزيعها على الفقراء، كان مع الحاضرین فقير شاب سيّدي محمّد علي وصل في نسخ كتاب الحديث المسمّى مقاصد النّظم النبوي وشفاء بالكلام المصطفوي إلى 1900 حديث ويأمل بهمة الفقيه

أن يكمل 4000 حديث مع كتاب إيضاح ما ينبو من السند ومن ألفاظ الحديث المعتمد، بعد صلاة العشاء ألقى الفقيه كلمة أظهر فيها مدى أهميّة حسن الإلتباع وقصر الهمة على المربي والالتفاف حول مقدّم القطر وصرف النظر عن غيره، كنّا نحسّ استيعاب المستمعين لكلام الفقيه ويرجع ذلك لطينتهم ولمستوياتهم الثقافية والفكرية لذلك كنّا نلاحظ طلاقة الفقيه في التبليغ هيّاه الحقّ سبحانه وتعالى للهداية والدلالة على الله فمازج الخلق لا له ولا لهم ولكنّ لله وبالله كان ربّانيّ التعليم ساترا أسراره في طيّ الرسوم لا يداريهم لسعة صدورهم ولا يراضيهم لاتّساع فهمهم، القبول المطلق جملة وتفصيلا، للترويح عن النفس تُختم كلّ ليلة بالأمداح النبوية والأمداح التجانية.

يوم الثلاثاء يوم موعد السفر لمدينة القيروان حيث انطلق الإسلام وحيث أوّل مسجد لإفريقيا، خرجنا في ثلاث سيّارات رجال ونساء وكان في استقبالنا السيّد محمّد فوزي رجل لم أرى قطّ مثل أدبه وروحانيّته، أثر على نفسه إلاّ أن يلقانا بمدخل المدينة وهو في سيّارة أجرة منذ أن سلّم على الفقيه وهو يتصبّب عرقا إلى نهاية النهار، أثناء وداعه لنا، بدأنا بزيارة ضريح سيّدي أبي زمعة البلوي الصحابي الجليل حلاق شعر سيّدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وممن حضروا بيعة الرسول تحت الشجرة، لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، وحضر عقد الحديبية، نحمد الله على وجود الفقيه معنا حمل علينا عبئ أدب زيارة هذا الصّحابي الجليل القدر، كنّ نتتبّعه في حركاته وسكناته حذو نعل بنعل فأراحنا الله من البحث عمّا يجب ذكره وتلاوته يليق بمقام سيّدي أبي زمعة البلوي أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك، هذا هو حالنا مع الفقيه لله تمام الحمد، كلّما كنّا في حضرته تجرّدنا من كُليّتنا ؛ بعد ذلك اتّجه بنا سيّدي فوزي لزيارة مسجد القيروان الذي أسّسه

سيّدنا عقبة ابن نافع الفهري سنة 53 هـ الموافق 671 ميلادي، بعد صلاة الظهر وراء سيّدنا الفقيه رضي الله عنه بمسجد القيروان اتّجهنا إلى بيت سيّدي فوزي، ما شاء الله ولا قوّة إلاّ بالله كم أبهرني فرح وترحاب سيّدي فوزي متجرّد من الغير والغيريّة صادق في كلّ حركاته وأقواله كان يخدم الجميع وحده ولا يقبل المساعدة من أحد تأدّبا وانكسارا، _____ من ادّعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان، لزم الأدب ظاهرا وباطنا ومن لزم الأدب بلغ مبلغ الرّجال ومن حُرّم الأدب فهو بعيد من حيث يظنّ القرب مردود من حيث يظنّ القبول والعياذ بالله، بعد صلاة العصر أدّينا الوظيفة بعون الله رجالا ونساء وبعد صلاة المغرب رجعنا إلى تونس، لم يخلو يوم الثلاثاء من النفحات الرّبانيّة، ودّعنا سيّدي فوزي جازاه الله خيرا وكلّ ما يمكن القول في حقّه قليل.

يوم الأربعاء كسابق الأيّام بتونس، لا نخرج من حضرة سيّدي محمّد الكبير، حضرنا وجبة غذاء عند فقير مسمّى السيّد محمّد حازم النّيفر وهو من تكلف بتصوير جميع مراحل إقامة الفقيه بتونس وكالعادة أتحف الفقيه الجميع بدروسه القيّمة العديمة النظير فلا يفوته مجلسا إلاّ وأثنى على الخدمة العظيمة التي يقدّمها دوما للطريقة والفقراء لله وبالله على الله ومع الله رغم عبئ وظيفته في إحدى كبار الشركات العالميّة سيّدي الحاج الحبيب بن حامد كما جعل أغلب محاور كلامه العلم بالله عزّ وجلّ وهو غاية التوحيد لأنّ نصيب العبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد، ويحدّرنّا من أنفسنا وأهوائنا، لا تتبّع النفس في هواها إنّ إتباع النفس هوىّ، فيحثّنا رضي الله عنه على أن نختار الأولى فالأولى في جميع أمور عبادتنا وطريقتنا، مقامه مقام جمال وعزم جازاه الله عتّا خيرا آمين ؛

في المساء ذهبنا إلى بيت أخت الفقير الحاج محمد فهمي، بيت كَلَّه فقراء نساء ورجالا وكالعادة دخلنا تحت هتافات وزغاريد النساء، خاصية هذا البيت هو أن ربته مُحبة للمغرب والفقير، أفرشت قاعة الضيوف بالطريقة المغربية، برنامج الليلة كسابقاتها مع شهود خصوصية لكل ليلة، الحقائق لا تتكرر أبدا هذه المرة طلب الفقراء من سيدي عبد الغني أن يفتح قصيدة البردة بالطريقة المغربية فيتبعوه تبركا، كان كذلك فتجاوب الكل مع الصيغة الجديدة عليهم، بعد وقت متأخرا من الليل غادرنا البيت المبارك وجميع الفقراء على أحسن حال بحمد الله.

كان يوم الخميس 30 رجب يوم الرجوع إلى المغرب، بحاجة واضطرار، أما الفقيه فقد بقي بضعة أيام أخرى ليقر عينه ببنته البارة الفقيرة التجانية التي تقيم مع زوجها بالنمسا ومن محاسن المطابقات أن عزمت قضاء عطلتها بتونس فكانت صدفة خير من ألف ميعاد كما يقال، أما في بابنا وفهمنا فهو تدبير إلهي أزلي، هذه هي رحلتي مع سيدي محمد الكبير التي أسعد الله بها حياتي أرجوه سبحانه وتعالى أن يؤدني عني حق شكر هذه النعمة، لما سمعته رضي الله عنه يقول مهما حاول الإنسان أن يصف ما عشناه وما عايناه في الحضرة التونسية التجانية لن يستطيع أبدا، أعفاني من إكثار ممل أو إقلال مغل لأنه ليس مثلي من هو أهل أو مؤهل للكتابة عن رجل كسيدي الحاج محمد الكبير البعقلي ولا عن رحلة مباركة كرحلته رضي الله عنه للديار التونسية أطال الله في عمره وبارك في تعليمه لنا وجعلنا من حسناته آمين.

سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

بارك الله لنا فيك، كما قلنا لكم في الزاوية، البارحة، تكلمت وأريد كل الإخوان أن يتكلموا حتى نعرف _____ مما حصلوا عليه وما حصلوا من علم ومعرفة أو أدب، لذلك كلما الإنسان تكلم إلا ويُعرف بما هو مُدرك له وما سيُدركه من بعد ذلك، فهذا

الأمر إنّه كتبه سيّدي الحسن بخطّه على حسب ما تيسّر له بهذا الأمر، ولو أنّ الأمر يقتضي مجلّدات كثيرة إلّا أنّه اختصار لهذا الأمر، أوّلا ليُعَلِّم الكاتب، علم له منزلته ومكانته وحظّه من العلم، وثانيا لنعرف بعض الأشياء أثناء هذه الزيارة ؛ أوّلا نتعرّف على أنّ الناس الذين هم بعداء عنّا هم يعرفون عنّا أكثر ممّا نعرف على أنفسنا بل يعرفون الشاذّ والفاذّ، يعرفوننا من صغرنا وتربيتنا وكبرنا إلى آخر ما لا نعرفه نحن على أنفسنا، هذه واحدة، ثانيا ألائك الناس يعرفون الكتب التي ألّفها الوالد، كلّها يعرفونها بدقائقها وما تحتوي عليه وما تتضمنه، فهُم يشربونها شربا ويلبسون حلّتها لباسا ويتذكرون فيها ليلا ونهارا لا يفتنون عن ذكرها، والأمر الثالث الذي هو أهمّ من هذا هو أنّ هؤلاء الناس ليسوا وحدهم رجالا بل كلّ عائلتهم هي معهم، زوجاتهم وبناتهم وأولادهم كلّهم فقراء ويحضرونهم معهم دائما في المجالس، أينما كان مجلسنا يكون النساء به، وحتّى إذا خرجنا إلى مكان يكن معنا نسائهم، لأنّه كما نقول دائما إذا كانت المرأة وراء الستار يكن الرجل ليس وراء الستار بل وراء الحديد، إذا لم تكن المرأة داخلة هي أيضا مع الزوج تُشاركه فيما هو فيه يكن الزوج له شقّ واحد من الشقين الذين عنده، شقّ عامل وشقّ مشلول، لذلك ينبغي من إخواننا أن يجلسوا مع أبنائهم وبناتهم ويذكرونها دائما حتّى يُحبّبون لهم هذا الأمر، لأن المرأة إذا صلّحت صلح المجتمع، وإذا لم تصلح المرأة لم يصلح المجتمع، أبنائنا هم متعلّقين بالزوجة لا بالرجل، الرجل يحبّونه إلّا ليُعطيهم ويركّبهم في السيّارة ويذهب بهم إلى مكان ما ويشترى لهم، أمّا المرأة هي التي يحتكّون بها وهذا هو الشيء المفقود عندنا تماما، إلّا بعض النخبة الذين عندهم هذا الشيء كالسيد العلمي وكذلك السيد عبد الفتاح الذين هم متقنّين الذين هم أدخلوا زوجتهم في هذا الأمر، بحيث أنّنا نعرف الفقيه مثلا لا يعلم الفقير كم له من بنت، لا يعلم، لا يعرف بناته لا يعرف أسمائهنّ، لا يحضر حتّى في حفل الأسبوع بعد ولادتهنّ، لم يحضر لهنّ أبدا،

هذه كلّها كيف ستكون، إذا ما لم نُصلح المرأة لا نُصلح نحن، صلاح المرأة في صلاحنا، إذا لم تصلح المرأة لا يمكن أن نُصلح نحن، لذلك هؤلاء الناس نسائهم كرجالهم، أوّلا مثقفات كلّهنّ، فيهن من لها شهادة الدكتوراه، أغلبهن فقيرات والأكثر من هذا أنّه مفتوح عليهن، ما من واحدة تحدّثك إلّا وتحدّثك عن العوالم وتستمع لها والسبب هو أنّها أعطت كلّها لله فأعطاها الله، بخلافنا نحن إذا مات الرّجل يموت معه كلّ شيء، تمّت معه المرأة وكلّ شيء، القليل القليل من الفقراء الآن الذين زوجاتهم فقيرات، القليل القليل أو ابنته، لأنّه لا يتحدّث عن هذا الشيء، هذا شيء ميثوس مكتوب ومقدّر، إنّهُ إذا صلحت المرأة يصلح معها الجميع، هذا الشيء هو الذي لاحظنا عند هؤلاء الناس، أبنائهم وبناتهم وزوجاتهم، كلّهم يأتون يسألون ويقرؤون ويشتكون، إذا كانت لهم مشكلة ما تأتين ويقصّهن، ويشتكون حتّى من أزواجهم للفقير، هذا مفقود عندنا، لذلك عندما يمت الرجل يغلق منزله لا يبقى فيه أحد.

إذا هذا الأمر، أوّلا من المفروض أن تتكلّموا حتى نعرفكم، نعرف كلّ واحد منكم من لسانه وكلامه ما هو ويمكن لنا أن ننزّله، ثانيا كما قلنا تحدّثنا على مجتمع نسوي، إذاً هو له تأثير وأشياء أخرى سننكّم عنها، الشيء الذي عندنا نحن لا توجد القراءة، الفقراء عندنا لا يقرؤون وإذا جاء عندهم أحد من بعيد يسألهم عن كتاب ما لا يعرفون هذا الكتاب، لأنهم لا يقرؤون لا يسألون عن الكتب، يدخلون الزاوية يقول لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ويشربون الشاي ويذهب، إذا يجب أن نذكر ونتعلّم ونعمل للدنيا هي أيضا واجب علينا أمر الدنيا، هذا الشيء هو الذي لاحظناه عند ألائك الناس، زيادة على الأمور التي تكلمنا عنها، العلم والمعرفة والمال الخ، لماذا؟ لأنهم بعاد، وأنتم قريبون، والذي يكون قريب يكون يرى نفسه لا يحتاج شيئا، لأنّه يراك

أمامه دائماً موجود، لهذا ندعوا كلّ الأخوان على أن يكونوا على بينة من الأمر حتّى يتعلّموا وأن يأتوا بأبنائهم وحتى في الصلاة كذلك يكونون معهم، ندخل لديارهم ولا نعرف بناتهم ولا حتّى أسمائهن نهائياً، من مات غدا لا نعرف بيته ولا ندخل لبيته،
إِلَّا القليل القليل القليل ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾¹.

إذا هذا ما استنتجناه من هذا الأمر الذي نحاول دائماً نأخذ منه العبرة. ثمّ بعد ذلك نُلقِي عليكم كذلك بعض الرّسائل كما هو جاء ونمشي على أمرهم على حسب التغطية.

نُلقِي عليكم بعض الرّسائل حتى نعرف أننا لم نساfer لأجل السفر، لا نخرج حتّى نذهب للنزهة نتنزّه مع الناس، لا نخرج حتّى نرتاح، أبدا ليست لنا راحة نهائياً، الذي يقول لك لنا راحة فلا راحة لنا أبدا، راحتنا إلا في الإخوان مع الإخوان عندما نلتقي مع الإخوان وعندما نجلس مع الإخوان عندما نتذاكر مع الإخوان هذه هي راحتنا، أمّا راحتنا البدنيّة لا توجد، كذلك تكلموا على _____ شيئاً فشيئاً نتعلّم ما سيكون، عندما يأتي عندنا الفقراء، نعلم كلّ شيء ولا تجد أحدا يصاحب أحدا منهم لمنزله، أبدا، إلاّ القليل القليل، إلاّ البعض الذين اعتدنا بهم، أمّا الآخرون فلا، كلّ أحد يذكر ويأخذ سبخته ونتركهم ونذهب، وهذا الشيء لا يوجد في الدّول الأخرى إلاّ عندنا نحن.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

الفقير الحسن كمالى

سرد لكلمة سيدي خالد القماري

سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

هذا سي خالد تعرفونه.

ثمّ هنا رسالة قالها فقيهه، ربما أنتم تقرؤون كتب والدنا، ربما تقرؤونها أو لا، ولكنّ تمرّون عليها مرّ الكرام، وإخواننا في تونس ليسوا كذلك، هذا ما قاله أحد الفقراء في تونس السيّد علي الزجال، هذه في جلسة كنّا عند سيدي حسين قطاط بحي البكري، نعم،

الفقير الحسن كمال

سرد لقصيدة الفقير علي الربيعي

سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

هذا الاجتهاد، كلّنا نعرفها، ونكون على استعداد فإذا حضر المجالس تكون له الكلمة بين المجالس لا يُنصتون فقط، وهذا ما نقصد من هذه المجالس، لا نقصد منها فقط أن نقرأ ثم نذهب ثم ننسى كلّ شيء.

صاحب هذا الكتاب الذي هو كتاب الأحسن البعقلي مذهبه وتصوّفه في ضوء المقاصد أخذ عنها الماجستير في تونس هو صاحب هذه الكلمة، هو من القصرين بلد بعيدة قليلا عن الحدود الجزائرية.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، نعم

الفقير الحسن كمال

سرد لكلمة الفقير عبد اللطيف الزرقي

بارك الله فيكم،

كذلك إنّ هذه الرسالة الذي نفهمه منها أنّ هؤلاء الناس شربوا وارتووا وعلموا وثبات، عرفوا الحق فاتبعوه وأخلصوا العمل لله وأحسنوا نيّتهم في قدوتهم وكان منهم الصابر والصادق والشاكر، وهم لا يخلو منهم مكان لا بدّ من الصابرين الشاكين، لا بدّ منهم من أجل كلّ زمان ومكان، وهذه الكلمة التي ألقاها الفقير زريقي هو صاحب هذا الكتاب وقع نيابة عن فقراء القصرين، والقصرين هذه بلد بعيدة من تونس بنحو ثلاثمائة كيلومتر، وكان الفقراء مشتاقين لزيارتهم فاستعدّوا لذلك الأمر أخذوا أهبتهم لزيارتهم لكن جاءت بعض الظروف سياسيّة وأنّ القصرين جاءت على الحدود، والحدود فيها اضطرابات فارتأى سيدي الحبيب بأننا لا نزورها نظرا لهذه الظروف، وهؤلاء فقراء القصرين تجسّموا مشاقّ وسحاري والحرّ الشديد وجاءوا إلى تونس قصد زيارتنا والاجتماع بنا، والقصرين لم تكن بها زاوية كما قالوا، لم تكن بها زاوية أبدا وقد استشارني سيدي الحبيب بالزاوية وقال لي تخوّف السلطة من أن تمنعنا وقلت له إنّما توكلّ على الله وأعزم والله تبارك وتعالى لا بدّ أن يعينكم في أمركم، وسافر إلى قصرين واجتمع معهم هناك وتستروا أمرهم شيئا ما ووجدوا دارا واشتروها ثمّ بعد ذلك بنوا زاوية، سنتين وهم مع السلطة حتى أذنت لهم والآن الزاوية تتوسّع وزادوا فيها زيادة أخرى ونصحتهم بأنهم يتركون الزاوية مخصّصة للرجال لا بدّ أن يكون النساء، يعملون جناح للنساء لأجل أن يكون النفع شامل للرجال والنساء، الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها، إنّما العلم هو للرجال والنساء، والنساء مسئولون عند الله تبارك وتعالى أيضا وكذلك الرجال مسئولون يجب ألاّ ينسوا النساء، والآن الزاوية في ازدياد صار فيها الفقراء وفيها الناس مثقفون وعلماء والحمد لله الشهر الماضي أنّه

بَشَرْنَا بِأَنَّهُ صَارَتْ عَلَى خَيْرٍ، وَيَنْبَغِي الْإِنْسَانَ فَقَطَّ أَنْ يَعْمَلَ ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾¹

قَصَدْنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ هُوَ أَنْ يَعْلَمَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِأَنَّنا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْفُقَرَاءُ صَارَ فِيهِمْ
الْعُلَمَاءُ وَخُطَبَاءُ مَسَاجِدَ وَأَسَاتِذَةُ وَوَعَاظُ، وَلِذَلِكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّائِرَةُ تَتَّسِعُ وَنَحْنُ نُرِيدُ مِنْ
كُلِّ أَحَدٍ ___ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِنْسَانُ نَعْرِفُ مَقْدَرَتَهُ وَعِلْمَهُ وَمَعْرِفَتَهُ حَتَّى إِذَا كُفِّ بِأَمْرٍ نَكُنْ
نَحْنُ قَدْ وَضَعْنَا الْأَمَانَةَ فِي مَحَلِّهَا لَكِي نَلَاظُ أَنَّهُ فِينَا الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ وَنَلَاظُ
أَنَّهُ لَمْ يَبْقَى ضَعْفُ النَّاسِ فِي مَسْأَلَةِ النَّحْوِ يَكُنُ اللَّحْنُ فِي النَّحْوِ فَقَطَّ، أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ
سَلِيمَةٌ لَكِنَّ النَّحْوَ، نَظَرًا لِأَنَّهُ أَهْمَلُ لَا مِنْ قِرَاءَةٍ وَلَا نَاسٌ يَرِيدُونَ أَنْ يَقْرَأُوا وَالْمَدَارِسُ
لَا تَقْرَأُ، وَبَقِيَتِ الْعَرَبِيَّةُ وَلَكِنَّ الْأَلْحَانَ بَقِيَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ وَهَذَا شَيْءٌ عَامٌ لَيْسَ
عِنْدَكُمْ فَقَطَّ إِذَا خَرَجْنَا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا فِي مَعَاهِدِ دِينِيَّةٍ نَجِدُ عِنْدَهُمْ لَحْنَ
كَثِيرًا، خُطَبَاءُ الْمَسَاجِدِ يَلْحَنُوا كَثِيرًا بِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّمُوا النَّحْوَ، نَعَمْ

وَكَذَلِكَ سَوْفَ يَقْرَأُ سَيِّدِي الْحَسَنُ الْعُلُوِي رِسَالَةً أُخْرَى وَهِيَ الرِّسَالَةُ الَّتِي حَضَّرْتَهَا
وَأَلْقَيْتَهَا فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ سَفَرِنَا لِتُونِسَ وَدَعْنَا فِيهَا الْفُقَرَاءَ وَنَصَحْنَاهُمْ بِبَعْضِ النَّصَائِحِ
الَّتِي تَقْبَأُوهَا، وَلَكِنَّ عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغَ، نَعَمْ

الفقير الحسن كمالى

سرد لرسالة سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي رضي الله عنه

سيدي الحاج محمد الكبير البعقلي

... وقصدنا بها أن يكون فيها النفع العام للجميع وأن يعلم كل هؤلاء الناس الحاضرين أنه بأتنا والحمد لله ما نجتمع إلا على رضى من الله تبارك وتعالى ولا نجتمع على ما يجتمع عليه غيرنا ونسأل الله تبارك وتعالى أن يديم علينا هذه النعمة وأن يرزقنا العمل بالله والإخلاص لله وأن يثيبنا على ما نعمل وأن يهدينا إلى طريقه المستقيم وأن يجعلنا من الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصدّيقين والشهداء الصالحين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ
وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ
وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ
حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ الْعَظِيمِ
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ